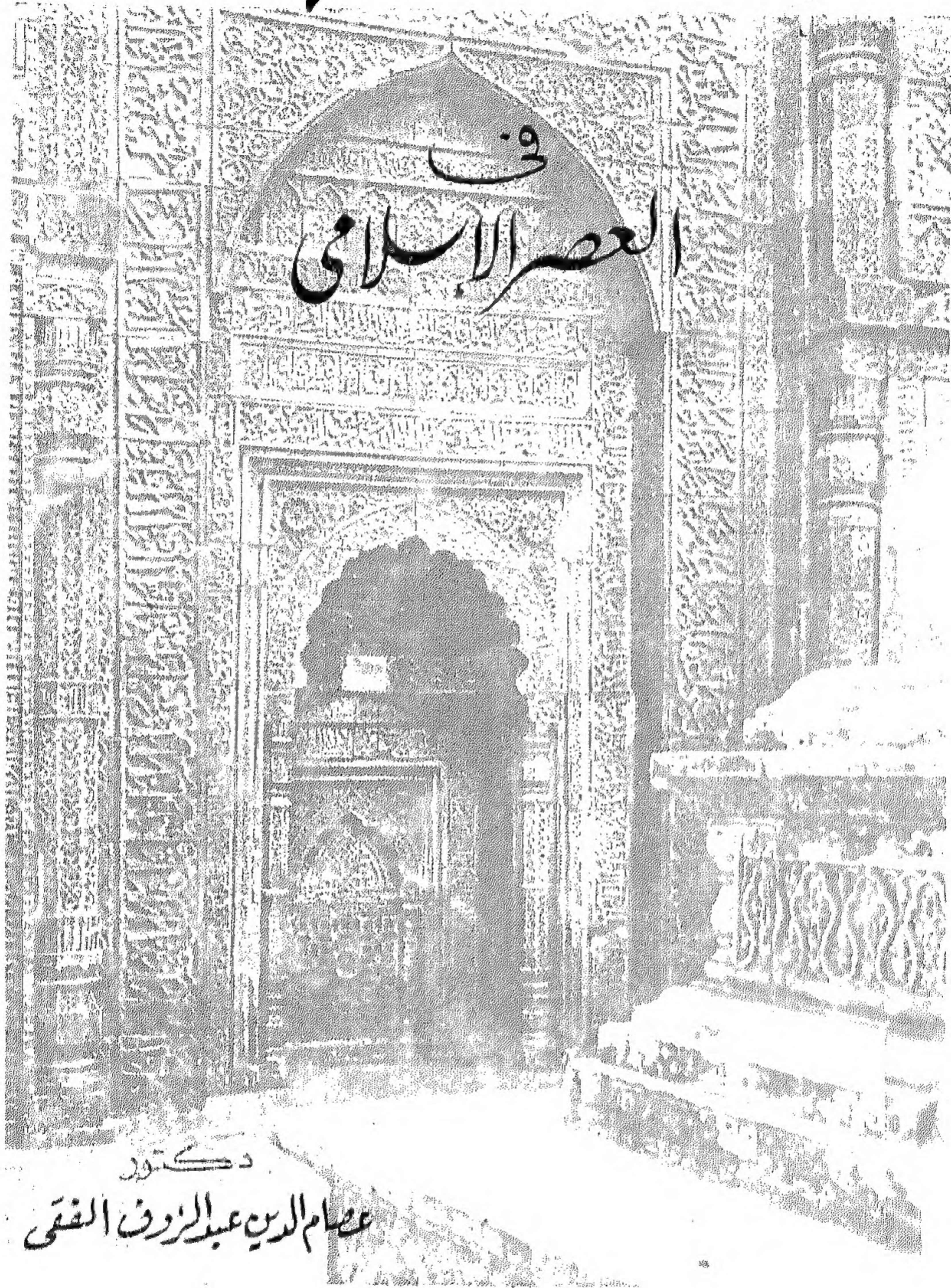


بيلاد الهند



الناشر

عالم الكتب

٢٨ شارع عبد الخالق تروت - القاهرة

دكتور
عصام الدين عبد الزوفى الفتى
أستاذ التاريخ الإسلامى المساعد

بلاد الهند
في
العصر الإسلامى
منذ فجر الإسلام حتى الفوز بالتمجيد

١٩٨٠

الناشر
عالم الكتب

٢٨ شارع عبد الخالق ثروت - القاهرة

إهداء

الى روح أبى الطاهرة النقية أقدم هذا الكتاب
مجددا العهد بمواصلة احياء التراث الاسلامى
ونشر الثقافة الاسلامية .

المؤلف

محتويات الكتاب

الموضوع	صفحة
المقدمة	٥
تمهيد : فجر الاسلام في بلاد الهند	٩
الباب الأول : الغزنويون والغوريون في بلاد الهند	١٣
الباب الثاني : الحياة السياسية في سلطنة دهلي الاسلامية	
منذ قيامها حتى الغزو التيموري	٤٩
١ - سلطنة دهلي الاسلامية في عهد الملوك الماليك	٥١
٢ - السياسة الداخلية لسلطنة دهلي الاسلامية في العهد الخلجي	٧٢
٣ - الاحداث الداخلية في سلطنة دهلي الاسلامية	
في عهد بنى تغلق	٩٦
الامارات المستقلة في الهند عن دهلي	١٠١
الباب الثالث : العلاقات الخارجية لسلطنة دهلي الاسلامية	
١ - مع دول الهند المستقلة	١٠٩
٢ - مع المغول	١٣٢
الغزو التيموري لبلاد الهند	١٦٢
الباب الرابع : النظم والحضارة في سلطنة دهلي الاسلامية	١٦٧
١ - نظم الحكم والادارة	١٦٩
٢ - الحياة الاقتصادية في سلطنة دهلي	١٩٩
٣ - المظاهر الاجتماعية في سلطنة دهلي	٢١٨
٤ - الحياة الثقافية في سلطنة دهلي الاسلامية	٢٣٦
الجدول	٢٥٣
المصادر والمراجع	٢٧١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد أفضل المرسلين . وبعد ، هذا كتاب يتضمن دراسة للدول الإسلامية في بلاد الهند في العصر الوسيط من الناحيتين السياسية والحضارية ، شجعتني على تأليفه لقاء علمي طريف بيني وبين بعض أساتذة التاريخ الإسلامي الهنود منذ عدة سنوات خارج مصر ، وقد دارت مناقشات بيننا حول قضايا في التاريخ الإسلامي ، ولاحظت اهتمامهم الكبير بدراسة التاريخ الإسلامي لمصر ، وأبدوا أسفهم لافتقار المكتبة العربية إلى كتاب أكاديمي عن تاريخ الإسلام في الهند ، وقد دفعني ذلك إلى تأليف كتاب عن التاريخ السياسي والحضاري ، لبلاد الهند في العصر الوسيط ، فقضيت وقتا إجمعا فيه مراجع الموضوع المعاصرة والقريبة من المعاصرة ، والمصنفات الأخرى - ومعظمها بالطبع غير عربية - وعكفت عدة سنوات على تأليف هذا الكتاب ، وأرجو أن أكون قد وفقت في هذا العمل .

وبدأت هذا الكتاب بالحديث عن الفتح العربي لبلاد الهند ودور الغزنويين والغوريين في توسيع رقعة الإقليم الإسلامي في بلاد الهند ، ونشر الإسلام في هذه البلاد ، وتحطيم الأصنام . وقد لعب السلطان محمود الغزنوي دورا كبيرا في تحطيم وتدمير قلاع الوثنية في بلاد الهند ، وجعل كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى .

واعقب حكم الغوريين في الهند ، أول دولة مستقلة في هذه البلاد ، وهي دولة الملوك المماليك ، وهي أول دولة إسلامية مستقلة في الهند ، حاضرتها دهلي ، وحكم الملوك المماليك هذه البلاد في الفترة ما بين (١٢٠٦ - ١٢٩٠ م) .

ولما ضعف شأن المماليك ، انتزع الخلجيون الحكم منهم ، وأعلن جلال الدين فيروز نفسه سلطانا على دهلي ، وأعقبه السلطان علاء الدين ، ويعتبر من أعظم سلاطين الهند المسلمين ، قام بتوسيع رقعة دولته في بلاد الهند ، ودرء الخطر الخارجي عنها ، وقمع الفتن والثورات في بلاده ، وأصلح الجهازين الإداري والمالي في مملكته ، ولم يأل جهدا في سبيل

تنمية موارد البلاد الاقتصادية ، كما بذل جهدا كبيرا فى نشر الثقافة فى بلاده ، وشجع رجال العلم والفكر على تأدية مهامهم العلمية نحو الوطن والمواطنين .

وبوفاته ضعفت الدولة الخليفة حتى انهالت ، وسيطرت غلق - أحد كبار القواد فى سلطنة دهلى - على مقاليد الامور فى البلاد ، وأقام الدولة التغلقية على أنقاض دولة الخلفيين . وتعاقب سلاطين آل تغلق فى الحكم حتى غزا تيمور لنك دهلى ، ودمرها تدميرا .

وبعد أن تحدثت عن الحياة السياسية فى سلطنة دهلى ، درست مظاهر الحضارة بها ، فتناولت بالبحث نظم الحكم والادارة ، والحياة الاقتصادية ، والمظاهر الاجتماعية ، والنهضة الثقافية .

وقسمت الكتاب الى أربعة أبواب ، تناولت فى الباب الاول الحكم الغزنوى والحكم الفورى لبلاد الهند ، ومهدت لهذا الباب نبذة عن الفتح العربى لبلاد الهند . وفى الباب الثانى تكلمت عن الحياة السياسية فى سلطنة دهلى الإسلامية منذ قيامها حتى الفزو التيمورى ويتضمن هذا الباب ، سلطنة دهلى الإسلامية فى عهد الملوك الماليك والسياسة الداخلية فى السلطنة فى عهد الخلفيين والتغلقية وضمف السلطنة وتدهورها وفى ختام هذا الباب كتبت عن الامارات المستقلة فى الهند عن دهلى .

ويتضمن الباب الثالث ، العلاقات الخارجية لسلطنة دهلى الإسلامية مع دول الهند المستقلة ، ومع المغول .

وفى الباب الرابع بحثت النظم والحضارة فى سلطنة دهلى الإسلامية ويتضمن هذا الباب ، نظم الحكم والادارة ، والحالة الاقتصادية فى سلطنة دهلى ، والمظاهر الاجتماعية ، والحياة الثقافية ، وبالجمله فقد أوضحت فى هذا الباب الانجازات الكبيرة التى حققتها دول الاسلام الهندية فى مجال الحضارة الإسلامية وأثر ذلك على ازدهار الحياة الإسلامية فى بلاد الهند .

ولم أدخر جهدا عند تأليفى لهذا الكتاب فى الحصول من المراجع الاصلية المعاصرة والقريبة من المعاصرة على المادة العلمية ، على الرغم من الصعوبات التى واجهتها . وكتبت باللغتين الفارسية والأردية . وقرات المراجع الاوربية التى كتبت عن الاسلام فى الهند سواء للاساتذة الهنود او الاوربيين .

وأخيرا أرجو أن أكون قد وفقت فى كتابى هذا ، وما توفيقى الا بالله .

د. عصام الدين عبد الرؤوف
مصر الجديدة ٢٠/٢/١٩٧٩م

تمهيد

فجر الاسلام في بلاد الهند

الباب الاول

الغزنويون والغوريون في بلاد الهند

١ — الغزنويون •

٢ — الغوريون •

تمهيد

فجر الاسلام في بلاد الهند

ويرجع اهتمام المسلمين ببلاد الهند الى عهد الخلفاء الراشدين ، فقد شنوا عدة حملات على اطراف هذه البلاد . على ان اول حملة نظامية على بلاد الهند بدأت في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك ، اذ اذن للحجاج بن يوسف الثقفي - عامله في بلاد العراق - بايفاد حملة الى الهند ، فأرسل عدة حملات لم تصل كلها الى نتيجة حاسمة (١) ، فأعد جيشا أسند قيادته الى ابن أخيه محمد بن القاسم الثقفي سنة ٩٢ هـ سنة ٧١١ م وعنى الحجاج بتزويد هذا الجيش بما يحتاج اليه من المؤن والمعدات حتى الخيوط والقطن المحلوج المنقوع في الخل (٢) .

احتشدت القوات الاسلامية في شيراز ، وزحفت الى ثغر مكران ومنه اتجهت جنوبا الى ديبيل ، وانضم الى المسلمين جموع كثيرة من المياد والجات وتسميهم المراجع العربية الزط ، وهما قبيلتان عربيتان هجرت ديارها فرارا من بطش وجور الحكومة البرهمية التي كانت تعتبرهم في عداد المنبوذين ، وتحرم عليهم امتطاء الدواب أو ارتداء الملابس الراقية ، ولا يمارسون الا أخط المهن (٣) .

قوى شأن المسلمين بالميد والجات ، واتجهوا الى ديبيل ، واشتبك الجيش العربي مع داهر - ملك السند - في معركة عنيفة ، واستخدم المسلمون أسلحة قوية من بينها منجنيقا يسمى العروس يديره خمسمائة جندي ، وانتهت المعركة بهزيمة داهر ، واستولى المسلمون على ديبيل وأقام بها محمد بن القاسم مسجدا ، وترك بها حامية تتكون من أربعة آلاف جندي (٤) . وأصبحت ديبيل أول مدينة عربية في الهند .

-
- (١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ج ٢ ص ٢٥٢ .
Lane Peole : Medieval India P. 8. (٢)
Chand : Influence of Islam in India P. 32. (٣)
Lane Peole : Medieval India P. 8.
(٤) البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٤٢

على أن داهر لم يستسلم للهزيمة ، بل عول على مقاومة الزحف الاسلامي ، فأتجه الى الداخل ، وأعد العدة لاستئناف القتال في موضع يقع شرق مصب السند ظنا منه أن النهر يعرقل عبور المسلمين له ، لكن محمد بن القاسم تمكن هو وجنده من عبور النهر على عدد من الزوارق . ولما شعر داهر باقتراب القوات الاسلامية منه لجأ الى حصن الرور فباغته المسلمون ، وعلى الرغم من استخدام الهنود الفيلة والنبال والنقط فانهم هزموا شر هزيمة (١) ، واستولى المسلمون على الرور ، وتقدم محمد بن القاسم صوب الشمال وتمكنت قواته من الاستيلاء على برهماناباد (٢) ، وواصل العرب تقدمهم صوب الشمال يستولون على البلدان التي في طريقهم حتى بلغوا الملتان ، واستولوا عليها عنوة وغنموا منها مغانم كثيرة (٣) .

كان لاستيلاء العرب على الملتان أهمية كبيرة ، نظرا لأهميتها الكبيرة عند الهنود من الناحية الدينية ، اذ يوجد بها المعابد الكبيرة يجج إليها الهنود من كل حذب وصوب ، ويهدون الاموال الى الصنم المقام هناك ، وينذرون له الندور ، ويطوفون به ، ويخلقون رعبهم ولحاهم عنده ، ويسقطون الملتان في أيدي العرب أصبح وادي السند بأكمله في حوزتهم ، ورحب الهنود بحكم المسلمين لهم لانهم قاسوا كثيرا من ظلم وجور الهندوس ، وتجلّى ذلك في أقبالهم على محمد بن القاسم يدقون الاجراس ، ويقزعون الطبول ، ويرقصون رقصاتهم الشعبية (٤) .

عول محمد بن القاسم بعد أن أقر الامور في البلاد التي فتحها على غزو مملكة قنوج - أعظم امارات الهند - لكن مشروعه لم يقدر له أن يتحقق ، ذلك أن الحجاج توفي سنة ٩٥ هـ وبعد ذلك بقليل توفي الخليفة الوليد بن عبد الملك ، وخلفه اخوه سليمان بن عبد الملك ، الذي كان يعترض على سياسة سلفه ، فعهد بحكم العراق الى صالح بن عبد الرحمن ، وعزل محمد بن القاسم عن السند ، وولى بدلا منه يزيد بن أبي كبشة وامره بالقبض على محمد بن القاسم ، وارساله اليه وسيق فاتح السند مقبدا بالسلاسل الى واسط حيث أودع في السجن ولقى حتفه (٥) بعد ذلك بقليل .

Lane Peole : Medieval India. P. 9.

(١)

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٤٤ .

(٣) البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٤٤ .

Lane Peole : Medieval India. P. 10.

(٤)

(٥) البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٤٦ .

ومما لا شك فيه أن عزل محمد بن القاسم عن السند كان خساره كبيرة أصابت مركز المسلمين في هذه البلاد ، ذلك أن البلاد التي دخلت في حوزة المسلمين ، انتقضت على الحكم الاسلامي ، وانشغل الولاة الأمويين في المحافظة على ممتلكات المسلمين في السند ، بدلا من أن ينطلقوا في الفتح ، على أن الحكم بن عوانة كان من خيرة ولاة السند بنى مدينتي المحفوظة والمنصورة على شاطئ السند ، وصارت الاخيرة حاضرة للمسلمين فيما بعد ، وقد سار في الناس سيرة حسنة ، وأطلق للهندكة حرية العبادة (١) .

ولما سقطت الدولة الاموية ، وقامت الدولة العباسية ، حافظ خلفاؤها على بلاد الهند الاسلامية ، وعملوا على توسيع رقعتها ، ففي عهد الخليفة المنصور دخلت كشمير في حوزة العباسيين ، وأكد العباسيون سيطرتهم على الملتان (٢) ، وتتابع غزوات المسلمين في بلاد الهند ، ففي عهد الخليفة المهدي سنة ١٥٩ هـ استولى المسلمون على مدينة باريد ، وأحرقوا تمثال بوذا ، وما زالت فتوحات المسلمين تتتابع في بلاد الهند في عهد المأمون والمعتصم حتى سيطر المسلمون على البلاد الواقعة بين كابل وكشمير والملتان (٣) .

ولما ضعف الدولة العباسية ، عجزت الحكومة المركزية عن السيطرة على أطرافها لذلك استقل حكام الاقاليم عن بغداد ، وقامت في السند امارتان مستقلتان ، احدهما في الجنوب وعاصمتها المنصورة ، وامارة في الشمال وعاصمتها الملتان ، واستقرت امورهما نتيجة لتحسن احوالهما الاقتصادية ، والنشاط التجاري بين السند والشرق والغرب وازدهرت فيهما العلوم والحضارة ، وآوى اليهما الفارون من بطش الخلافة (٤) .

أهمل الخلفاء العباسيون في العصر العباسي الثاني شأن اقليم السند حتى أن الخليفة الضعيف المعتمد اقطعها ليعقوب بن الليث الصفار مع بعض البلدان المجاورة ، حتى لا يتطلع الى السيطرة على العراق (٥) .

(١) البلازري ، فتوح البلدان ص ٢٤٩ .

(٢) البلازري ، فتوح البلدان ص ٢٤٩ .

(٣) البلازري ، فتوح البلدان ص ٢٥٠ .

(٤) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي ج ٢ ص ٢٥٢ .

(٥) السادق ، تاريخ المسلمين في الهند - ١ ص ٧٥ .

وترتب على اهمال الخلفاء لبلاد السند نشاط الاسماعيليين بها ،
فقامت في الملتان حكومة اسماعيلية في القرن الرابع الهجري ، اذ كانت
ارضا خصبة راجت فيها المبادئ الاسماعيلية ، ووجد فيها الدعاة
الاسماعيليون استجابة قوية ، والتف حولهم القرامطة الذين قدموا الى
السند من البحرين وبلاد فارس ، ومكنوا القائد الاسماعيلي جلم بن شيبان
من السيطرة على مقاليد الامور في الملتان (١) . اما امارة المنصورة فقد
تعرضت لكثير من الاضطرابات نتيجة لضعف حكامها واختلافهم على
انفسهم .

عاود المسلمون فتوحاتهم في بلاد الهند في النصف الاخير من القرن
الرابع الهجري ، اذ قوى شأن الاتراك الغزنويين في افغانستان ، وكلما
قويت افغانستان زحفت قبائلها تغزو في بلاد الهند ، واذا ضعف شأنها
وتدهورت أمن الهنود (٢) . اما وقد عظم شأن سبكتكين وابنه محمود في
افغانستان وصار لهما جيش قوى ، فقد ازداد النشاط الاسلامي في بلاد
الهند ، وكان الشمال الغربي في بلاد الهند منقسما بين امراء كثيرين من
الراجبوتيين معترفين لراجادهلى بالغلبة والتفوق .

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٧٥ .

Panikar : A survey of India. pp. 122-123.

(٢)

الباب الأول

الغزنويون والغوريون في بلاد الهند

١ - الغزنويون :-

اعتمد السامانيون على الاتراك في أمور دولتهم ، فكان قوام جيشهم منهم ، وولوهم المناصب العسكرية والمدنية الرفيعة ، فزاد نفوذهم ، وعلا شأنهم في دولة آل سامان . والمعروف أن الاتراك من العناصر التي كانت مصدرا للقلق والاضطرابات في الدول التي استعانت بهم ، ومن بينها الدولة السامانية ، فقد أضعفوها ، وعملوا على زوالها (١) .

ومن أبرز هؤلاء الاتراك الذين ارتفع شأنهم في الدولة السامانية ، اليتكين ، كان يعمل في الجيش الساماني (٢) ، وما زال يرتقى في سلك الوظائف حتى ولى منصب حاجب الحجاب للامير عبد الملك بن نوح (٣٤٣ - ٣٥٠ هـ و ٩٥٤ - ٩٦١ م) ومن ثم ارتفع شأنه ، وازداد نفوذه في الدولة السامانية حتى أن الوزير كان يأتمر بأمره (٣) ، ويلتزم بتنفيذ تعليماته وتوجيهاته (٤) .

لم تصف الأمور لاليتكين ، إذ خشي الامير عبد الملك بأسه ، وعول على ابعاده عن حاضرة دولته ، فأُسند اليه ولاية خراسان في عام ٣٤٩ هـ / ٩٦١ م (٥) . ولما توفي الامير عبد الملك سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م تشاور الامراء في الدولة السامانية مع اليتكين - الذي كان اكبرهم - قimen يراه مناسبا لتوليهِ أمر الدولة السامانية ، فوقع اختيار اليتكين على عم الامير المتوفى ، ورفض اختيار منصور بن عبد الملك خلفا لأبيه ، لانه شاب حدث لم تحنكه

(١) محمد جمال الدين سرور ، تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق ص ٨٥ .

(٢) Habib : Sultan Mahmud of Ghaznin p. 12.

(٣) K. Ali : A New History of Indo-Pakistan. p. 7.

(٤) Kney. of Islam. Art Alb-Tegin.

(٥) بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ج٢ ص ١١٨ .

التجارب . على أن اقترح اليتكين لم يعمل به ، ذلك أن الامراء واوا منصورا دون أن ينتظروا وصول اليتكين (١) . لذلك نشأ العداء بين الامير الجديد ، منصور بن عبد الملك وبين اليتكين ، الذي رفض اختياره - كما قلنا - اميرا على السامانيين ، ولم تجد محاولات اليتكين التودد للامير الساماني (٢) .

خشي الامير منصور من انتقاض اليتكين عليه في خراسان فاستدعاه الى بلاطه ، ولما علم اليتكين أن الامير الساماني يضر له السبوع ، رفض التوجه اليه ، وأظهر التمرد والعصيان فعزله منصور عن خراسان ، وأسند ولايتها الى أبي الحسين سيمجور ، فقصد اليتكين بلخ (٣) . وعول الامير الساماني على اخضاع هذا القائد الثائر ، فأرسل اليه جيشا ، اشتبك معه وهزمه ، فتوجه اليتكين الى غزنة (٤) ، وحاصرها واستولى عليها من حاكمها الساماني ، أبو بكر لوبك ، ولم يكتف بذلك بل غزا بلستان وأقام بها امارة مستقلة عن سادته السامانيين عاصمتها غزنة (٥) . على أن الامير منصور الساماني لم يقف مكتوف اليدين ازاء تمرد اليتكين (٦) ، فبذل عدة محاولات لسحق تمرده ، باءت كلها بالفشل ، فكف عنه (٧) . وبذلك قوى شأن اليتكين في امارته ، وتوطد فيها سلطانه .

ولما توفي اليتكين سنة ٣٥٢ هـ / ٩٦٣ م خلفه في حكم غزته ابنه أبو اسحق ابراهيم - قائد جيوش خراسان السامانية - غير أنه لم يستطع السيطرة على مقاليد الامور في غزته (٨) ، اذ ثار عليه أهلها ، وطرده من بلدهم ، فاستنجد بالامير منصور بن نوح ، فأمدّه بجيش مكنه من استرداد غزته . وحكمها باسم السامانيين (٩) . وبذلك استرد السامانيون نفوذهم على غزته . .

(١) النرشخي : تاريخ بخارى ص ١٤٣ .

(٢) فاميري : تاريخ بخارى ص ١١٧ .

(٣) النرشخي : تاريخ بخارى ص ١٤٣ .

(٤) فاميري : تاريخ بخارى ص ١١٧ .

(٥) النرشخي : تاريخ بخارى ص ١٤٣ .

(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث ٣٥١ هـ .

Ency. of Islam. Art Ghaznavids.

(٧) المروض السمرقندي : جہار مقالہ ص ٢٣ .

(٨) العتبي : تاريخ اليميني ج ١ ص ٥٦ .

Ency. of Islam. Art Ghaznavids. (٩)

على أن أبا اسحق لم يلبث أن توفي دون أن يترك وريثا يعقبه في حكم غزته ، فحكمها بلكاتكين - أحد مماليكه - وضرب النقود باسمه في غزته سنة ٣٥٩ هـ / ٩٦٩ م وخلف يرى بلكاتكين ، وهو فيما يبدو من اهالي غزته ، غير أنه لم يستطع القيام بأعباء الحكم فثار عليه الجند ، وخلفوا طاعته (١) ، ونظروا فيمن يصلح لحكم غزته ، فلم يروا أفضل من سبكتكين (٢) لما عرفوا من عقله ودينه وكمال الخلال فيه وصرامته . ومما يجدر ذكره أن سبكتكين هو أحد موالى ألتكين (٣) ، وكان حاجبا لابنه أبي اسحق « وعليه مدار أموره ، ويده منازم شؤونه » وولى سبكتكين إمارة غزته ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م (٤) .

لما أفضى الأمر الى سبكتكين ، استطاع بحسن سياسته ، وبعد همته اكتساب محبة الرعية وأمراء البلاد المجاورة له ، ولم يلبث الخليفة العباسي أن اعترف بحكومته ، فاصطبغ حكمه بهذا الاعتراف بالصنفة الشرعية ، وتحققت أمنية له طالما اختلجت في صدره فتلقب بناصر الدولة ، وبعث له الخليفة بالعقد والخلع التقليدية ، وأصبح سبكتكين المؤسس الحقيقي للدولة الغزنوية الشرعية (٥) . وعلى الرغم من استقلاله الفعلي فقد ظل يظهر ولاءه للسامانيين (٦) .

لم يكتف سبكتكين بحكم غزته ، بل عمل على بسط نفوذه على البلاد المجاورة (٧) ، فبسط سيطرته على قصدار القريبة من غزته كما سيطر على خراسان ، وشرع في غزو أطراف الهند ، وسيطر على كثير من المعاقل والحصون هناك « فاتسعت رقعة ولايته ، وعمرت أرض خزائنه ، وأشفقت النفوس من هيئته » وتوفي سنة ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م واليه يرجع الفضل في وضع أساس امبراطورية الغزنويين . إذ امتد سلطانه الى ناحية الهند

-
- (١) ابن خلكان : وفیات الأعيان ج ٤ ص ٢٦٤ .
(٢) العتبي : تاريخ اليميني ج ١ ص ٥٧ .
ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٣٦٧ هـ .
(٣) Cambridge History of Iran. p. 6.
(٤) العتبي : تاريخ اليميني ج ١ ص ٥٨ .
أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ج ٢ ص ١٢٣ .
(٥) سيد أمير علي : مختصر تاريخ العرب ص ٢٦٣ .
(٦) Lane Peole : The Muhammadan Dynasties P. 286.
(٧) K. Ali ; A New History of Indo-Pakistan. p. 18.

حيث أسس بها حكومة فى بشاور ، كما امتد نفوذه باستيلائه على خراسان وما اليها ، وبعبارة اخرى أسس دولة كبيرة فى جنوب غرب آسيا .

ويهمنا فى دراستنا هذه أن نتحدث بالتفصيل عن فتوحات الغزنويين فى الهند ، فقد أنشأ سبكتكين جيشا قويا من الافغان والترك ، ورأى ضرورة الانطلاق بتلك القوة الهائلة الى ميدان فسيح ، ولم يكن فى استطاعته الاتجاه نحو بلاد العراق لان البويهيين كانوا قد وطدوا نفوذهم فيها ، كما أن بلاد ما وراء النهر كان القره خانيون يعملون على بسط سيطرتهم عليها ، وابتزاعها من السامانيين لذلك انطلق الغزنويون الى بلاد الهند من منطقتهم الوعرة كما سنرى (١) .

ومما لا شك فيه أن الرغبة فى الجهاد ورفع راية الاسلام فى غير بلاد الاسلام من أقوى الاسباب التى دفعت الغزنويين الى القيام بفتوحاتهم ، فمن الثابت أن محمود الغزنوى كان مسلما قوى العقيدة ، تواقا الى نشر الاسلام (٢)

سار سبكتكين سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م على رأس جيش كبير الى بلاد الهنداكّة ، ويحكمها جيبال - راجا البراهمة ، وتقع مملكته فى شمال غرب الهند من الكنج الى الأفغان ومن كشمير الى اللتان (٣) ، وفتح قلاعا حصينة على شواحق الجبال ، ومن بينها مدينة كابل ، وعاد الى بلاده سالما ظافرا (٤) . ولقد كان لاستيلاء سبكتكين على كابل أثر كبير فى اضعاف شأن مملكة جيبال ، ذلك أن كابل تسيطر على المسالك المؤدية الى السهل الهندى الخصيب (٥) ومما هو جدير بالذكر ان يعقوب ابن الليث الصفار لما مد فتوحه الى كابل سنة ٢٥٨ هـ / ٨٧١ م وجد أهل هذه البلاد لا يزالون على الوثنية ، فنشر الاسلام بينهم ، وتوطد فى عهد سبكتكين وابنه محمود كما انتشر فى كافة بلاد الأفغان (٦) .

غير أن جيبال عظم عليه استيلاء المسلمين على اطراف مملكته ورأى أن ذلك يشكل خطرا كبيرا على ملكه ، ان هو تغاضى عن ذلك فحشد جيشا كبيرا

(١) حسن أحمد محمود ، الاسلام فى آسيا الوسطى ص ٢٣٩ .

(٢) جوستاف لوبون : حضارة الهند ص ٢١٨ .

(٣) الساداقى ، تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ج ١ ص ٨٤ .

(٤) بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ج ٢ ص ١١٩ .

(٥) Lane Peole : Medieval India. P. 17.

(٦) أرنولد ، الدعوة إلى الاسلام ص ١٨٨ .

سار على رأسه الى حدود الدولة الغزنوية (١) ، فسار سبكتكين من غزته اليه ومعه جمع غفير من الجند والمتطوعة ونشب قتال بين الفريقين انتهى بانتصار المسلمين على أعدائهم (٢) ، وأرسل ملك الهند الى سبكتكين يعرض عليه الصلح على مال يؤديه وبلاد يسلمها وخمسين فيلا يحملها اليه (٣) . لكن محمود بن سبكتكين اقنع اباه برفض الصلح اذ ابي الا يكون فيصل الحرب عنوة وقهرا حمية للاسلام والمسلمين ، على ان جييال عاد الى طلب الصلح ، وهدد بأن الهنادكة لا يهابون الموت اذا طرقهم طارق ، فهم سيفقأون أعين أفيالهم ويلقون بأطفالهم في النار ويخربون بيوتهم بأيديهم ، ثم يعرضون انفسهم على سيوفهم ورماحهم ، فيزهقون ارواحهم بأيديهم ، فلا يجد المسلمون حين يدخلون ديارهم الا تلالا خربة (٤) . عندئذ عدل سبكتكين وابنه محمود عن موقفهما ، وتم الصلح بين الفريقين (٥) على ألف ألف درهم وخمسين رأس من الفيلة يؤديها جييال الى السلطان الغزنوي ويتنازل له عن عدد من البلدان والقلاع ، وسير معه سبكتكين من تسلمها (٦) .

غير ان جييال نقض الصلح ، وقبض على المسلمين الذين وفدوا عليه لتنفيذ شروط الصلح ، وجعلهم عنده عوضا عن رهائنه الموجودين عند سبكتكين ، فلما نمت ذلك الى علم السلطان الغزنوي لم يقف مكتوف اليدين ، بل عول على النفاذ الى أرض العدو واعادة اخضاع جييال ، فسار الى مملكته ، وعاث جنده فيها فسادا وتخريبا ، وقصد لمغان - وهي من احسن قلاعهم - فاستولى عليها وهدم بيوت الاصنام ، وأقام فيها شعائر الاسلام ، وسار عنها يفتح البلاد ، وينكل بمن يعترض طريقه من الهنود ، وعاد الى غزته (٧) فاستعان جبيان على خصمه بأمرأاء أجمير ودهلي وكلنجر ، وأعدوا جندا جاوز المائة ألف مقاتل ، ولكن سبكتكين باغتهم ، وشتت شملهم فاضطر الامراء المتحالفون الى طلب الصلح على أموال كثيرة طائلة عدا مائتين

(١) Habib : The Struggle for Empire. p. 3.

(٢) العتبي ، تاريخ اليميني ج ١ ص ٧٥-٧٩ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ حوادث سنة ٣٦٦ هـ .

(٤) العتبي ، تاريخ اليميني ج ٦ ص ٧٩-٨٤ .

(٥) Munshi : The Struggle for Empire. p. 3.

(٦) Lane Peole : Medieval India. P. 17.

(٧) العتبي ، تاريخ اليميني ج ١ ص ٧٩-٨٤ .

Morel : A short Hist. India. p. 143.

من الفيلة وعشرة آلاف من رعوس الخيل (١) .

أسفرت غزوات سبكتكين لبلاد الهند عن امتلاكه بعض البلدان والقلاع فى الشمال الغربى من شبه القارة الهندية وتقع على وجه التحديد بين لمغان وبشاور ، مهدت لخلفائه سبيل فتح المزيد من البلدان الهندية كما أدت انتصارات سبكتكين على أعدائه الى ازدياد قوته وهيئته ، فأطاعه الافغانية والخليج وأصبحوا مصدرا هاما يمد به بالجند الضرورى لتحقيق سياسته (٢)

سار محمود الغزنوى على سياسة ابيه التى تنطوى على بسط سيطرة الدولة الغزنوية على بلاد الهند ، وساعد على ذلك قرب غزته من بلاد الهند الشمالية ، ووقعها على قمة الهضبة التى تشرف على سهولها ورأى فى بلاد الهند ميدان الجهاد الاكبر ففزاها سبع عشرة غزوة فى مدى سبعة وعشرين عاما فيما بين عامى (٣٩١ - ٤١٧ هـ / ١٠٠٠ - ١٠٢٦ م) حتى خضع له شمال شبه القارة الهندية (٣) فآثم فتح اقليم كابلستان ، وفتح المملتان وكشمير ، وسمى الى نشر الاسلام واحلاله محل البرهمية فى كل مكان (٥) ، وأخضع البنجاب حيث استطاع خلفاؤه من بعده ان يثبتوا سلطانهم فى عاصمتهم لاهور طوال مائة وخمسين سنة واندفع فى فتوحاته الى ما وراء نهر الكنج ليختتم فتوحه فى الهند باحتلال كجرات (٦) .

ولتفصيل ذلك نقول : ان السلطان محمود الغزنوى لما فرغ من اقرار الامور فى خراسان وسجستان رأى أن يغزو الهند غزوة تكون كفارة لما كان منه من قتال المسلمين ، فسار على رأس جيش يتكون من عشرة آلاف مقاتل (٧) وعند مدينة بشاور التقى بجيش جييال الذى يتكون من اثنى عشرة الفا من المشاة معها ثلاثمائة من الفيول فنشب القتال بين الفريقين ، هزم الهنود وقتل منهم كثيرون ، وأسر جييال ومعه جماعة من أهله وعشيرته ،

(١) العتبي ، تاريخ اليبني ج ١ ص ٨٤-٨٨ .

(٢) الساداق ، تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ص ٨٥ .

(٣) Munshi: The Struggle for Empire P. 4.

(٤) Hitti ; History of the Arabs. p. 376.

(٥) Lane Poole : Medieval India. p. 18.

Browne ; A litterary History of Persia Vol. I. p. 376.

(٦) بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ج ٢ ص ١٢٠ .

(٧) Munshi : The Struggle for Empire P. 6.

وغنم المسلمون مغانم كثيرة ، واستولوا على عدد من البلدان الهندية . ولما وضعت هذه الحرب أوزارها ، وحطت من الظهور أثقالها ، وافق السلطان محمود على إطلاق سراح جييال (١) بعد أن افتدى نفسه بمال كثير وعدد كبير من فيلة الحرب ، ولم يستطع الأمير الهندوكى بعد أن أطلق سراحه أن يبقى على قيد الحياة بعد أن لحقه الذل والعار ، فألقى بنفسه فى النار فاحترق في شوال سنة ٣٩٢ هـ / ١٠٠١ م (٢) .

ثم سار السلطان محمود نحو الهند وانتصر على أهلها ثم قصد إقليم الملتان وهو مركز مشهور للحجاج الهنود ، وقد وصف الاصطخرى (٣) صنم البراهمة فى الملتان فقال : ان أهل الهند يعظمون هذا الصنم ويحجون اليه من أقاصي بلدان الهند ، ويتقربون الى الصنم فى كل سنة بمال عظيم ينفق على بلد الصنم والمتعلقين به ، وصورته على خلقة الانسان متربع على كرسي من جص وآجر ، والصنم قد البس جميع بدنه جلدا ، لا يتبين من جثته الا عيناه ، فمنهم من يزعم أن جسده خشب ، ومنهم من يزعم أنه من غير الخشب الا أنه لا يترك بدنه ينكشف ، وعيناه جوهرتان ، وعلى رأسه اكليل ذهب ، متربع على ذلك الكرسي ، قد جعل ذراعيه على ركبتيه ، وقد قبض أصابع كل يديه كأنما يحسب أربعة .

لما قصد السلطان محمود الملتان ، غزا بهاطية - جنوب بلاد البنجاب - وصاحبها يسمى بحيرا - وهى مدينة حصينة عالية السور ، يحيط بها خندق عظيم فامتنع صاحبها بها ، ولما شدد المسلمون عليه الحصار ، وأدرك ضعفه ووهنه أمام القوات الفزنوية أخذ جماعة من ثقاته واعتصم بالجبال المجاورة ، فسير اليه السلطان الفزنوى فرقة من جيشه باغتته على غرة وانزلت به الهزيمة ، ودخلت بهاطية فى حوزة محمود بن سبكتكين ، وأقام بها حتى أصلح أمورها ورتب قواعدها ، ودعا أهلها الى الاسلام واستخلف بها من يعلم من أسلم من أهلها تعاليم الدين الحنيف (٤) .

وفى العام التالى قصد السلطان محمود مدينة الملتان نفسها وانتصر

Lane Pool : Medieval India. p. 14.

(١)

(٢) العتبي : تاريخ البمينى ج ١ ص ٣٦١ - ٣٦٦ .
ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، حوادث سنة ٣٩٢ هـ .

(٣) المسالك والممالك ص ٧٦ - ٧٧ .

(٤) العتبي : تاريخ البمينى ج ١ ص ٦٦ - ٧٠ .
ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٣٩٥ هـ .

وهو فى طريقه اليها على أنديال بن جيبال الذى رفض مرور القوات الاسلامية من بلاده (١) ووصلت القوات الغزنوية الملتان واستولت عليها ولاذ صاحبها بالفرار (٢) .

اتجه السلطان محمود بعد ذلك الى قلعة كواكير فاستولى عليها ، واحرق أصنامها . واعتصم وتحصن صاحبها فى قلعة منيعة فحاصره السلطان الغزنوى ، وضيق عليه الحصار وما لبث أن صالحه وعاد الى خراسان لانقاذها من غارات الترك (٣) وعهد الى نواسه شاه حفيد جيبال الذى اعتنق الاسلام ودخل فى طاعة السلطان الغزنوى بأن ينوب عنه فى حكم بلاد الهند الغزنوية ، لكن نواسه شاه لم يكن مخلصا لغزته ، فانتهاز فرصة ابتعاد محمود بن سبكتكين عن بلاد الهند ، وارتد عن الاسلام ، ومالاً أهل الكفر والطغيان (٤) ، فلما علم محمود بذلك أسرع الى بلاد الهند ، ففر نواسه شاه من بين يديه ، واستعاد السلطان محمود تلك الولاية ، وأعادها الى حكم الاسلام ، واستخلف عليها رجلا من ثقاته (٥) .

لما رأى أمراء الهند انتصارات السلطان محمود الغزنوى فى بلادهم ، وتهديده لاستقلالهم عقدوا العزم على الاتحاد والوقوف يدا واحدة أمام الخطر الغزنوى الزاحف على بلادهم ، لذلك حشدوا جيوشهم بأرض البنجاب فى حماس بالغ ، واشتبكوا مع القوات الغزنوية بقيادة السلطان محمود الذى حمل عليهم حملة لم يستطيعوا الصمود ازاءها ، ففر أمراؤهم ، ولم يستطع جنودهم الثبات أمام ضربات الغزنويين القوية ، فلاذ من نجا منهم بالفرار ، واستولى السلطان محمود على عتاد وذخائر وكنوز الجيوش الهندية (٦) ، ولم يكتف بذلك ، بل أرسل بعض قواته فى اثر فلول العدو المهزومة فلحقت بآبرهم بال بن أنديال (٧) فى قلعة بهيم نغر - وهى على جبل عال - وكان

(١) Defremery : Histoire des Ismaeliens. p. 30.

(٢) Munshi : The Struggle for Empire. p. 8.

Habib : Sultan Mahmud of Ghaznin. p. 25.

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٣٩٦ هـ .

(٤) نفس المصدر ، حوادث سنة ٣٩٧ هـ .

أبن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٤ ص ٣٦٦ .

(٥) Munshi : The Struggle for Empire. p. 8.

(٦) الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ج ١ ص ١ .

(٧) العتبي : تاريخ اليميني ج ٢ ص ٩٤ - ٩٩ .

Lane Poole : Medieval India p. 20.

الهنود قد جعلوها مخزنا لصنمهم الاعظم ، فينقلون اليها انواع الذخائر ، ونفيس الجواهر منذ سنين طوال ، تقربا الى هذا الصنم (١) ، فحاصرو القلعة الجند الغزنوى ، وضيقوا على من بها الحصار حتى وهنوا واستسلموا وفتحوا باب الحصن ، وملك المسلمون القلعة (٢) ، وحصلوا منها من نفيس الجواهر ما لا يحصى ومن الدراهم تسعين الف الف درهم ومن الاواني الذهبية والفضية الشيء الكثير ، وكان ذلك سنة ٣٩٨ هـ / ١٠٠٧ م (٣) .

وفي سنة ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م قام السلطان محمود بغزوة أخرى الى بلاد الهند فهاجم تارين ، واستولى عليها ، وحطم أصنامها ، ولما رأى صاحب تارين عدم استطاعته الوقوف في وجه السلطان محمود عرض عليه الدخول في طاعته وارسل عدد من الفيلة ومال عظيم والى رجل من عسكره انيه كل عام . فأجابه السلطان محمود الى طلبه « وتتابع القوافل بين ديار خراسان وبلاد الهند في ضمان الامان وجوار الحيطة والاحسان » (٤) .

لقت فتوحات السلطان محمود في بلاد الهند حدا لم تبلغه رايات الاسلام المنصورة قبلا ، ودخل في دين الله أفواجا عديدة من أهل الهند ومع ذلك لم يتوقف السلطان محمود الغزنوى عن سياسته في مواصلة ضم المزيد من البلاد الهندية الى دولته ، فسار في سنة ٤٠٤ هـ / ١٠١٣ م على رأس جيش كبير الى ناردين ، فسقط في يد صاحبها ، لذلك آوى هو وجنده الى جبل عال صعب المرتقى ضيق المسلك ، لعله يعصمهم من بأس الجند الغزنوى (٥) وكتب الى قومه يدعوهم الى الوقوف الى جانبه ، فكثرت جمعه ، وعظمت قوته ودخل مع المسلمين في معركة دارت فيها الدائرة عليه ، وقتل من جنده كثيرون ، وغنم المسلمون أموالهم وسلاحهم ودوابهم ، وفتح المسلمون ناردين فتحا طرزوا به شعائر الاسلام ، ووجدوا في بيت كبير صنما قيل : انه بنى منذ أربعين الف سنة دمره السلطان محمود (٦) .

Munshi : The Struggle for Empire p. 9. (١)

Habib : Sultan Mahmud of Ghaznin p. 29. (٢)

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٣٩٨ هـ .

(٤) العتبي : تاريخ اليميني ج ٢ ص ٩٤ - ٩٩ .

Munshi : The Struggle for Empire. p. 9.

(٥) العتبي : تاريخ اليميني ج ٢ ص ١٤٨ - ١٥٢ .

(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٤٠٤ .

Habib : Sultan Mahmud of Ghaznin. p. 36.

حرص السلطان محمود على الوقوف في وجه أمراء البلدان الهندية الذين يحاولون النيل من سلطانه فيها ففي سنة ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م سار السلطان محمود الى ثانیسر لاختضاع صاحبها الذي تمادى في الكفر والطغيان والعناد للمسلمين (١) ، فلقى في طريقه أودية وعرة المسالك وقفارا فسيحة قليلة الماء قاسي جنده في قطعها مشقة (٢) بالغة وحمل الجند الغزنوي على اهل ثانیسر حملة ادت الى هزيمتهم ، وغنم المسلمون ما معهم من اموال وفيلة ، وعادوا الى غزنة ظافرين . وترتب على هذا الانتصار ان دان للمسلمين اقليم البنجاب وأصبح الطريق الى سهول الهند ممهدا امامهم (٣) .

كان من اثر الانتصارات الرائعة التي أحرزها السلطان محمود في بلاد الهند والغنائم الكثيرة التي حصل عليها جيشه المظفر ، أن كان جنده كثيرا ما يتركون وراءهم أواني الفضة لثقلها اكتفاء بما كانوا يحملون من ذهب كثير وجواهر . والمعروف ان أواني المعابد الهندية ، واكثر الأنية التي تزخر بها دور الاغنياء لم تكن في الغالب الا من الذهب الخالص لذلك قدم على السلطان محمود من المتطوعة عشرين ألف مقاتل من بلاد ما وراء النهر وغيرها من البلاد ، فقوى بهم ، واعتزم غزو كشمير المجاورة لممتلكاته الهندية (٤) ، ولما بلغ بقواته بلاد الهند نخشي أمراؤها بأسه ، فأرسلوا رسلا اليه يبذلون الطاعة والولاء له ، ولما بلغ مشارف كشمير اتاه صاحبها وأسلم على يديه ، وواصل السلطان الغزنوي زحفه ، وفي طريقه استولى على الولايات الفسيحة والحصون المنيعه حتى بلغ حصن هودب فاستسلم صاحبه للسلطان محمود ، ودخل هو وقومه في الاسلام ، وسار عنه السلطان الغزنوي الى قلعة كلجند (٥) ، والطريق اليها غياض ملتفة لا يمكن اجتيازها الا بشق النفس ، وكان صاحبها كما يقول العتبي (٦) من أعيان الهند وشياطينهم ، فسير

(١) K. Ali ; A New History of Indo — Pakistan p. 22.

(٢) العتبي : تاريخ اليبتي ج ٢ ص ١٤٨ - ١٥٢ .

الساداتي : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ج ١ ص ٩٢ .

(٣) Munshi : The Struggle for Empire p. 12.

Habib : Sultan Mahmud of Ghaznin. p. 45.

(٤) K. Ali : A New History of Indo — Pakistan. p. 22.

(٥) Lane Poole : Medieval India p. 24.

(٦) تاريخ اليبتي ج ١ ص ٢٦٧-٢٧٦ .

Habib : Sultan Mahmud of Ghaznin. p. 37.

جيشه الى اطراف تلك الفيض كى يمنع المسلمين من اجتيازها ، ولكن الجيش الغزنوى أحبط محاولة النيل منه ، وقد الحق بالعدو خسارة فادحة (١) ، وعمد كليجند الى زوجته فقتلها ، ثم قتل نفسه بعدها ، وغنم المسلمون أمواله وملكوا حصونه (٢) ، وسار محمود الى بيت الاصنام المشهورة بهذه البلاد به خمسة أصنام من الذهب الاحمر مرصعة بالجواهر وفيها من الذهب ستمائة ألف وتسعون ألف وثلاثمائة مثقال فأخذ السلطان الغزنوى كل ذلك وأحرق الباقي (٣) .

لم يكتف السلطان محمود بما حققه من انتصارات ، إنما واصل سيره الى قنوج ، فغادرها راجيال - صاحبها - فاستولى عليها محمود وعلى قلاعها وأعمالها ، ثم سار الى قلعة البراهمة ، ودار قتال بين الغزنويين وبين أهلها ، دارت فيه الدائرة على الهنود ، ولم ينج منهم الا الشريد (٤) ثم اتجه الى قلعة آسي ، ولما لم يستطع جندبال مواجهة القوات الغزنوية ، لاذ بالفرار ، وعلى ذلك امتلك محمود الغزنوى حصنه ، ثم سار الى قلعة شرو ، ولم يستطع صاحبها أيضا الثبات أمام القوات الغزنوية ، وقتل أكثر جنده ، وغنم المسلمون ما معه من أموال (٥) وخيل ، وعاد محمود بن سبكتكين الى غزنة ظافرا ، وأنفق ما حصل عليه من هذه الغزوة من مال وفير فى تشييد مسجد كبير فى غزته (٦) .

على أن ملوك الهند لم يستسلموا لما لحقهم من هزيمة ، وسقوط بلادهم البلدة تلو الاخرى فى أيدي الغزنويين ، بل عولوا على التخلص من نفوذ وسيطره غزنة ، وقد تزعم هذه الحركة الاستقلالية يدا - ملك كجوراهه - (٧) والتف حوله ملوك الهند ، غير أن راجييال فاجأ حلفاءه وخرج عليهم ، وعاد الى الولاء الى الدولة الغزنوية (٨) فباغته ملك كجوراهه وقتله ، فازدادت قوته ورأى فيه ملوك الهند خير من يقودهم فى معركة

(١) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٤٠٧ هـ .

(٢) السادات : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ص ١٢ .

(٣) العتبي ، تاريخ اليمى ج ٢ ص ٢٦٧-٢٧٦ .

Lane Poole : Medieval India. p. 24.

Munshi : The Struggle for Empire. p. 15. (٤)

Munshi : The Struggle for Empire. p. 15. (٥)

(٦) العتبي : تاريخ اليمى ج ٢ ص ٢٨١-٢٨٩ .

Lane Poole : Medieval India. p. 23. (٧)

(٨) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٤٠٧ هـ .

تحرير بلادهم من سيطرة الغزنويين ، لكن السلطان محمود بن سبكتكين لم يقف مكتوف اليدين ازاء هذا الخطر الداهم الذي يهدد دولته في الهند ، بل سار سنة ٤٠٩ هـ / ١٠١٨ م على رأس جيش كبير الى بلاد الهند ، وعبر نهر الكنج (١) ، والتقى بالقوات المتحالفة ولقد كان لظهور السلطان محمود في الميدان اثر كبير على أعدائه ، فأخذهم الهلع والفزع ، ولم تغن عنهم كثرتهم شيئاً ، اذ انقضت عليهم القوات الغزنوية ، والحقوا بهم الهزيمة ، ولما رأى ملوك الهند عدم جدوى التصدي للسلطان الغزنوي ، أرسلوا رسلهم اليه ، يبذلون الطاعة والالتاوة ، فقبل منهم محمود الصلح (٢) ، وسار في اثر بيده ، والتقى به في موقعة كبيرة نصر الله فيها المسلمين على أعدائهم ، وغنموا أموالهم وسلاحهم واقتفوا قلوب المهزومين ، وباغتوهم في الغياض والآجام ، واكثروا فيهم القتل والاسر (٣) .

٢٢٠ تتابعت غزوات وانتصارات السلطان محمود في بلاد الهند ، واتسعت أملاك الدولة الغزنوية في هذه البلاد ، وعظمت هيئته في نفوس أهلها ، وتوقفوا عن مقاومة النفوذ الغزنوي ، على أن أعظم غزوات السلطان محمود حدثت سنة ٤١٦ هـ / ١٠٢٥ م اذ فتح عدة حصون ومدن واستولى على الصنم المعروف بسومنات ، وهو أعظم أصنامهم يحجون اليه كل ليلة خسوف ، ويعتقد الهنود أن الارواح اذا فارقت الاحياء . اجتمعت فيه ، فينشئها فيمن يشاء ، وكانوا يحملون اليه نفائس الجواهر ، ويعطون سددته المال الوفير ، وله وقف يزيد على عشرة آلاف قرية ، يفد اليه البراهمة لعبادته ، واقامة الحفلات الدينية على بابيه ، ويعتقد الهنود أن السلطان محمود في غزواته كلما حطم صنما ، يعتقدون أن سومنات غير راض عنه ولو أنه راض عنه لأهلك من قصده بسوء (٤) ، ويعتقدون أن هذا الصنم يحيى ويميت ، وانه اذا شاء أبرأ من جميع العلل ، ومن لم يصادف من

(١) Lane Poole : Medieval India p. 25.

(٢) العتبي : تاريخ اليميني ج ٢ ص ٣٠١-٣٠٤ .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٤٠٩ .

(٤) العتبي : تاريخ اليميني ج ٢ ص ٣٠٤ - ٣٠٧ .

ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٤ ص ٩٧٣ .

Morel : A Short History of India. p. 148.

أهل الهند انتعاشا احتج بالذنب وقال : انه لم يخلص له الطاعة ، ولم يستحق منه الاجابة ، ولا يوجد في بلاد الهند على تباعد أقطارها وتفاوت أديانها ملك ولا سوقة الا قدم لهذا الصنم ما عز عليه من أموال وذخائر (١) .

لم يهاجم محمود الغزنوي سومنات لتدمير صنم أو الاستيلاء على ما فيه من أموال كما يدعى بعض المؤرخين ، ولكن لان سومنات كان اخطر مراكز المقاومة والعدوان الهندوكي في وجه الزحف الاسلامي ، ومهما يكن من أمر سار السلطان محمود على رأس جيش كبير سنة ٤١٦ هـ / ١٠٢٥ م فافتحم صحراء جرداء قاحلة مترامية الاطراف هي صحراء الثار - أكبر صحراوات الهند - فلما اجتاز هذه الصحراء ، رأى في طرفها حصونا مشحونة بالرجال ففتحها ودمر أصنامها ، وحصل منها على الماء والميرة اللازمتين لرجاله وسار الى أنهلوارة ففر صاحبها منها ، واحتفى بحصن له ، فاستولى محمود على المدينة وسار الى سومنات (٢) ودمر في طريقه عددا من الحصون فيها كثير من الاوثان فيما يبدو - حجابا وتقياء لسومنات - حسب اعتقاد الهنود - (٣) فقاتل من بها ، وفتحها ، وحطم أصنامها رسار الى سومنات (٤) ، وقضى على كل مقاومة اعترضت طريق الوصول اليه ، ولما بلغ حصن سومنات قاتل من به ، وأسرعوا الى صنمهم سومنات ليقاتلوا عنه ، وفعلا قاتلوا على باب به عنف وضراوة (٥) وتضرع الهنود الى صنمهم لعله ينصرهم ، وحمل الجند الغزنوي عليهم حملة أخذت الكثير منهم ، وحطم السلطان محمود الصنم سومنات وأحرق بعضه ، وأخذ بعضه الى غزوة ، وجعله عتبة مسجد غزوة الجامع (٦) .

(١) سومنات : مدينة ساحلية واسعة يها علماء الهنود وعبادهم ، والصنم المعروف بها يسمى البد يجلس على كرسي من ذهب رهومضخ بالمسك من رأسه إلى الكرسي ومقلد يعقود الياقوت والجوهر وأمامه أطباق ذهب مملوءة من الأحجار الشريفة الثمينة والكرسي على مقعد مستدير يسع عشرة رجال ، ويبيت الصنم مظلماً ، والضوء الذي عنده من قناديل الجوهر الفائق ، وعندها سلسلة ذهب فيها جرس كلما مضى وقت من الليل ، حركت السلسلة فيدق الجرس ، فيقوم طائفة من البرهمنين إلى عبادتهم ، وعنده خزانة خاصة فيها عدد من الأصنام الذهبية والفضية .

Munshi : The Struggle for Empire. p. 19.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حواش سنة ٤١٦ هـ .

(٣) العتبي : تاريخ اليعنبي ج ٢ ص ٣٠٤ - ٣٠٧ .

(٤) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٢ ص ١٦٣ .

Hitti : History of the Arabs. p. 464. (٥)

Habib : Sultan Mahmud of Ghaznin. p. 51-53. (٦)

غير أن بعض ملوك الهند قد أغضبهم ما حاق بمعبودهم الأكبر فأعدوا
العدة لمقاومة السلطان محمود ، فخرج صاحب انهلواره وقصد قلعة
كنزهاة - قرب سومنات - ولما نمت الى علمه أن السلطان محمود قصده ،
فر الى بلاده (١) ، كما قصد السلطان الغزنوي المنصورة (٢) وكان صاحبها
قد ارتد عن الاسلام ، وأعد العدة لمحاربة السلطان محمود - فسار السلطان
الغزنوي الى المنصورة ، واشتبك مع صاحبها وهزمه ، وأخضعه لنفوذه ،
ثم سار الى بهاطية ، فأطاعه أهلها ودانوا له بالولاء ، وعاد الى غزنة سنة
٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م (٣) .

أعجب محمود بجمال اقليم جوجرات ، وارتاح الى مناخه ، حتى أنه
فكر في الإقامة فيه ، واستخلاف ابنه مسعود على غزنة لولا اعتراض
قاداته ، ومهما يكن من أمر فانه يمكن اعتبار محمود الغزنوي سلطانا هنديا
خالصا ، فتح اقليم البنجاب ، ونشر الاسلام في ربوع الهند ، وفتح طريقا
سلكه بعده كثيرون (٤) . وقنع خلفاؤه بعد أن فقدوا أملاكهم في فارس
وأفغانستان بالاستقرار في اقليم البنجاب (٥) ولم تكن غاية محمود من
غزواته في بلاد الهند جمع الاموال - كما يدعى بعض المؤرخين - حقيقة
أن محمود غنم الكثير من غزواته ، لكن هدفه كان أولا وقبل كل شيء نشر
الاسلام ، وتحطيم الاصنام ، بدليل أنه رفض ما عرضه عليه الهنادكة من
افتداء صنم السومنات بالاموال الطائلة ، وقال انه يؤثر بأن يصفه من
يأتي بعده بأنه محطم الاصنام على أن يقولوا عنه بأنه بائع أو ثان (٦) .
وعلى ذلك يمكن القول بكل ثقة بأن محمود الغزنوي كان غازيا مجاهدا ،
أخذ على عاتقه نشر الاسلام في بلاد الهند ، والقضاء على الوثنية فيها .
والحق أن محمود الغزنوي كان من خيرة قادة وزعماء الاسلام وبلغ في
فتوحه « الى حيث لم تبلغه في الاسلام راية ، ولم تقل به قط سورة

(١) Lane Poole : Medieval India under Mohammedan Rule. p. 26 — 77.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٤١٧ هـ .

(٣) Munshi : The Struggle for Empire. p. 4.

(٤) Cambridge History of. India Vol. III. p. 26-27.

(٥) Prasad : Medieval India. p. 71-72.

(٦) السادات : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ج ١ ص ٩٨ .

Advanced History of India. p. 103-104.

بولا آية ، فدحض عنها أجناس الشرك وبنى بها مساجد وجوامع ، وأقام بدلا من بيوت الاصنام مساجد الاسلام ، ومن مشاهد البهتان معاهد التوحيد والايمان « (١) .

واصل مسعود بن محمود الغزنوى سياسة أبيه فى المحافظة على أملاك الدولة الغزنوية فى بلاد الهند ، وضم المزيد من الاراضي الهندية الى الدولة الغزنوية ، وأقر احمد بن يتالتكين على بلاد الهند الغزنوية ، وقد قام هذا الوالى بالاستيلاء على منارس من ولاية الكنج التى لم تبلغها جيوش الاسلام قبلا (٢) .

قوى شأن احمد بن يتالتكين فى بلاد الهند ، وحدثته نفسه بالخروج على الدولة الغزنوية ، لكن السلطان محمود تصدى له وتخلص منه (٣) .

وعلى الرغم من أن السلاجقة كانوا يشكلون خطرا جسيما على الدولة الغزنوية فى عهد السلطان مسعود الا أن هذا السلطان لم يتقاعس عن مواصلة الفتوح فى بلاد الهند ولم يستمع الى تحذير رجال دولته بالبقاء فى غزته حتى يكون قريبا من السلاجقة ، فسار الى بلاد الهند سنة ٤٢٩هـ ١٠٣٧م لتحقيق حلمه القديم وهو الاستيلاء على قلعة هانس وكانت تسمى بالقلعة العذراء ، لان أحدا لم يستطع فتحها من قبل . واستولى على هذا الحصن الهندوكى الكبير ثم زحف الى سيات عند الشمال الغربى من دلهى ، ففر أهلها الى الغابات المجاورة مما يسر للسلطان مسعود امر الاستيلاء على هذه البلدة (٤) .

على أن جهود السلطان مسعود فى بلاد الهند يسرت للسلاجقة تحقيق أطماعهم فى إقليم خراسان (٥) ، واستولوا على بعض بلدان خراسان وتطور الامر فى الدولة الغزنوية الى أسوأ من ذلك ، فقد هزم السلاجقة السلطان مسعود فى داندانقان سنة ٤٣٢هـ ١٠٤٠م .

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ ص ٢٦٥ .

(٢) تاريخ البيهقى ص ٤٢٦ - ٤٢٧ .

(٣) تاريخ البيهقى ص ٣١٥ .

ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٤٢١ هـ .

Lane Poole : Medieval India e. p. 41.

(٤) تاريخ البيهقى ٥٨٠ .

Lane Poole : Medieval India p. 43.

(٥)

ولما رأى السلطان الغزنوى ضعف قوته ، قرر الرحيل الى الهند حتى يجمع الجموع ويعود الى غزو السلاجقة ، واسترداد خراسان . لكنه قتل فى الطريق الى الهند ، فخلفه ابنه مودود ، وسار على سياسة أبيه فى المحافظة على املاك الدولة الغزنوية فى الهند ، فتصدى لأخيه مجدود الذى ولى اقليم البنجاب منذ عهد أبيه ، وكان من أثر ثورة مجدود أن تشجع بعض أمراء الهنادكة وتحالفوا ، وعلنوا الاستقلال عن الدولة الغزنوية ، وزحفوا الى لاهور ، لكن الجند الغزنوى ردوهم على أعقابهم ، وعادت الى المسلمين هيبتهم فى شمال شبه القارة الهندية (١) .

ولما ولى السلطان ابراهيم بن مسعود الحكم . أعاد الى الدولة الغزنوية هيبته ونظم أمورها ، وأقر الامور فى هندوستان (٢) ، ولما توفى امتد النفوذ السلجوقى الى الدولة الغزنوية ، فوأت الفرصة الامراء الهنود لمحاولة الانفصال عن الدولة الغزنوية لكن السلطان بهرام شاه أدحض محاولتهم ، وقضى على الفتن التى حدثت فى البنجاب والمثلتان ، ورد عصبة الامراء الهنادكة عن لاهور وكانت الآمال قد بعثت فى نفوسهم من جديد لطرد الغزاة من بلادهم ، وهكذا استطاع بهرام شاه أن يحافظ على النفوذ الغزنوى فى بلاد الهند ، ويثبت اقدام الدولة الغزنوية فيها (٣) .

ولما ضعفت الدولة الغزنوية لجأ سلاطينها الى ولايتهم فى بلاد الهند للاعتصام بها أو الاستعانة بأهلها لرد الغزاة الطامعين فى غزوة - حاضرة ملكهم - فلما ولى السلطنة خسرو شاه لجأ الى الهند على اثر اقتحام قبائل التركمان لحاضرة دولته ، كما انتهز الغور فرصة الفوضى التى عمت الدولة الغزنوية المتداعية ، فانقضوا على غزته وأعملوا فيها الخراب والدمار (٤) وقضى آخر ملوك الدولة الغزنوية أيامه الباقية فى لاهور وتفاقم خطر الغور ، واشتد ساعدتهم فاستعاد زعيمهم غزته من التركمان ، وظلوا يطاردون السلطان الغزنوى فى بلاد الهند حتى قبضوا

(١) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٤ ص ٤٨٦ .

خوندمير : حبيب السير ج ٢ ص ٣٠

(٢) Habib : Sultan Mahmud of Ghaznin. p. 104.

(٣) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٤ ص ٣٨٦ .

(٤) Lane Poole : Medieval India under Mohammedan Rule p. 46.

عليه ، وبذلك انتهت الدولة الغزنوية التي يرجع اليها الفضل في توطيد إقدام المسلمين في أرض الهند ، ونشر الاسلام في تلك الديار .

والواقع أن حملات الغزنويين في بلاد الهند واتخاذهم لاهور مقرا لهم يعتبر بدء حكم المسلمين الحقيقي في هذه البلاد ، ذلك أن ملوك الغور الذين ورثوا الدولة الغزنوية تولوا سلطنة دلهي (١) ، ونشروا نفوذ المسلمين في أرجاء بلاد الهند الشمالية قاطبة (٢) .

نتائج الفتوحات الغزنوية في بلاد الهند

لا شك أن الاسلام انتشر بين الهنود نتيجة غزوات سلاطين بني سبكتكين ودخل الهنود في الاسلام عن طوع واختيار . حقيقة ساهم التجار المسلمون بدور كبير قبل أن يعمل الغزنويون في بلاد الهند على نشر الاسلام ، وبنوا مساجد في بعض مدن الهند ، كما أن حكومة الملتان الاسلامية كان لها السيادة في بلاد السند منذ الفتح العربي في عهد بني امية ، وكان لها نصيب في نشر الاسلام في هذه البلاد . ولكن ينبغي أن نؤكد أن السلاطين الغزنويين خصوصا محمود بن سبكتكين كان لهم تأثير كبير على الهنادكة حتى أن جموعا غفيرة منهم اقبلوا على اعتناق الاسلام .

انتشر الاسلام في بلاد الهند نتيجة لانتصارات راياته فيها ففي سنة ٤١٠ هـ احرز السلطان محمود انتصارا رائعا على هرداتا - أحد ملوك الهند - فوافق على اعتناق الاسلام ، وتقدم الى السلطان الغزنوي مع عشرة آلاف رجل ، وعلنوا رغبتهم في التحول الى الاسلام ، ونبذ عبادة الاصنام (٣) ، ومما لا شك فيه أن بعض الهنود تركوا عبادة الاوثان واعتنقوا الاسلام تقريبا لحكامهم الجدد .

ولقى الاسلام ترحيبا كبيرا من الطوائف الفقيرة الذين كان حكامهم الآريون يبتدونهم ويحتقرونهم وينقصون من شأنهم ، فأعلى الاسلام - دين المساواة - منزلتهم ورفع من شأنهم (٤) .

(١) Lane Poole : The Mohammedan Dynasties p. 284.

(٢) Prasad : Medieval India p. 48.

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٤٠٩ هـ .

(٤) أونولد : الدعوة إلى الإسلام ص ٣١٤ .

كذلك انتشر الاسلام بين الهنود عن طريق الفقهاء والوعاظ ودروسهم والعلماء والمتصوفة ورحلاتهم ، ومن ابرز وأشهر هؤلاء الشيخ اسماعيل وكان من أهل بخارى ، وعرف بثقافته الدينية والدنيوية ، قدم الى لاهور سنة ٣٩٦ هـ - ١٠٠٥ م وظل بها يدعو الناس الى الاسلام ويعلمهم شرائعه ، وقد وفد عليه كثير من أهل الهند للاستماع الى مواعظه ، وسرعان ما هدى الله الكثير من الناس الى الاسلام على يديه (١) .

ولما كان الغزنويون سنيين متشدددين ، فقد اعتنق الهنود الاسلام على المذهب السنى ، وحدوا حذو غزائهم فى تعصبهم وتزمتهم . كذلك عرف أهل الهند اللغة الفارسية عن الغزنويين ، والمعروف أن هذه اللغة نمت وازدهرت فى بلاط سبكتكين فى غزنة ، كذلك وجد المتصوفون من الفرس والترك فى بلاد الهند خير موئل يلجأون اليه من بلادهم المضطربة ، ولقيت الصوفية ترحيبا من أهل الهند الذين يميلون اليها بطبيعتهم (٢) . كذلك أثر الترك فى الهنود ، والهنود فى الترك ، وأخذ كل منهما عن الآخر ، اذ نقل الترك الى الهند الثقافة الفارسية ومظاهر الحياة التركية والفارسية ، وبهذا انتشرت فى المجتمع الاسلامى بالهند اللغة الفارسية - لغة الثقافة فى ذلك العصر (٣) - واللغة الاوردية التى هى خليط من الهندية والعربية والفارسية والتركية ، ولم تنتشر اللغة العربية وبالتالي لم تزدهر الثقافة العربية بالهند ازدهارها فى الاقاليم والدول الاسلامية الاخرى ، وساعد على هذا أن بعض الشيوخ والعلماء الذين وفدوا على الهند كانوا من علماء ما وراء النهر ، وهؤلاء كانوا أتباع مذهب أبى حنيفة يعتمدون على كتب فقهاء هذا المذهب ، كما كانوا شغوفين بعلوم اليونان القديمة والثقافة الفارسية ، وبهذا اصطبغت الثقافة الاسلامية بالهند بهذه الصفات الثلاث ، ولم تقم على أسس قوية من الثقافة العربية (٤) ، ونشأ فريق من المولدين يمثل حضارة اسلامية ، مزيج من الحضارات التركية والفارسية والهندية ، وينعم بالتسامح الاسلامى ، وينبذ التفرقة التى كانت من أبرز خصائص المجتمع الهندى من قبل ، وظهر مفكرون

(١) ارنولد : الدعوة إلى الإسلام ص ٣١٤ .

(٢) حسن أحمد محمود : الإسلام فى آسيا الوسطى ص ٢٦٩ .

(٣) جوستاف لوبون : حضارة الهند ص ٤١٧ - ٤١٨ .

(٤) جمال الشهاب : تاريخ دولة أباطرة المغول الاسلامية فى الهند ص ٥١٧ .

يهاجمون الديانة البرهمية (١) ، واحترم الهنادكة عقائد المسلمين ، كما ان المسلمين استفادوا من فلسفة الهند ، وتقدم علمائهم فى علم الفلك .

ولقد تأثرت الحياة الاجتماعية بالترك ، وتجلّى ذلك فى انتشار الحجاب بين النساء ، وتخلص المنبوذون من قيود النظام الطبقي وساهموا بحرية فى ميادين الحياة المختلفة من سياسية واقتصادية ، واقتبس الهنود عن المسلمين انظمتهم الادارية والمالية والقضائية ، وشهد الادب الفارسي ازدهارا ، زاد منه رحيل أدباء فارس الى الهند ، واصبحت الفارسية لغة التأليف والكتابة للمسلمين وغير المسلمين ، واستفاد المسلمون من السنسكريتية ، وترجموا عنها الى الفارسية كما ترجموا اليها ، وفى ميدان الفن استفاد المسلمون من الهنود والهنود من المسلمين ، وتجلّى ذلك فى المساجد والمعابد .



تجمعت عوامل متعددة أدت الى ضعف الدولة الغزنوية وانهيارها فى آخر الامر ، ومن أبرز هذه العوامل المحاولات المتكررة التى بذلها ولاة الاقاليم فى الدولة الغزنوية للاستقلال بالولايات التى يحكمونها ، ولم تكن هذه الحركات الانفصالية هى عوامل ضعف الدولة الغزنوية فقط ، بل ان امراء آل سبكتكين أيضا قاموا بدور كبير فى تدهور شأن بيتهم العريق فقد حاربوا بعضهم بعضا حول الوصول الى السيادة والحكم وحاول بعضهم الاستقلال ببعض اقاليم الدولة الغزنوية بل استعان بعضهم على بعض بأعداء دولتهم المتربصين للنيل منها .

ومن اكبر العوامل التى عجّلت بانهيار الدولة الغزنوية ظهور الاثراك السلاجقة وارتفاع شأنهم وسعيهم الى توسيع ممتلكاتهم على حساب الدولة الغزنوية ، كما ان الغور خرجوا من عزلتهم الجبلية ، وعملوا على مد نفوذهم فيما وراء حصونهم ، وكان خير ميدان لتنفيذ سياستهم بلدان الدولة الغزنوية التى اخذت عوامل الضعف والانحلال تنال منها حتى انهكت قواها ، ولم تعد تستطيع مقاومة أعدائها الاشداء .

(١) جوستاف لوبون : حضارة الهند ص ٤١٧ - ٤١٨ .

واصل الغور سياستهم التوسعية على حساب الدولة الغزنوية المتداعية حتى استولى على غزنة ، وسقطت لاهور آخر معاقل الغزنويين سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م فى ايدى الغور وبسقوطها زالت الدولة الغزنوية وانتهت أيامها .

٢ - الغوريون :

تقع بلاد الغور فى افغانستان الحالية بين هراة وغزنة (١) ، وقامت دولة مستقلة فى هذه المنطقة تتخذ من فيروزكوه عاصمة لها ، وكان الغور لا يدينون بالاسلام حتى غزاهم السلطان الغزنوى محمود بن سبكتكين سنة ٤٠١ هـ / ١٠١٠ م (٢) .

شكل الغور خطرا جسيما على الدولة الغزنوية فى عهد السلطان محمود بن سبكتكين ذلك انهم دأبوا على شن الغارات على رعايا هذا السلطان ، واتخذوا من وعورة بلادهم وصعوبة مسالكها معصما يقيهم بأسه (٣) .

لما كثرت غارات الغور على بلدان الدولة الغزنوية انف السلطان محمود ان يكون مثل اولئك المفسدين جيرانه ، وهم على هذا الحال من الكفر والفسوق والعصيان ، وعول على اخضاعهم ، واعد جيشا كبيرا سار على راسه الى بلاد الغور سنة ٤٠١ هـ / ١٠١٠ م والتقى بجحافلهم فى معركة عنيفة ، مزقهم فيها كل ممزق (٤) ، واغلق الطرق المؤدية الى بلادهم ، بينما سار الجيش الغزنوى داخل بلاد الغور (٥) ، والتقى بأميرهم فى مدينة آهنكران ، وحدث اشتباك عنيف بين الفريقين تفوق فيه جند الغور ، لذلك امر محمود بن سبكتكين جنده بأن يولوا الغور

(١) K. Ali : A New History of Indo — Pakistan. (١)

p. 34.

Habib : Sultan Mahmud of Ghaznin. p. 32. (٢)

Lane Poole : The Mohammadan Dynasties. p. 29. (٣)

Majumdar : An Advanced Hist. of India. p. 276.

Munshi : The Struggle for Empire. p. 9. (٤)

(٥) العتبي : تاريخ اليمى ج ٢ ص ١٢٢ - ١٢٣ .

الادبار على سبيل الاستدراج ، وانسحب الجند الغزنوي ، فظن الغور أن ذلك هزيمة ، وساروا في أثر جيش السلطان محمود حتى ابتعدوا عن بلادهم ، فواتت الفرصة الجند الغزنوي للانتقضاض على الغور ، وفعلا باغتوهم ، ووضعوا السيوف فيهم ، وقتلوا كثيرا منهم ، وشتتوا شملهم ، ووقع أمير الغور أسيرا في أيدي الغزنويين ، وامتلك السلطان محمود قلاع الغور وحصونهم . ومن ثم دخلت بلاد الغور في حوزة سلطان غزته (١) . . ولما كان الغور حتى ذلك الحين على غير دين الاسلام ، فقد حرص محمود بن سبكتكين على نشر الاسلام بينهم (٢) : فاستخلف عليهم الفقهاء يعلمونهم الدين وشرائعه (٣) .

رفض أمير الغور أن يقع أسيرا في أيدي غريمه لذلك أثر الانتحار (٤) ، وأبقى السلطان محمود حكم الغور في أيدي بيتهم الحاكم ، ولكن في ظل السيادة الغزنوية ، وارتفع شأن أمراء الغور في الدولة الغزنوية حتى أنهم ارتبطوا بصلة النسب ببيت سبكتكين ، لكنهم رغم ذلك تطلعوا الى الاستقلال عن غزته ، وأخذوا يتحينون الفرص المناسبة لتحقيق سياساتهم ، وفعلا تطورت الامور في صالحهم (٥) ، ذلك أن الدولة الغزنوية انشغلت في دفع خطر السلاجقة الزاحفين على اقليم خراسان فأعد الغور عدتهم للاستقلال ، وتحقيق اطماعهم التوسعية على حساب الدولة الغزنوية . ولما انهك السلاجقة قوى سلطان غزته ، واستولوا على الكثير من ممتلكاته ، سار محمد بن الحسين - أمير الغور - الى غزته بغية الاستيلاء عليها سنة ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م لكن السلطان الغزنوي بهرام شاه أحبط محاولته وهزم جنده ، وقبض عليه وقتله (٦) .

استنكر الغور قتل السلطان الغزنوي لأميرهم ، وعولوا على الانتقام من بهرام شاه ، وأعد سوري بن الحسين - أمير الغور الجديد - العدة لذلك ، فقوى من أمر جنده ، وسار على رأسهم الى غزته بقصد الاستيلاء عليها ، والأخذ بشار أخيه (٧) ، ولما اقترب سوري من غزته بجحافله ،

(١) تاريخ البيهقي ص ١١٨ - ١٢٠ .

(٢) خوندميزر : جيب السير ج ٢ ص ٢٢ .

(٣) K. Ali : A New History of Indo-Pakistan. p. 34. (٣)

Munshi : The Struggle for Empire. p. 117. (٤)

Habib : Sultan Mahmud. of Ghaznin. pp. 33-34. (٥)

Lane Poole : Medieval India. pp. 46-47. (٦)

Lane Poole : The Mohammadan Dynasties. pp. 291-292. (٧)

رأى بهرام شاه أنه لا يستطيع التصدي للغور الاقوياء ، فغادر حاضرة دولته ، وذهب الى الهند الغزنوية ليجمع منها جيشا قويا ، ويعود الى غزنة لتحريرها من قبضة الغور (١) .

أما الغور بقيادة سوري ، فقد استولوا على غزنة ، لكن جند غزنة وأهلها ساءهم احتلال الغور لمدينتهم ، وانتزاعهم الحكم من بيت سبكتكين ، وظلوا يتحينون الفرص للتخلص من الغور ، وواتتهم الفرصة حينما عاد السلطان بهرام شاه الى غزنة على رأس جيش كبير لاسترداد حاضرة ملكة من الفاصبين (٢) ، ووقف جند غزنة وأهلها الى جانب بهرام شاه في الاشتباك الذي حدث بينه وبين أمير الغور الذي اغتصب أعز قطعة من مملكته ، وقد انتهى القتال بهزيمة سوري (٣) ، وقبض بهرام شاه عليه وقتله وولى جنده الادبار الى بلادهم لا يلون على شيء ، وعاد بهرام شاه الى حاضرة ملكه ظافرا منتصرا سنة ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م وابتهج أهلها بمقدمه ، وبقهر الغزاة الطامعين (٤) .

لما قتل سوري خلفه علاء الدين الحسين بن الحسين في حكم الغور ولم يتفاض عن قتل أخيه سوري وهزيمة جنده ، وطردهم من غزنة ، بل عول على الانتقام من السلطان الغزنوي وأهل غزنة لتنكيلهم بجند الغور وأميرهم سوري ، فسار على رأس جيش كبير الى غزنة ، واستولى عليها (٥) ، وولى السلطان الغزنوي بهرام شاه هاربا الى بعض البلاد المجاورة ليستجمع قوته ، ويعود الى حاضرة دولته . أما علاء الدين الحسين بن الحسين ، فقد أقر الامور في غزنة ، وعاد الى بلاده بعد أن استخلف على غزنة أخاه سيف الدين ، وأمره باقامة الخطبة له في هذه المدينة (٦) كما طلب منه بأن يسير في الناس سيرة حسنة ، ويحكم بالعدل وفعلا نفذ سيف الدين تعليمات أخيه ، فأحسن الى أهل غزنة وأجزل على أعيانها الصلات النفيسة ، وخلع عليهم خلعا سنية (٧) حتى تطيب نفوسهم ، ويخلصوا للعهد الجديد .

-
- (١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، حوادث سنة ٥٤٣ هـ .
(٢) ابن خلدون : المعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٤ ص ٣٨٨ - ٣٨٩ .
(٣) Lane Poole : Medieval India. pp. 46-47.
(٤) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ج ٣ ص ٢٦ .
(٥) Lane Poole : The Mohammadan Dynasties. pp. 291 - 292.
(٦) خوندмир : حبيب السير ج ٢ ص ٣٣ .
(٧) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، حوادث سنة ٥٤٧ هـ .

على أن هذه السياسة لم تؤت ثمارها ، اذ كان أهل غزّة لا يزالون على ولائهم واخلاصهم لبيت سبكتكين ، ويعارضون حكم الغور لهم ، وأعدوا العدة للتخلص منهم ، فلما كان شتاء سنة ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ وانقطع الطريق بين غزّة وبلاد الغور بعد أن غطاه الثلج ، أمن أهل غزّة عدم وصول النجادات العسكرية من بلاد الغور الى بلدهم ، ونادوا بشعار بهرام شاه (١) ، وارسلوا اليه يطلبون منه العودة الى حاضرة ملكه ، وتحريرهم من نير الغور المفتصين للحكم من أصحابه الشرعيين ، فاستجاب بهرام شاه لنداء أهل غزّة ، وسار على رأس جيش كبير الى غزّة ، ولما اقترب منها قبض أهل غزّة على سيف الدين - الحاكم الغورى - ومهدوا لبهرام شاه أمر دخول غزّة (٢) ، فدخلها ونكل بالغور وبذلك استرد بهرام شاه غزّة للمرة الثانية . على أن بهرام شاه لم يلبث أن توفى وولى بعده ابنه خسرو شاه (٣) وكان علاء الدين الحسين بن الحسين - أمير الغور - قد أعد العدة للسير الى غزّة واستعادتها والانتقام من أهلها الذين قتلوا رجاله فلما علم خسرو شاه بزحف أمير الغور على غزّة أسقط في يده وخاف العاقبة وغادر غزّة وقصد لاهور واستقر بها ونقل اليها حكومته وجعلها حاضرة لدولته بدلا من غزّة (٤) . أما أمير الغور فقد استرد غزّة وضمها الى حوزته سنة ٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م ولم يتيسر هذا الأمير موقف أهل غزّة العدائي من قومه فالحق بهم ويلات (٥) ، وأباحها لجنده ثلاثة ايام كاملة لقي خلالها أهلها سوء العذاب ولم يكتف بذلك بل دمر حاضرة بنى سبكتكين بما في ذلك المنشآت التي انشأها سلاطين غزّة العظام حتى سماه أهل غزّة « محرق العالم » (٦) على أنه أصلح أمور غزّة بعد أن أسرف في الانتقام من أهلها ورأب الصدع (٧) ، ونقل الكثير من أهل غزّة ممن يخشي بأسهم الى بلاده وأسكنهم بعض قلاعها وبذلك كفل بسياسته هذه اضعاف مقاومة سكان غزّة لحكم الغور وبقائها في حوزته (٨) .

-
- (١) براون : تاريخ الأدب الفارسي ج ٢ ص ٣٨٢ - ٣٨٣ .
 (٢) Lane Poole : The Mohammadan Dynasties. p. 292.
 (٣) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٢٦ .
 (٤) Lane Poole : The Mohammadan Dynasties. p. 292.
 (٥) K. Ali; A New History of Indo-Pakistan. p. 43.
 (٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، حوادث سنة ٥٤٧ هـ .
 (٧) ابن خلدون : العبر وديوان المبدأ والخبر ، ج ٤ ، ص ٣٨٩ .
 (٨) Majumdar : An Advanced Hist. of India. p. 277.
 A Short. of Hind-Pakistan. p. 122.

قويت دولة الغور فى عهد أميرها علاء الدين الحسين بن الحسين وتطلع الى توسيع رقعة دولته فسار على رأس جيش كبير الى خراسان وعاث جنده فسادا وتخريبا فى أعمال هراة - وسار الى بلخ وحاصرها وضيق عليها الحصار حتى استسلمت له وضمها الى حوزته على انه لم يحظ بحكمها طويلا فقد سار اليه السلطان السلجوقى سنجر ليستعيد بلخ من الغور ويمنعهم من التعرض لخراسان والتقى السلطان السلجوقى بالامير الغورى فى قتال عنيف هزم فيه الغور ووقع أميرهم أسيرا فى أيدي السلاجقة على أن السلطان سنجر لم يلبث أن عفا عنه وخلع عليه وأعادته الى فيروزكوه .

واصل أمير الغور سياسته الرامية الى ضم مزيد من البلاد الى دولته على الرغم من الهزيمة التى لحقت به ونظم ادارة دولته واستعمل العمال والامراء على البلاد وكان ابنا أخيه وهما غيات الدين محمد بن سام وشهاب الدين محمد فيمن استعمل على بلد من بلاد الغور اسمه سنجة (١) . فلما استعملهما أحسنا السيرة فى عملهما وعدلا بين الناس وبذلا الاموال فمال الناس اليهما وانتشر ذكرهما فسعى بهما من يحسدهما الى عمهما علاء الدين وقال أنهما يريدان الوثوب بك وقتلك والاستيلاء على الملك فأرسل عمهما يستدعيهما اليه فامتنعا فسير اليهما جيشا لاختصاصهما والتقى الاخوان بجيش علاء الدين وأوقعا به الهزيمة ، عندئذ جاهرا بعضيان عمهما وقطعا خطبته فتوجه اليهما علاء الدين وحدث اشتباك بين الفريقين انهزم فيه علاء الدين ووقع أسيرا فى أيدي ابني أخيه وعقد صلح بين الامير الغورى والاخوين بمقتضاه تزوج غيات الدين من ابنة عمه علاء الدين وجعله ولى عهده (٢) .

لما توفى علاء الدين الحسين سنة ٥٥٦ هـ / ١١٦٠ م خلفه غياث الدين محمد ، وأقيمت الخطبة له فى غزوة ، لكن الغور لم يلبثوا أن فقدوا غزوة ، ذلك أن الغز طمعوا فيها بعد موت علاء الدين الحسين ، واستولوا عليها (٣) ، وطرردوا الغور منها ، وبقيت غزوة فى أيديهم خمس عشرة سنة ساموا خلالها أهلها سوء العذاب كعادتهم فى كل بلد ملكوه .

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، حوادث ، سنة ٥٤٧ هـ .

(٢) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج ٥ ، ص ٨٦٣ .

(٣) Lane Poole : Medieval India. p. 47.

وفى تلك الفترة كان غياث الدين محمد - أمير الغور - يعد العدة ، ويجمع الجيوش لاسترداد غزته من مفتصبيها الغز (١) .

سار غياث الدين الى غزته فى صحبة أخيه شهاب الدين ، واشتبك الغور مع الغز فى معركة الحقوا بهم الهزيمة ، وطردهم من غزته ، واستردوها ، وأحسن غياث الدين الى أهلها (٢) .

لم يكتف غياث الدين محمد أمير الغور - بامتلاك غزته ، بل عقد العزم على امتلاك البقية الباقية من الدولة الغزنوية لتوسيع دولته الناشئة ، واستئصال شأفة آل سبكتكين حتى يضمن لدولته - التى قامت على انقراض الدولة الغزنوية الأمن والاستقرار فأرسل جيشا استولى على بلدان الغزنويين غير الهندية ، وضمها الى دولته . ثم عبر شهاب الدين الغورى نهر السند معتزما الاستيلاء على ممتلكات الغزنويين فى الهند واتجه الى لاهور - قاعدة آخر سلاطين سبكتكين - وفى طريقه اليها استولى على ممتلكات الغزنويين الهندية ثم حاصر لاهور - آخر معاقل الغزنويين - فى جمع عظيم وحشد كبير ، محاصرها وضيق عليها الحصار ، وأرسل شهاب الدين الى خسرو شاه وأهل لاهور يعرض عليهم الامان على أنفسهم وأهلهم وأموالهم ان يسروا امر استيلائه على لاهور ، وحذرهم عاقبة التعرض لقواته (٣) ، لكن خسرو شاه وأهل لاهور أصروا على مقاومة الغور ، وبذلوا فى سبيل ذلك الأنفس والاموال ، غير أن مقاومتهم للغور اعتراها الضعف والوهن (٤) ، فأرسل خسرو شاه - السلطان الغزنوى - الى شهاب الدين قائد الغور وفدا يطلب الامان فأجابه شهاب الدين الى طلبه ، ودخل الغور لاهور ، وقبضوا على خسرو شاه . وبذلك فقدت الدولة الغزنوية آخر معاقلها ، وزالت الدولة الغزنوية يذلك فى الهند وغير الهند ، وامتد ملك الغور فى أفغانستان وبلاد الهند على حساب الدولة الغزنوية (٥) . كما اتسع ملك الغور ، واستقر سلطانهم ، وكثر جندهم وقوى بأسهم ، وأمر غياث الدين أخاه

Morel : A Short History of India. p. 152. (١)

K. Ali : A New History of Indo-Pakistan p. 34. (٢)

ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، حوادث ، سنة ٥٤٧ هـ . (٣)

Lane Poole : The Mohammadan Dynasties, p. 293. (٤)

Morel : A short History of India. p. 152. (٥)

شهاب الدين باقامة الخطبة له بالسلطنة (١) ، ولقبه الخليفة العباسي غياث الدين والدنيا ، معين الاسلام قسним أمير المؤمنين ، ولقب السلطان غياث الدين أخاه شهاب الدين ، عز الدين . واكسب اعتراف الخليفة العباسي لسلطان الفور الصفة الشرعية لحكمه على البلاد التي دخلت في حوزته (٢) . وبذلك قوى نفوذ غياث الدين .

لهم يكتف الفور بما امتلكوه من بلدان ، بل سعوا الى توسيع دائرة نفوذهم ، فبعد أن استقر أمر لاهور ، سار السلطان غياث الدين محمد في صحبة أخيه شهاب الدين الى هراة وشدد الفور عليها الحصار ، وكان يسيطر عليها جماعة من الترك السلاجقة يخضعون للسلطان سنجر ، وما زال الفور يحاصرون هراة ، ويضيقون عليها الحصار حتى طلب أهلها الامان ، فأمنهم غياث الدين محمد ، ودخل هراة ، وضمها الى دولته وتقدم سلطان الفور الى بوشمنج واستولى عليها ، كما امتلك بادغيس وبعض البلدان المجاورة لها في اقليم خراسان (٣) .

يتضح لنا مما تقدم أن امارة الفور الافغانية انضمت الى الدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود ، واعتنق أهلها الاسلام ، وترقبوا الفرص للعودة الى الاستقلال ، ولما ضعفت الدولة الغزنوية ، تمكنوا من الانفصال عنها ، بل وتجاوز أراضيهم الجبلية الوعرة الى البلاد الغزنوية في أفغانستان وبلاد الهند حتى أدخلوها في دائرة نفوذهم وضموا الى دولتهم كذلك أجزاء من اقليم خراسان واقلية هندية .

الفور وبلاد الهند

يرجع الى الفور الفضل في توطيد دعائم الحكم الاسلامي في شمال الهند ، حقيقة ان السلاطين من بنى سبكتكين هم الذين فتحوا أمام قادة المسلمين من بعدهم سبيل التوسع والفتح في بلاد الهند الا أن سياسة سلاطين بنى سبكتكين تختلف عن سياسة سلاطين الفور في الهند ،

(١) Lane Poole : Medieval India. p. 152.

(٢) Munshi : The struggle for Empire. p. 118.

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، حوادث سنة ٥٤٧ هـ .

Lane Poole : The Mohammadan Dynasties. p. 292.

بوشمنج وبادغيس من أعمال خراسان .

فالفزنويون لم يعملوا على تثبيت اقدامهم فى هذه البلاد ، بل وجهوا اهتمامهم بالدرجة الاولى الى الحصول على المغنم الكثيرة من بلاد الهند ، اما الغور فقد استقروا فى البلاد الهندية التى ضموها الى حوزتهم ، ومن ثم احتفظت الهند بمالها واثرواتها واتسع سلطانهم فى بلاد الهند ، ورأى الهنادكة فى المسلمين خلاصا من نير امرائهم الذين حرموهم من التدرج فى سلك الوظائف مهما كانت كفاياتهم ومعتقداتهم ، بينما يساوى الاسلام بين ابنائه .

وقبل ان نتحدث عن فتوحات الغور فى بلاد الهند يجدر بنا ان نناقش الدوافع والاسباب التى وجهت انظار المسلمين الغور الى بلاد الهند .

لما كانت دولة الغور قد قامت فى أفغانستان فى منطقة جبلية وعرة ، واتخذت لها قوة ضاربة قهرت الفزنويين ، وانتزعت ممتلكاتهم فى غزنة وما جاورها ، فمن الطبيعى ان يعمل الغور على البحث عن ميادين جديدة للتوسع ، ومن الطبيعى جدا ان تكون بلاد الهند هى ذلك الميدان ، ويؤيد ذلك ما ذكره المؤرخ بانىكار (١) اذ قال « كلما كانت أفغانستان قوية مدت نفوذها الى بلاد الهند ، والعكس كلما ضعف امر أفغانستان أمنت الهند من غزوها لأراضيها » .

ومن الاسباب التى دعت الغور الى الاتجاه الى بلاد الهند عدم استطاعتهم الزحف الى وسط آسيا حيث الدولة الخوارزمية ودولة الخطا تقومان فى هذه الجهات ، ولا تمكنان الغور من التوغل فى بلادهما .

وكان من الضرورى للغور ، ومن المنتظر ايضا ان يولوا وجوههم شطر الهند لان الفزنويين نقلوا مقر دولتهم الى لاهور ، واخذوا فى العمل على تقوية امرهم لاسترداد البلاد التى انتزعها الغور منهم فى أفغانستان ، فكان لابد اذن للغور من القضاء نهائيا على آخر معاقل الفزنويين فى الهند حتى يأمنوا على دولتهم الناشئة من أية محاولة قد يبذلها الفزنويون لاسترداد أفغانستان منهم .

وهناك اسباب اخرى شجعت الغور على الاتجاه الى بلاد الهند ، فالامراء الهنود - كما سنرى - فى شمال الهند اضعفتهم وانهكت قواهم

A Surrey of India. pp. 122-123.

(١)

الانقسامات والخلافات وعلى ذلك رأى الغور أنهم لن يواجهوا متاعب كثيرة فى تحقيق سياستهم فى بلاد الهند . ولا يفوتنا أن نذكر أن الغور كانوا حديثى عهد بالاسلام تحذوهم الرغبة والامل فى الجهاد فى سبيل نشر الاسلام فى غير بلاد الاسلام ، وبلاد الهند التى لا يزال معظم سكانها على الوثنية خير ميدان يجاهد فيه الغور من أجل رفع راية دينهم ونشره . ولقد انقسم القسم الشمالى من الهند حينما شرع الغور فى الزحف اليها الى ممالك متعددة منقسمة على نفسها ومستقلة عن بعضها ، فهناك مملكة البنجاب ويحكمها السلطان الغزنوى خسرو شاه - آخر سلاطين بنى سبكتكين ومملكة الملتان ، وتحكمها أسرة اسماعيلية من القرامطة ، والسند وتحكمها أسرة هندية تسمى سمارس ، ، يضاف الى ذلك امارات يحكمها أمراء هنود من الراجبوتيين فى شمال الهند من أهمها مملكة دلهى وآجمير ومملكة قنوج وتضم بنارس ، ومملكة جوجرات ونهرواله ، ومملكة بند لخاند وتضم كالنجار وهانسي ومملكة بهار ، ومملكة البنغال ، ويسمى هذا القسم هندوستان ويشمل أخصب بقاع الهند وأكثرها سكانا (١) .

سار الغور بقيادة السلطان غياث الدين محمد الى الملتان سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م واستولوا عليها ، ثم ضموا بشاور الى دولتهم ، ولم يستطع بهيم ديوا - راجا نهرواله - وقف زحف الغور مما مكنهم من مواصلة تقدمهم فى أرض السند حتى استولوا عليها (٢) .

قصد السلطان الغورى بعد ذلك لاهور ، وتصدى له السلطان خسرو شاه وأوقع به الهزيمة ، فاتجه سلطان الغور الى سيالكوت وانتزعها ، واتخذها قاعدة لشن الغارات على لاهور ، وبعد عدة سنوات استطاع سلطان الغور الاستيلاء على لاهور ، وبسقوط لاهور فى أيدي الغور ، اكتملت سيطرتهم على اقليم البنجاب بأكمله (٣) .

لما أتم السلطان الغورى ضم بلاد السند والبنجاب الى حوزته عهد الى أخيه شهاب الدين بحكم هذه البلاد نيابة عنه فاتخذ من لاهور مركزا له ، وعمل شهاب الدين منذ أن ولى امر هذه البلاد على تثبيت أقدام

K. Ali : A New History of Indo-Pakistan. p. 35-36. (١)

I B D. P. 36. (٢)

Munshi : The Struggle for Empire. p. 118. (٣)

الفور فيها وتوسيع ممتلكاتهم فى الهند (١) .

فطن الامراء الراجبوتيون الى خطر الفور وخشوا من ازدياد نفوذهم ورأوا فى ذلك خطرا يهدد سلطانهم فتحالفوا فيما بينهم ونسوا خلافاتهم وعقدوا العزم على طرد الفور من بلاد الهند قبل أن يهاجموا ديارهم ويهتزعوا بلادهم أو بعبارة أخرى يتغذوا بالفور قبل أن يتعشوا بهم . وفى سنة ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م حشد الامراء الراجبوتيون أمراء شمال الهند أصحاب دلهى وآجمير وقنوج وبهار والبنغال والكجرات وبندلخاند ، حشدوا قواتهم عند سرهند على حدود البنجاب الشرقية (٢) واستنفروا الهنادكة بالانضمام اليهم فأقبلوا عليهم من كل حذب وصوب على الصعب والدلول ، فلما علم شهاب الدين بنوايا الامراء الراجبوتيين نحوه وتجمعهم لملاقاته سار اليهم على رأس جيش كبير ودارت معركة عنيفة بين الفريقين انتصر فيها الهنادكة على الفور وقتلوا وأسروا من المسلمين كثيرين وأصيب شهاب الدين بجراح شديدة ، وكاد أن يلقى مصرعه لولا أن بعض جنده حمله الى خارج ميدان القتال ، ودارت المعركة عند (تارين) على مقربة من (ثيسر) (٣) .

على أن غياث الدين سلطان الفور لم يتغاض عن هزيمة جنده فى الهند ، بل رأى ضرورة محاربة أعدائه واخضاعهم ، واعادة نفوذ الفور فى الهند الى ما كان عليه من القوة والغلبة ، فأعد جيشا مكونا من مائة وعشرين ألف مقاتل من الافغان والترك والخلج والفرس ، سار على رأسه شهاب الدين فى العام التالى ، والتقى بأعدائه فى نفس الموضع الذى نشبت فيه معركة العام السابق ، وعلى الرغم من التفوق العددي للهنادكة واستخدامهم الفيلة فى الحرب الا أن قوات الفور أحرزوا انتصارا رائعا على الهنادكة وقتلوا الوفا منهم من بينهم بعض الامراء وخر أمير آجسيمر صريعا ، وغنم الفور مغانم كثيرة (٤) .

وكان لهذه الواقعة آثار بعيدة المدى فى شمال بلاد الهند ، فقد تقلص نفوذ وسلطان الامراء الراجبوتيين فى هذه الجهات ، كما امتد

K. Ali : A New History of Indo-Pakistan. p. 36.

(١)

Lane Poole : Medieval India. p. 51.

(٢)

Munshi : The struggle for Empire. p. 118.

(٣)

Lane Poole : Medieval India. p. 53.

(٤)

سلطان الغور الى بلاد سروستى وسمنه وكهرام وهنسي وأجمير (١) ، وحطم شهاب الدين الاصنام فى هذه البلاد التى امتلكها ، وشيد مساجد يذكر فيها اسم الله ، وحطم معابد الشرك (٢) . كذلك أصبح الطريق مفتوحا امام الغور للزحف الى دلهى « وهى كرسي الممالك التى فتحها الغور فى بلاد الهند » فعلا تمكن الغور من ضم دلهى الى حوزتهم (٣) . وبذلك اتسعت دولتهم فى الهند حتى اقتربت من حدود الصين شرقا . ويذكر المؤرخون أن هذه المعركة تعتبر معركة فاصلة فى تاريخ الهند ، لأنها أرست أسس الحكم الاسلامى فى هذه البلاد (٤) .

عهد شهاب الدين الغورى الى مملوكه قطب الدين أيبك بحكم البلاد الهندية الداخلة فى دائرة نفوذ الغور نيابة عنه ، وعاد الى غزنة ، وجدير بالذكر أن أيبك عرف عنه الحنكة السياسية والكفاءة الحربية . وجعل من دلهى قاعدة لحكمه فى بلاد الهند بدلا من لاهور التى تبعد عن البلاد الهندية التى يمتلكها الغور (٥) .

على أن الامراء الهنادكة لم يلبثوا أن أعدوا عدتهم وتاهبوا لطرد الغور من بلادهم بعد أن عظم أمرهم فى بلاد الهند ، وواتتهم الفرصة حين نمت الى علمهم عودة شهاب الدين الى غزنة فاتحدوا بقيادة راجا قنوج جايا جندرا ، ومملكته تمتد من وراء دلهى حتى حدود بنارس ، وفى غضون ذلك وصل شهاب الدين الى بلاد الهند ، وانضم اليه قطب الدين ، وسار جيش الغور الى الامراء المتحالفين ، واشتبك الفريقان فى معركة فى شانندوار ، انتصر فيها المسلمون على أعدائهم انتصارا رائعا ، وزحف الغور الى بنارس واستولوا عليها ، وقتل أمير قنوج فى ٥٩٠هـ / ١١٩٤م ومن أبرز نتائج هذه المعركة ازدياد نفوذ وهيبة الغور فى بلاد الهند وفشل الامراء الراجيوتيين فى شمال الهند فى استرداد بلادهم التى انتزعها منهم

Munshi : The Struggle for Empire. p. 118. (١)

K. Ali : A New History of Indo-Pakistan. p. 38. (٢)

Munshi : The Struggle for Empire. p. 119. (٣)

Lane Poole : Medieval India. p. 54. (٤)

Munshi : The Struggle for Empire. p. 119. (٥)

المسلمون لذلك لجأوا الى صحراء الراجيوتانا التى حملت اسمهم (١)
(الشار) .

لم يأل قطب الدين أيبك جهدا فى سبيل توسيع رقعة دولة الغور
فى الهند ، بل عمل على ضم المزيد من بلاد الهند الى حوزة الغور ، وفى
٥٩٣هـ / ١١٩٦م استولى أيبك على جاوالار gawalior كما استولى على
نهرواله . وفى سنة ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م ضم كالنجار الى حوزته ، ولم
تستطع قلعتها الصمود أمام ضربات المسلمين القوية فاستسلمت حاميتها ،
يضاف الى ذلك استيلاء الغور على بعض البلاد فى شمال الهند ، وبذلك
سيطر الغور على أراضي شمال الهند كلها (٢) .

وبينما يعمل قطب الدين أيبك على تثبيت أقدام المسلمين فى بلاد
الهند خرج قائده محمد بن بختيار الخلجى فى قلة من الجند يواصل
سياسة حكومته الرامية الى توسيع امبراطورية الغور فى الهند ،
فاستولى على يندنتبورى عاصمة اقليم بهار ويحكمها ملوك أسرة بالا
Pala ولم يلبث أن استولى على مملكة بالا بأسرها . وكانت الديانة
البوذية عقيدة السواد الأعظم من سكانها . فحطم معابدهم وأصنامهم .
ونشر الاسلام بينهم (٣) وانضمت هذه البلاد الى امبراطورية الغور (٤) .

واذن قطب الدين أيبك - نائب سلطان الغور فى الهند - الى
الخلجى بمواصلة الفتح والتوسع ، فاتجه محمد بختيار الخلجى الى نادية
عاصمة البنغال وعلى الرغم من قلة عدد قواته فقد اقتحم نادية ، ويحكمها
لكشمن سنا من أسرة سنا سنة ٥٩٥هـ / ١١٩٧م وفر الملك الشيخ من
عاصمة دولته بعد أن علم بدخول الغزاة المسلمين لها - فاستولى عليها
بختيار وضمها الى مملكة الغور ، واقام فيها الخطبة لسلطان الغور وقد
يسر سقوط نادية فى أيدي الغور امر استيلائهم على اقليم البنغال

-
- Majumdar : An Advanced Hist. of India. p. 229. (١)
A short Hist. of Hind — Pakistan. pp. 124-125.
Morel : A Short History of India. p. 152. (٢)
Lane Poole : Medieval India. p. 54. (٣)
Prasad : Medieval India. pp. 118-120. (٤)
Majumdar : An Advanced Hist. of India. 279. (٥)

بأكمله (١) .

لم يكتف بختيار الخلقى بما أحرزه من انتصارات بل تطلع الى السير الى التبت والاستيلاء عليه ففي سنة ٦٠٣ هـ / ١٢٠٦ م اتجه من ديفكوت Devkot الى دناجبور Dinajpur في عشرة آلاف إفارس . لكن حملته فشلت فشلا ذريعا وفي عودته الى ديفكوت فقد معظم جيشه . ولم يلبث هو كذلك ان توفي (٢) . وقد حرص قطب الدين أيبك على المحافظة على ممتلكات الغور الهندية فقضي على محاولات بعض أمراء الهند في الاستقلال عن مملكة الغور ، ففي سنة ٥٩٨ هـ شق أهل نهرواله عصا الطاعة على الغور ، فقاتلهم أيبك وهزمهم شر هزيمة ، وشتت شملهم واسترد نهرواله وعفا عن حاكمها . وأبقاه في بلدته بعد ان دفع مبلغا كبيرا من المال وتعهد بعدم العودة الى العصيان (٣) .

بدأت متاعب الغور في بلاد الهند في مستهل القرن السابع الهجري ذلك أن بعض الولايات الهندية خرجت على حكومة الغور منبهة فرصة انشغال الغور ، في الحروب في إيران ، ومن أبرز الانتفاضات التي انهكت الغور ثورة الكهكوية وبلادهم قليلة المياه صعبة المسالك وتقع على قمم الجبال ، وامتنعوا عن دفع الخراج الى حكومة الغور وقطعوا الطريق بين غزوة ولاهور . ولم يستطع والى الملتان التصدي لهم ولما زاد خطر الكهكوية أرسل شهاب الدين الى قطب الدين أيبك يأمره بالضرب على أيدي الكهكوية ، واعادتهم الى الولاء والطاعة ، وأرسل أيبك اليهم يدعوهم الى الطاعة ، وترك التمرد والعصيان ، لكن الكهكوية لم يدعنوا لنداء نائب السلطان وبقوا على عصيانهم ، وطردوا عمال الغور من بلادهم ، وأقبلت الهنود عليهم تؤيدهم في موقفهم العدائي من الغور فقوى أمرهم (٤) .

(١) K. Ali : A New History of Indo-Pakistan. p. 40.

(٢) Munshi : The Struggle for Empire. p. 119.

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، حوادث ، سنة ٥٩٧ هـ .
A short Hist. of Hind — Pakistan. 128.

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، حوادث سنة ٦٠٢ هـ .
Majumdar : An advanced hist. of India. P. 280.

لما رأى شهاب الدين عدم استطاعة عماله فى الهند اخضاع الكهكرية واعوانهم سار بنفسه الى بلاد الهند لاعادة الأمن والهدوء اليها واشتبكت قوات الغور مع الكهكرية فى قتال عنيف ، هزم الغور ، أعداءهم ، وقتلوا كثيرا منهم (١) ، وفر من نجا الى أجمة هناك وأشعلوا نارا والقوا بأنفسهم فيها قبل أن تأخذهم سيوف المسلمين ، وغنم المسلمون منهم ما لا يسمع بمثله ، وبذلك عادت الى الغور هيبتهم فى بلاد الهند وأمنت امبراطوريتهم فى الهند من حركات التمرد (٢) ، بل وقد على شهاب الدين بعض رؤساء القبائل الذين انضموا الى الكهكرية يعلنون ولاءهم وعودتهم الى الطاعة (٣) .

ويجدر بنا أن نناقش أسباب تفوق الغور المسلمين على الهنود ، فمن بين هذه الاسباب دقة المسلمين ومهارتهم فى ادارة العمليات الحربية ، يضاف الى ذلك أن بلاد الهند كانت تنقصها وحدة سياسية تجمع بينها وتقوى من أمرها اذ كانت الهند دولا مستقلة يحكمها أشخاص لا يرتبطون مع بعضهم البعض برباط يمكن أن يؤدى دوره فى الدفاع عن الوطن فى حالة تعرضه للغزو .

حقيقة أن الامراء الراجبوتيين كانوا محاربين أكفاء ، لكنهم لم يخضعوا لامير يوحد شملهم فى مواجهة العدو المشترك ، ولما واجهوا الغور ، لم يستطيعوا الصمود كثيرا أمام هجماتهم نظرا لان الترك كانوا فى مستوى أعلى منهم فى التدريب والتنظيم والتطور الحربى ، والهنادكة لم يكن عندهم الاستعداد الكافى لمسايرة أحدث التطورات فى التنظيمات العسكرية والاساليب الحربية ، وأخيرا فان الدين الاسلامى قد أعطى للغور حماسا وقوة للجهاد فى سبيل الله ، ولقد وحد بين المسلمين وجمع شملهم روح الاخوة والمساواة التى بثها الاسلام فى قلوب أبنائه أما الهنادكة فالنظام الطبقي السائد بينهم والذى بمقتضاه انقسم الناس الى منبوذين وأشراف عرقل وقوفهم صفا واحدا فى وجه غزاتهم (٤) .

والخلاصة أن سلاطين الغور ، نجحوا فى اقامة دولة اسلامية فى شمال الهند ومهدت سياستهم فى هذه البلاد الى قيام امبراطورية اسلامية فيها لها تقاليد ومقوماتها ذلك أنهم أسندوا ادارة دولتهم فى

-
- (١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، حوادث سنة ٦٠٢ هـ .
Munshi : The Struggle for Empire. p. 124. (٢)
Lane Poole : Medieval India. p. 55. (٣)
K. Ali : A New History of Indo-Pakistan. pp. 40-42. (٤)

الهند الى رجال اكفاء احسنوا توجيههم ، فعملوا على تثبيت الحكم الاسلامى فى هذه البلاد ، ولقد حرص خلفاء شهاب الدين - من مماليك الترك - على اتباع التقاليد التى وضعها سيدهم فى حكم الهند لذلك يمكن القول بأن شهاب الدين الفورى ليس غازيا للهند فقط بل يعتبر بحق واضع اساس امبراطورية المسلمين فى الهند (١) .

ضعف مملكة الفور وانهارها

سار السلطان غياث الدين محمد فى دولته سيرة حسنة فقد شيد بها المساجد والمدارس ، وكان ينسخ المصاحف بخطه ، ويودعها فى مكتبات المدارس التى أسسها ، وخفف عن الناس عبء الضرائب ، ولم يتعرض لمال أحد بسوء ، وإذا مات رجل فى غير بلده ، سلم ماله الى أحد التجار من أهل بلده ، فان لم يجد أحدا يسلمه الى القاضي ، ويختم عليه الى أن يصل اليه من يأخذه من ورثته . وكان يخلع على الفقهاء والأدباء والشعراء ، وينفق على الفقراء ، يضاف الى ذلك حرصه على وحدة العقيدة ، اذ كان يكره التعصب لمذهب معين ، ويقول : التعصب فى المذاهب من الملك قبيح (٢) .

كذلك كان شهاب الدين محمد عادلا حسن السيرة فى رعيته وبلغ من اهتمامه بسير العدالة أن القاضي بغزنه يحضر داره فى بعض ايام الاسبوع ، ويحضر معه امير حاجب وامير دار وصاحب بيت المال ، فيحكم القاضي ، وموظفو السلطان ينفذون احكامه على الصغير والكبير والشريف والوضيع ، وان طلب أحد الخصوم الحضور عنده احضره ، واستمع الى اقواله وأمضى عليه أو له حكم الشرع . لذا سارت الامور فى مملكة الفور على احسن نظام ، بعد ان ساد العدل البلاد (٣) .

على أن دولة الفور اضطربت اضطرابا شديدا بعد وفاة السلطان شهاب الدين محمد ، فقد تنافس الامراء والقواد حول عرش السلطنة ، وحدثت حروب انهكت قوى الدولة الفورية حتى زالت فى النهاية .

فلما توفى شهاب الدين تنافس حول السلطنة ، غياث الدين محمود نجل

(١) K. Ali : A New History of Indo-Pakistan. p. 42.

(٢) ابن الأثير : الكامل ، حوادث سنة ٥٥٩ هـ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، حوادث سنة ٦٠٢ هـ .

السلطان غياث الدين محمد ، يساعده تاج الدين يلدز - من اقوى قواد الغور - وابنا بهاء الدين الغورى - صاحب باميان - علاء الدين وجلال الدين ، ودخل الاخوان غزوة فعلا (١) وانتزعا قلعتها ، وفرقا الاموال فى الجند والاعيان ، فدانت لهما غزوة بالولاء والطاعة منتهزين فرصة تغيب غياث الدين محمود فى خراسان ، على ان غزوة لم تصف لعلاء الدين وجلال الدين ، ذلك ان تاج الدين يلدز ما لبث ان دخلها ونهب جنده المدينة ، واستولى يلدز على القلعة ، واخرج الاميرين الغوريين منها ومن غزته كذلك ، وكان يلدز قد عظم امره بعد ان استولى على كل ما فى معسكر سيده شهاب الدين من مال وسلاح وجند .

على ان يلدز لم يكن يعمل باسم غياث الدين محمود كما كان يدعى ، بل كان يعمد على انتزاع الحكم لنفسه ، فلما استوثق له امر غزوة ، لم يأمر الخطيب بالخطبة لغياث الدين محمود وانما يخطب للخليفة ، ويترحم على شهاب الدين ، وفرق الاموال فى الناس ، فطابت نفوسهم (٢) .

اما غياث الدين محمود بن غياث الدين محمد فقد تربع على عرش الملك ، وخطب لنفسه بالسلطنة ، وتلقب باللقاب ابيه غياث الدين محمد فى فيروزكوه ، وفرج اهل البلد به ، ونكل بأعدائه ومعارضيه ، وسلك طريق ابيه فى الاحسان والعدل ، الا انه لم يستطع استرداد بلاد خراسان التى انتزعها الخوارزميون من مملكته (٣) .

على ان امر يلدز قد ساء ، ذلك ان قطب الدين ايبك - نائب سلطان الغور فى الهند - ارسل الى يلدز يهدده بالحرب ، ان لم يعد الى طاعة غياث الدين محمود ، ويقيم له الخطبة ، كما ان احد قواد يلدز ، واسمه ايدكر التتر ساءه موقف يلدز ، فخرج على صاحبه ، واستولى على غزوة واموالها ، واقام الخطبة فيها لغياث الدين محمود وارسل غياث الدين محمود اليه يلقيه « ملك الامراء » ورد عليه المال الذى كان اخذه من الخزانة ، وقال له : اما مال الخزانة فقد اعدناه اليك لتخرجه واما اموال التجار واهل البلد ، فقد ارسلته مع رسول ليعبده الى اربابه حتى لا يحدث ظلم فى دولتنا ، وقد عوضتك عنه ضعفه . وارسل اموال اهل

(١) ابن الأثير : الكامل ، حوادث سنة ٦٠٢ هـ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، حوادث سنة ٦٠٢ هـ .

(٣) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج ٥ ، ص ٨٧٦ .

غزته الى قاضيه ، وأمره برده الى أصحابه . وسار غياث الدين محمود الى بست ، واستردها من يلدز واحسن الى أهلها ، وأعفاهم من خراج سنة لما نالهم من الضر والأذى على أيدي هذا القائد (١) .

أضعفت هذه الانقسامات من شأن دولة الغور ، حتى أن السلطان خوارزشاه ، انتزع ما تبقى لها في خراسان ، بل طمع في الاستيلاء على البقية الباقية من ممتلكات الغور في أفغانستان ، فأمر - أمير ملك - عامله على هراة - بقصد غياث الدين محمود - صاحب الغور و فيروزكوه فسار أمير ملك - القائد الخوارزمي الى فيروزكوه - عاصمة مملكة الغور - ولما رأى غياث الدين محمود - سلطان الغور - أن لا قبل له بالجند الخوارزمي طلب منه الامان ، فأمنه القائد الخوارزمي ، ونزل سلطان الغور اليه من القلعة ، لكن القائد الخوارزمي نكث بالعهد وقبض على السلطان الغوري وقتله ، وضم بلاد الغور الى الدولة الخوارزمية سنة ٦٠٥ هـ . (٢)

ولم يلبث علاء الدين محمد - السلطان الخوارزمي - أن استولى على كافة أرجاء خراسان ، وانتزع باميان من الاميرين الغوريين علاء الدين وجلال الدين ، واستناب يلدز عنه في حكم غزته ، فأقام الخطبة له فيها، ونقش اسمه على السكة . غير أن خوارزشاه لم يطمئن الى ولاء يلدز وأعوانه ، فسار بنفسه الى غزته سنة ٦١٢ هـ ، وقتل من به من جند الغور ولا سيما الاتراك ، وهرب يلدز الى لاهور حيث اغتاله بعض رجال شهاب الدين الغوري .

وبذلك زالت الدولة الغورية على أيدي الخوارزميين بعد أن أنهكت قواها بما شنته من حروب على الخطا والخوارزميين والهنداكة . ويذكر ابن الأثير أن دولتهم كانت من أحسن الدول سيرة ، وأعدلها وأكثرها جهادا .

(١) ابن الأثير : الكامل ، حوادث سنة ٦٠٤ هـ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، حوادث سنة ٦٠٤ هـ .

(٢) نفس المصدر ، حوادث سنة ٦١٢ هـ .

الباب الثاني

الحياة السياسية

في سلطنة دهلـى الاسلامـية

منذ قيامها حتى الغزو التيمورى

- ١ - سلطنة دهلـى الاسلامـية فى عهد الملوك المالـيك .
- ٢ - السياسة الداخـلية لسلطنة دهلـى الاسلامـية فى العهد الخـلجى .
- ٣ - الاحداث الداخـلية فى سلطنة دهلـى الاسلامـية فى عهد بنى تغلق .
- ٤ - ضعف سلطنة دهلـى الاسلامـية وتدهورها .
- ٥ - الامارات المستقلة فى الهند عن دهلـى .

١ - سلطنة دهلي الإسلامية فى عهد الملوك المماليك

شهد العالم الإسلامى فى تاريخه حكاما من الترك كانوا أرقاء عند سادتهم السلاطين واشتغلوا بالجندية ، وتدرجوا فى سلكها حتى بلغوا مناصب رئيسية ، وقد يحدث فى حالة وفاة السلطان وتركه ذرية ضعافا ، أو عدم وجود وارث يخلفه أن يقوم هذا التركى - الذى كان عبدا للسلطان المتوفى - بانتزاع السلطنة لنفسه ، فسبكتين كان مملوكا لألبكتين ، ولما توفى سيده دون أن يترك من يرثه مكن سبكتين لنفسه ، وانفرد بحكم دولة سيده ، ووضع أساس امبراطورية الغزنويين فى جنوب غرب آسيا ، وظل أعقابهم يتوارثون حكم الدولة الغزنوية حوالى قرنين من الزمان ، وعماد الدين زنكى أقام دولة فى الموصل على أنقاض دولة سادته السلاجقة ، وقد كان أتابكا لهم (١) والمماليك فى مصر أقاموا دولتهم بعد أن ضعف سادتهم سلاطين بنى أيوب . وهذا ما حدث بالنسبة لموضوع بحثنا ، إذ أقام المماليك دولة فى الهند بعد أن زالت دولة الغور ، وظلت تحكم أربعا وثمانين عاما (١٢٠٦ - ١٢٩٠) ويذكر لين بول (٢) فى هذا الصدد أن الجندى الكفء من أرقاء الترك كان يستطيع أن يصل الى أعلى الدرجات وأرفعها بما فى ذلك منصب السلطنة . أما عامة الناس من الزراعة والصناع والتجار ، فكانت أوضاعهم مجمدة لا تتغير ولا تتبدل ، ويتعاقب عليهم الحكام من مختلف الاجناس ، ويقفون منهم موقف المتفرج ، وما عليهم الا الطاعة والولاء للحاكم سواء كان ايرانيا أو هنديا راجبوتيا (٣) . أو تركيا أو أفغانيا أو مغوليا ، ويسيطرون حيث تسير بهم الحياة ، كيفما أراد حكامهم الذين يهبونهم الحياة ، أو ينتزعون حقوقهم فيها .

وسلاطين امبراطورية المماليك فى الهند كانوا أرقاء من اجناس

(١) عصام الدين عبد الرؤوف : دولة أتابكة الموصل والجزيرة ، ص ١٦١ .

Medieval India. p. 61.

(٢)

(٣) ينتمى الأمراء الراجبوتيون إلى جحافل الآريين الذين هاجروا إلى الهند قبل قبائل

الهنون البيض ، وقد لعبوا دورا كبيرا فى تطور الحياة السياسية فى بلاد الهند ، واشتهروا

بالجولة والفروسية ، لذلك نسبت الأساطير الهندية نشأتهم إلى تزواج الشمس بالقمح . وظل

الأمراء الراجبوتيون يسيطرون على شمال الهند حتى أضعفهم الغور . فلبأوا إلى صحراء

الثار ، وعاشوا فيها ، وعرفت بعد ذلك باسمهم .

(Prasad : Medieval India pp. 30-31).

مختلفة ، وصلوا الى ما وصلوا اليه بفضل ما اتصفوا به من شجاعة
وبسالة وكفاءة ، وكان شأنهم شأن ممالك مصر يحرسون على تخليد
أسمائهم باقامة المنشآت الكبيرة مثل المساجد الفخمة والعمائر الرائعة .

وقطب الدين أيبك - أول سلاطين المماليك في الهند - كان مملوكا
عند سيده شهاب الدين - سلطان دولة الغور الافغانية - (٥٩٩ هـ -
٦٠٢ هـ) وهو تركستاني الاصل ، اشتراه قاض نيسابور ، وأدبه وأحسن
تأديبه ، وعلمه علوم الدين وإساليب الفروسية ، ولما توفى هذا القاض ،
حمله أحد تجار الرقيق الى غزته حيث اشتراه شهاب الدين الغوري ،
ولس فيه الشجاعة والذكاء وحسن الخلق ، وعهد اليه بالعمل في الجيش
كجندي ، وتجلت شجاعته وبراعته الحربية في معركة تارين سنة ٥٨٨ هـ
/ ١١٩٥ م وهي المعركة التي كانت بين سلطان الغور من ناحية ، والامراء
الراجيوتيين من ناحية أخرى - وكافأ شهاب الدين مملوكه بأن جعله نائبا
له على ممتلكات الغور في الهند ، فأقام في دلهي وجعلها قاعدة لحكمه في بلاد
الهند بدلا من لاهور (١) .

لم يأل قطب الدين أيبك جهدا في سبيل المحافظة على دولة الغور في بلاد
الهند بل عمل على ضم المزيد من أراضي الهند الى دولة الغور ، ففي سنة
٥٩٣ هـ / ٢٠٠ استولى أيبك على كواليار ونهرو اله ، وضم كالنجار الى
حوزته (٢) ، وكذلك امتلك بلاد البنغال وأوقف كل محاولة بذلها الهنادكة
لتحرير بلادهم من قبضة الغور (٣) .

وبقى أيبك على ولائه لدولة الغور حتى في أشد حالات ضعفها ، فلما
ولى غياث الدين محمود سلطنة الغور سنة ٦٠٢ هـ / ٢٠٦ م لم يكن هناك
اجماع على توليته ، فخرج عليه بعض ممالكه ، وعملوا على الاستئثار بالسلطة
والنفوذ دونه ، ومن بين هؤلاء الممالك تاج الدين يلدر الذي سيطر على
غزته ، وأقام الخطبة فيها لنفسه ، وخلع طاعة سلطان الغور (٤) ، بينما
بقى قطب الدين أيبك يدير الممتلكات الاسلامية في الهند باسم سلطان الغور
ويقوم الخطبة باسم غياث الدين محمود ، وضبط الامور في الهند وضرب
بيد من حديد على المفسدين ، وعارض بشدة الحركات المناهضة للحكم

-
- | | |
|--|-----|
| Majumdar. An Advanced Hist. of India. p. 273. | (١) |
| Morel : A Short Hist. of India. p. 152. | (٢) |
| Majumdar : An Advanced Hist. of India. p. 273. | (٣) |
| Lane Poole : Medieval India. p. 54. | (٤) |

الغوري (١) ، فأرسل الى يلدز يقبح فعله ، ويأمره باقامة الخطبة للسلطان الغوري ، وهدده بالمسير اليه ومحاربتة ، ان لم يعد الى الولاء والطاعة ، ولما لم يستجب تاج الدين يلدز ، قام ايبك بالعمل على ضم غزته الى مملكة الغور ، وطرد يلدز منها (٢) .

على ان يلدز لم يركن الى الهزيمة بل انتهز فرصة سقوط الدولة الغورية على ايدي الخوارزميين ، وسيطر على غزته وحكمها باسم علاء الدين محمد خوارزمشاه لكنه لم يلبث ان غادر غزته خوفا من ان يبطش به السلطان الخوارزمي الذي شك في اخلاصه (٣) ، وتوجه الى البنجاب ، وانتزعها من نائب قطب الدين ايبك ، فسار ايبك اليه ، ومازال يطارده حتى غادر الهند . وبذلك انفرد ايبك بحكم الاقليم الاسلامي في الهند ، واعلن نفسه سلطانا في لاهور ، واقامت الخطبة له في بلاد الهند الاسلامية ، ونقش اسمه على السكة ، واتخذ من دلهي قاعدة لدولته .

على ان قطب الدين ايبك لم يلبث ان عفا عن تاج الدين يلدز كما احسن الى غيره من ممالك شهاب الدين مثل التمش وقباجة وارتبط بهم بعلاقات مصاهرة ، فزوج أخته الى قباجة ، وابنته الى التمش ، وتزوج من أخت تاج الدين يلدز ، وكفل بسياسته هذه ضمان تأييد هؤلاء القادة لحكمه ، وعدم التصدي له (٤) .

ويعتبر قطب الدين ايبك اول سلطان مسلم استقل بحكم دولة المسلمين في الهند (٥) وتمكن هذا السلطان بفضل قوته وشجاعته وكفاءته الادارية من بسط سيطرته على شمال الهند مدى العشرين عاما التي حكمها (٦) ، وضبط الامور في دولته ، وسائس الهنادكة احسن سياسة ، وضرب بيد من حديد على ايدي اللصوص وقطاع الطرق ، وانفق بسخاء على الفقراء والمساكين ، وحكم الناس بالعدل ، وعم السلام ربوع دولته حتى قيل ان الذئب والحمل كانا يشربان من نبع واحد في عهده ، وساوى في

Morel : A Short Hist. of India. p. 152.

(١)

(٢) ابن الأثير الكامل ، حوادث سنة ٦٠٣ هـ .

Lane Poole : Medieval India. p. 68.

(٣)

Munshi : The Struggle for Empire. 131.

(٤)

Majumdar : An Advanced Hist. of India. p. 274.

(٥)

A Short Hist. of Hind - Pakistan. Prepared

(٦)

By Pakistan History Boards.

المعاملة بين الهنادكة عظيمهم وحقيرهم ، وهذا أمر لم يتعودوه قبلا (١) .

وعنى قطب الدين بالعمارة ، ومن أبرز ما خلف مسجده المشهور الذى بدأ تشييده سنة ١١٩١ م ، وأكملة التمش سنة ١٢٣٠ م (٢) ولا تزال منارة هذا المسجد باقية الى يومنا هذا ، وتسمى منارة قطب الدين ، ويبلغ ارتفاعها ٢٥٠ قدما (٣) ، وعلى واجهة أحد أبواب المسجد كتب باللغة العربية بحروف بارزة من الحجر « بسم الله الرحمن الرحيم والله يدعو الى دار السلام . . » ثم كتب تحت ذلك « جرت هذه العمارة بأمر . . . » وبجانب المسجد أسس مئذنة كبيرة . أما المنارة فكانت مكونة من سبع طبقات ، لكن الموجود منها الآن خمسة فقط ، أسس إيبك الطبقة الأولى ، وأقام التمش الطبقتين الثانية والثالثة ، واتم خلفاؤه الباقي ، وفي كل طابق نقش على جدرانه آيات قرآنية ، وبعض المراسم السلطانية .

توفى قطب الدين إيبك سنة ١٢١٠ م ، وخلفه في الحكم ابنه آرام شاه وكان شابا صغيرا لا يستطيع القيام بعبء الملك (٤) ، لذا عجز عن إدارة شؤون الدولة ، فاستدعى رجال الدولة التمش (٥) - وكان يلي حكم أحد الاقاليم الهندية ، وذكرنا سابقا انه كان من مماليك شهاب الدين الغورى ، وزوجا لابنه قطب الدين إيبك - وطلبوا منه ان يلى السلطنة (٦) ، فقدم الى دهلى ، وطرد آرام شاه منها ، وتربع على عرش السلطنة سنة ١٢١١ م (٧) .

يعتبر شمس الدين التمش المؤسس الحقيقى لدولة المماليك في الهند ، وأصله مملوك ابتاعه قطب الدين إيبك من غزته وحمله معه الى الهند ، ولمس فيه نبل الاخلاق والفضيلة والذكاء والشجاعة ، فجعله رئيسا لحرسه ، ثم أسند اليه حكم بعض ولايات الهند ، وكما كان إيبك لشهاب الدين الغورى ، فقد كان التمش لإيبك (٨) .

Majumdar : An Advanced Hist. of India. p. 274. (١)

Lane Poole : Medieval India. p. 68. (٢)

K. Ali : A New Hist. of Indo-Pakistan p. 48. (٣)

K. Ali : A New Hist. of Indo-Pakistan p. 48. (٤)

Munshi : The Struggle for Empire. p. 181. (٥)

Majumdar : An Advanced Hist. of India. p. 274. (٦)

A Short Hist. of Hind-Pakistan. p. 133. (٧)

Lane Poole : Medieval India. p. 70. (٨)

بعد ان ولى شمس الدين التمش سلطنة دهلى ، تعرض لمشاكل داخلية تستهدف التخلص منه (١) ، ذلك ان بعض كبار رجال الدولة طمع في الوصول الى الحكم منتهزين فرصة الفوضى التى اعقبت وفاة ايبك ، فاستولى قباجة على الملتان والسند ، وتنازع مع تاج الدين يلدز حول السيادة على لاهور كما ان خلفاء بخنيار الخلجى سيطروا على بهار والبنغال (٢) . يضاف الى ذلك ان قواد قطب الدين ايبك لم يرضوا عن تولية التمش السلطنة ، وانتهز الامراء الهنادكة فرصة هذه الاضطرابات والقلقل ، وانشغال السلطان في قمعها وتحركوا لنيل استقلالهم (٣) .

لم يقف شمس الدين التمش مكتوف اليدين ازاء موقف قواد قطب الدين ايبك الترك المناهض له ولحكمه ، والذين لم يرضوا ان ينصب عليهم سلطان هو في الواقع مملوك لمملوك (٤) . بل عول على اخضاعهم ، واشتبك معهم في معركة بالقرب من دهلى هزمهم فيها شر هزيمة ، واجبرهم على الدخول في طاعته (٥) وكان من اقوى الرجال الذين تصدوا لحكم التمش ، تاج الدين يلدز الذى سيطر على غزته بعد انهيار دولة الفور وبسط نفوذه على البلاد المجاورة لغزته حتى اقترب من خوارزم وشن حملات ناجحة على اطراف الهند . ، وعلى الرغم من انه اقام الخطبة للسلطان الخوارزمى في غزته ، الا ان هذا السلطان لم يطمئن الى ولاء يلدز له ، وسار الى غزته سنة ٦١٣ هـ / ١٢١٧ م لانتزاعها من يلدز ، وطرده الاثراك منها (٦) ، فولى يلدز الاديبار الى بلاد الهند ، والتقى بناصر الدين قباجة - والى لاهور والملتان وديبل ، وغيرها من قبل التمش - في معركة عنيفة هزم فيها قباجة ، واستولى على لاهور ، ثم زحف الى مدينة دهلى لانتزاعها من التمش فتصدى له السلطان الهندى في معركة عنيفة على الطريق الى دهلى ، وهزمه وقتله في تارين سنة ١٢١٦ م . (٧)

لم يكد يستقر الامر لالتمش حتى تعرض لخطر جديد من قبل المغول الذين دأبوا يشنون حملاتهم العنيفة على الدولة الخوارزمية ، واستولوا

-
- | | |
|---|-----|
| K. Ali : A New Hist. of Indo-Pakistan. p. 49. | (١) |
| A Short Hist. of Hind-Pakistan. p.134. | (٢) |
| K. Ali : A New Hist of Indo-Pakistan. p. 49. | (٣) |
| (٤) السادات : تاريخ المسلمين ^١ في شبه القارة الهندية ، ج ١ ، ص ١٢٤ . | |
| Majumdar : An Advanced Hist. of India p. 275. . | (٥) |
| A Short Hist. of India. p. 134. | (٦) |
| K. Ali : A New Hist. of Indo-Pakistan pp. 49-50. | (٧) |

على أقاليمها ، والحقوا ببلدانها الخراب والدمار . ولما توفي السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد خلفه ابنه جلال الدين منكبرتي ، وعول على استرداد ملك آبائه وأجداده من يرثن المغول المعتدين ، فصار الى خوارزم ، لكنه علم ان المغول قد استولوا عليها (١) . . لذلك اتجه الى خراسان ، وتنقل بين بعض مدنها . ولم يلبث ان غادرها حتى لا يصطدم بالقوات المغولية المرابطة في خراسان في وقت لم يكن هو فيه على أهبة الاستعداد لمهاجمة عدوه ، فولى وجهه شطر غزته - وكان يحكمها من قبل أبيه قبل أن يحتلها المغول - ورحب أهل غزته بمقدمه ورأوا فيه خير منقذ لهم من ويلات المغول وغيرهم ، والتفوا حوله ولما سمع الجند الخوارزمي المبعثر بين كابل وبشاور وغيرها من المدن الواقعة على حدود الهند بمقدمه ، سارعوا اليه ودخلوا تحت لوائه ، وبذلك كثر جمعه ، وأصبح جيشه يضم ستين ألفا من المشاة ، وسبعين ألفا من الخيالة (٢) ، وواتته الفرصة للعمل على تحقيق هدفه الرامي الى استعادة دولة أبيه التي انتزعها المغول (٣) ، فسار على رأس جيشه الى السهول المحيطة ببروان Parwan في الشمال الشرقي من غزته ، واشتبك مع المغول في قتال استمر ثلاثة أيام ، أحرز فيه على أعدائه انتصارا رائعا وقتل المسلمون من المغول كثيرين وشجع انتصار جلال الدين ، البلاد الاسلامية على الوقوف في وجه المغول ، فثار أهل هراة على والي المغول وقتلوه ، وعلنوا ولاءهم لجلال الدين منكبرتي (٤) .

لما علم جنكيزخان بانتصارات السلطان الخوارزمي على جنده ، وانضمام البلدان الاسلامية اليه ، أعد جيشا كبيرا للقضاء على جلال الدين منكبرتي وجنده ، وسار على رأس جيشه الى كابل (٥) . والتقى جند المغول بالجيش الخوارزمي في معركة ضاربة ، دارت فيها الدائرة على المغول للمرة الثانية ، وغنم المسلمون مامعهم ، وفكوا أسر الاسرى المسلمين ، لكن الامور ما لبثت ان تحولت الى صالح المغول رغم هزيمتهم ، ذلك ان خلافا حدث بين بعض قادة جلال الدين منكبرتي ، فارق على اثره القائد التركي بفراق جيش السلطان الخوارزمي واتجه الى الهند ، وتبعه من الجند ثلاثون ألفا كل يريدونه ، وحاول منكبرتي ان يثنيه عن عزمه ، والى عليه ، بل بكى بين يديه ، وخوفه من الله اذا تقاعس عن الجهاد في سبيله ، لكن هذه المحاولة

(١) براون : تاريخ الأدب الفارسي ، ج ٢ ، ص ٥٧٠ .

(٢) ابن الوردي : تمة المختصر ، ج ٢ ، ص ١٤٥ .

(٣) Cambridge History of Iran. Vol. 5. p. 318.

(٤) Ma Jumdar : An Advanced Hist. of India p. 276.

(٥) A Short iHst. of Hind-Pakistan. p. 135.

لم تجد مع القائد التركي فتيلًا ، فقد أصر على الانسحاب الأمر الذي أضعف الجيش الخوارزمي ، وأصبح عاجزًا عن الوقوف في وجه المغول (١) .

كل ذلك حدث بينما جنكيزخان يتجه بجحافل إلى الناحية التي يعسكر فيها جلال الدين وجنده ، لذلك لم ير السلطان الخوارزمي بدا من الانسحاب والمسير إلى الهند ، ولما بلغ السند ، لم يجد من السفن ما يكفي لعبوره هو وقواته . وفي غضون ذلك أدركه جيش المغول ، ودار قتال عنيف بين الفريقين أبلى فيه المسلمون بلاء حسنًا فلما رأى المسلمون عدم استطاعتهم قتال المغول لقلّة عددهم ، ونقصان عتادهم ، دبّروا أمر العبور إلى الهند ، بينما عاد المغول إلى غزّة وامتلكوها ، وأبدى جلال الدين من ضروب الشجاعة والبسالة مالا مزيد عليه في العبور (٢) حتى أنه بلغ الشاطئ الشرقي سالماً ومعه أربعة آلاف جندي كانوا حفاة عراة (٣) .

على أن جلال الدين منكبرتي لم يجد استجابة وقبولاً من دولة المماليك في الهند فقد توجس التمش ورجال دولته خيفة من الخوارزميين . لذلك اصطدم جلال الدين بجند التمش في السنوات الثلاث التي قضاها في الهند، وبدأ هذا الصدام مع قباجة - حاكم السند الذي حاول منعه من الإقامة في السند خوفاً من أن يتعقبه المغول ، ويطيحون به وبولايته (٤) ، لكن جلال الدين أوقع به الهزيمة ، وأحبط محاولته ، ولما علم جلال الدين أن المغول يعتزمون القدوم إلى الهند لدحره والقضاء عليه سار إلى دلهي ، وأرسل إلى التمش يطلب منه أن يمنحه هو وجنده حق الإقامة في دلهي ، لكن السلطان المملوكي اعتذر إليه بحجة أن حرارة الجو في دلهي لا تناسب الخوارزميين ذلك أن سلطان دلهي خشي أن ينضم الجند الترك في دولته إلى سلطان الخوارزميين ، وطلب منه الانسحاب من دولته ، وحدثت معركة بين الجيش الخوارزمي وجيش التمش بالقرب من دلهي ، وانسحب على أثرها جلال الدين إلى لاهور ، وكثر جمع جلال الدين بما وفد إليه من جند أخيه غياث الدين - حاكم العراق - كذلك انضمت إليه قبائل الكهكية الناقمين على قباجة - حاكم السند - فازدادت قوته ، وانتزع من وإلى السند بعض البلدان (٥) .

-
- Munshi : The Struggle for Empire. p. 182. (١)
Ma Jumdar : An Advanced Hist. of India. p. 276. (٢)
Cambridge Hist. of Iran. vol. 5. pp. 322-323. (٣)
(٤) النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ٥٠ .
Munshi : The Struggle for Empire. p. 182. (٥)

لم يكن جلال الدين يهدف من التجائه الى الهند اتخاذها مستقرا ومقاما ، لكنه كان يهدف الى تجنب الاشتباك مع المغول حتى يستعيد قوته ، ثم يستأنف الحرب ضدهم . وواتته الفرصة لشن الحرب من جديد على المغول ، فقد توفى جنكيزخان ، وعقبت وفاته انسحاب القوات المغولية الرئيسية التي تحتل اقاليم الدولة الخوارزمية الى موطنها الاصلية فعبّر نهر السند (١) سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م وقصد ايران ، وظلّ يقاتل المغول حتى ضعفت ووهنت قوته وفر من امامهم ، وظلوا يتعقبونه حتى قتل في كردستان سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م (٢) .

لما غادر جلال الدين منكبرتي الهند أمن السلطان التمش على دولته من الخطر الخوارزمي ، وما قد يسفر عنه من هجوم المغول على بلاده ، لكنه لم يكد يتنفس الصعداء من جراء هذه الازمة حتى واجه امورا داخلية تمس وحدة دولته ومن أبرز هذه الامور خروج غياث الدين الخلجي - والي البنغال من قبله - عليه (٣) وأعلن استقلاله عن دلهي ، واقام الخطبة باسمه ، ونقش اسمه على السكة ، وتلقب بالقباب الملوك ، وقوى امره حتى امتد نفوذه على جاينكر وكمر وب وترهوت وجور الى الشرق من دلهي (٤) .

عول السلطان التمش على سحق محاولة الخلجي الاستقلالية عن دولته ، وسار على رأس جيش قوى الى البنغال ، ولما رأى الامير الخلجي عدم استطاعته الوقوف في وجه سلطان دلهي أعلن عودته الى الولاء والطاعة له ، وتعهد بدفع الجزية المقررة عليه (٥) ، الا انه لم يكن صادقا في تعهده ، بل كان يزمع انتظار فرصة اخرى تتيح له العودة الى الاستقلال بولايته ، فلما ابتعد السلطان التمش عن البنغال ، عاد وأعلن الاستقلال وسار الى بهار واستولى عليها ، غير انه لم يهنأ بهذا الاستقلال طويلا (٦) ، اذ سار اليه ناصر محمد شاه - والي اوده Oudh من قبل ابيه السلطان التمشي وهاجم البنغال ، ووقع الهزيمة بالخلجي وانصاره ، واعاد سيطرة دلهي على اقليم البنغال (٧) .

-
- (١) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج ٥ ، ص ٢٦٠ .
 (٢) Lane Poole : Medieval India. p. 74.
 (٣) K. Ali : A Short Hist. of Indo-Pakistan. pp. 55-57.
 (٤) Munshi : The Struggle for Empire. pp. 183-184.
 (٥) السادات : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ، ج ١ ، ص ١٢٧ .
 (٦) Munshi : The Struggle for Empire. p. 134.
 (٧) A Short Hist. of Hind-Pakistan. p. 136.

على ان الامور لم تستتب في امبراطورية الهند الاسلامية بعد عودة البنغال الى سيطرة الحكومة المركزية في دلهي ، ذلك ان قائدا آخر انتقض على سلطان دلهي ، وهو ناصر الدين قباجة ، وكان التمش قد طرده من لاهور بعد ان حاول الاستقلال بها عن دلهي ، قبسط سيطرته على بعض بلدان السند ، لكن جلال الدين منكبرتي اشتبك معه ، وانتزع منه اوكا والملتان ، ولما انسحب السلطان الخوارزمي من الهند عاد قباجة وسيطر على هذه البلاد ، وحكمها مستقلا عن سلطان دلهي ، فصار اليه شمس الدين التمش ، بينما اتجه واليه على لاهور لنجدته وهزمه بالقرب من بهكر Bhakkar ، وظل يتعقبه ، حتى سقط في نهر السند وغرق وهو يحاول عبوره فرارا من خصمه (١) .

وبذلك قضى السلطان التمش على خصومه ومنافسيه ، واكتسب حكمه الصفة الشرعية حينما ارسل اليه الخليفة العباسي المستنصر بالله تقليدا بحكم دولة الاسلام في الهند سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م (٢) ، ولقبه « ناصر امير المؤمنين ، حامى الايمان » وقدم السلطان الخليفة في الخطبة والسكة على نفسه ، وأبرز كذلك الالقاب التي منحها له الخليفة على العملة الفضية العريضة التي سكها (٣) . ومما لاشك فيه ان اعتراف الخليفة بسلطان دلهي اكسبه محبة وتقديرا واحترام رعاياه المسلمين .

وكان لتأييد الخليفة للسلطان التمش اثر كبير في تقوية دولته فخرج يقضى على ما تبقى من خصومه ، ولم يكن هؤلاء الخصوم قادة من الترك ، بل كانوا بعض راجات الهند الذين انتهزوا فرصة انشغال السلطان بمشاكله الداخلية ، واستطاعوا الاستقلال ببلدانهم (٤) ، فسار اليهم التمش ، واستعاد رانشمار وكذلك استرد ماندوار Mandawor في جبال السوالك وفي سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م هاجم جواليار Guwalior وحاصر قلعتها شهرا حتى سيطر عليها ، ثم سار الى ملاوى واستردها كذلك ، واستولى على بهلسا Bhilsa وآجان Ajjan وعاد الى الاشتباك مع الخلجيين الذين حاولوا من جديد الاستقلال بالبنغال وتقوية نفوذهم فيها خصوصا

K. Ali A New Hisi. of Indo-Pakistan. p. 57. (١)

Munshi : The Struggle for Empire. p. 134. (٢)

Ma Jumdar : An Advanced Hist. of India. p. 276. (٣)

A Short Hist. of Hind-Pakistan. p. 135. . (٤)

بعد وفاة ناصر الدين محمد شاه - والى البنغال من قبل ابيه سلطان
دلهى - (١) .

توفى التمش سنة ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م بعد ان وطد نفوذه وسلطانه فى
دولة الممالك فى الهند ، وخاض فى سبيل ذلك حروبا كثيرة - كما ذكرنا -
ضد خصومه الذين حاولوا انتزاع بعض بلدان دولته ولذلك يمكن القول بأن
التمش هو المؤسس الحقيقى لسلطنة دلهى المملوكية (٢) .

ولم تمنع الغزوات المتكررة التى خاضها التمش ضد أعدائه لم تمنعه
من اصلاح احوال بلاده ، فأعاد تنظيم الجهاز الادارى وهو من هذه الزاوية
يعتبر رجل دولة من الطراز الاول ، وقد كان الجهاز الادارى من قبله ينقصه
التنظيم . وحدد لكل ادارة او مصلحة اختصاصها ، رسم لها الخطة التى
تسير عليها (٣) ، وبذلك سارت الاعمال الحكومية فى عهده بدقة . كذلك
حرص السلطان التمش على اقرار العدالة فى بلاده ، ورفع الظلم عن رعاياه ،
وباشر بنفسه أمر اقرار العدل ودفع الظلم (٤) . ولتحقيق ذلك امر كل
صاحب مظلمه بلبس ثوب مصبوغ ، يميزه عن لباس أهل الهند الابيض ،
فكان متى جلس للناس او ركب ، ورأى أحدا يرتدى ثوبا مصبوغا ، استدعاه
اليه ، ونظر فى شكواه ، ورفع عنه مظلمته ، ولكى يتيح الفرصة لأصحاب
المظالم برفع شكواهم اليه اثناء وجوده فى داخل قصره ، أقام على باب
قصره تمثالين لاسدين موضوعين على برجين ، وفى اعناقهما سلسلتان من
الحديد فيهما جرس كبير ، يدقه المتظلم ، وحينئذ يسمح السلطان بمثوله
بين يديه ، ويستمع اليه وينظر فى امره (٥) .

وعنى التمش بتشجيع العلوم والآداب وانفق اموالا كثيرة فى كتابة
نسخ كثيرة من القرآن الكريم حتى تكون فى متناول الناس لقراءتها والاستفادة
منها ، وأسس العديد من المدارس وزين بلاطه بالشعراء والعلماء ، وجعل
عاصمته مركزا هاما للعلوم والآداب ، كذلك أولى الفن المعماري عناية كبيرة
فأتم بناء مسجد قطب الدين فى دلهى ، وشيد مسجدا آخر فى آجمير . (٦)

-
- | | |
|---|-----|
| ڪ. Ali : A New Hist. of Indo-Pakistan. p. 52. | (١) |
| Morel : A Short Hist. of India. p. 160. | (٢) |
| A Short Hist. of Hind-Pakistan. p. 136. | (٣) |
| Munshi : The Struggle for Empire. p. 18. | (٤) |
| ڪ. Ali : A New Hist. of Indo-Pakistan. p. 53. | (٥) |
| ڪ. Ali : A New Hist. of Indo-Pakistan. p. 53. | (٦) |

ب وفاة التمش يكون قد بقى من عمر سلطنة الممالك في دهلى ثلاثين سنة، أثقلت المشاكل كاهلها في خلالها حتى عصفت في النهاية بذلك الصرح الضخم الذى بذل التمش جهودا كبيرة في سبيل تشييده . ومن الامور التى اضعفت هذه الدولة عجز السلاطين الذين خلفوا التمش عن ادارة شؤون الدولة ، والمنازعات الشديدة التى قامت بين كبار رجال الدولة حول الاستئثار بالسلطة .

وتفصيل ذلك ان التمش عهد الى ابنته رضية بالحكم من بعده ، ذلك ان ابنه الاكبر ناصر الدين محمد توفى في البنغال ، وحاول التمش تدريب ابنته رضية على ادارة شؤون الدولة ، وعهد اليها بمباشرة سلطانه اثناء غيابه عن دهلى تمهيدا لتوليها السلطنة من بعده . على ان كبار رجال الدولة اعترضوا على تولية رضية الحكم بعد وفاة والدها ، ودبروا امر خلعه ، واستدعوا اخاها فيروز من لاهور ، وطلبوا منه ان يتولى سلطنة دهلى بدلا من اخته ، فسار فيروز الى دهلى ، ومكنه رجال الدولة من تولى الحكم بعد ان عزلوا اخته رضية . على ان هذا السلطان الجديد لم يستطع ادارة امور الدولة بحكمة وكفاءة ، بل انصرف الى اللهو والعبث ، وترك مقاليد الامور في يد امه شاه ترکان ، وهى امرأة حقودة وضيعة النشأة ، وسارت سيرة سيئة في الحكم لذلك حدثت في الدولة الكثير من القلاقل والثورات والفتن ، وعول حكام الملتان ولاهور وهانسي وبداون Budaun واوده على انهاء هذا الحكم الفاسد وتحركوا الى دهلى فعلا (١) ، ففر فيروز من دهلى ، وتبعه جنده ، والتقى بالخارجين عليه بالقرب من العاصمة لكنه لم يستطع الاشتباك معهم في قتال ، ذلك ان جنده انفضوا من حوله ، وعادوا الى دهلى ، واعلنوا خلع فيروز ، وتولية رضية ، وقبض على فيروز وزج في السجن (٢) .

على ان هذا الحل لم يرض امراء الولايات المتجهين الى دهلى اذ كانوا يعتزمون تولية احد الامراء الحكم ، وحاصروا دهلى فعلا وقطعوا عنها سبل

Munshi : The Struggle for Empire. p. 187.

(١)

Lane Poole : Medieval India P. 73.

(٢)

الاتصال - بالولايات التابعة لها ، لكن السلطنة رضية اظهرت مقدرة وكفاءة في سحق هؤلاء المناوئين (١) لها . فعلى الرغم من انها كانت في قلة من الجند ، فانها استطاعت اضعاف اعدائها الامراء المحاصرين للعاصمة ، وذلك يندر بدور الشقاق بينهم ، عندئذ واتها الفرصة للتخلص من اعدائها وهزيمتهم ، وردهم على اعقابهم خاسرين ، واصبحت سلطنة الامبراطورية بلا منازع ، وعاد الامن والهدوء الى ربوع دولتها (٢) .

وحرصت رضية على ان تبلغ مبلغ الرجال في اعمالها وتصرفاتها ، حتى تضى على نفسها الرهبة امام الناس ، فتزيت بزي الرجال ، وقادت الجيوش بنفسها ضد اعدائها ، وشاهدها الناس وهي تركب الفيل على رأس جيشها ، الا انها اغضبت امراء الدولة الترك الذي رفع التمش من شأنهم ، وقربهم اليه ، واسند اليهم الامور الهامة في الدولة (٣) ، وأبعدتهم عن التدخل في شؤون الحكم ، لانها كانت تدرك مقدار معارضتهم لحكمها ، وسوء نواياهم نحوها (٤) .

كذلك اثارت رضية المعارضة ضدها حينما رفعت من شأن رجل حبشي يعمل اميرا للخيل في بلاطها يسمى جلال الدين ياقوت (٥) ، واسندت اليه قيادة الجيش ، بل همت به ، وهم بها ، وتزوجت منه فدبر الامراء الترك مؤامرة للتخلص منها ، او على الاقل تقليص نفوذها ، وقادها ايتيكن Aitigin - امير حاجب - لكن رضية أحبطت المؤامرة ، ولم تنته متاعب رضية عند هذا الحد ، اذ أعلن حاكم البنجاب الثورة ، فسحقت رضية تمرده (٦) . اما اختيار الدين التونيا Altunia - حاكم بها تندا - فقد رفع هو الآخر رايه العصيان ، وقادت رضية جيشا لمحاربته ، لكنه هزمها وأسرها (٧) ، وقتل ياقوت ، وبينما هي بعيدة عن العاصمة ، اذا بالامراء الترك في دلهي يعلنون عزلها ، ويولون بدلا منها معز الدين بهرام ابن التمش .

-
- | | |
|---|-----|
| Ma Jumdar : An Advanced Hist. of India. p. 277. | (١) |
| Lane Poole : Medieval India. pp. 74-75. | (٢) |
| Munshi : The Struggle for Empire. pp. 187-188. | (٣) |
| K. Ali : A New Hist. of Indo-Pakistan p. 55. | (٤) |
| Ma Jumdar : An Advanced Hist. of India. p. 279. | (٥) |
| Munshi : The Struggle for Empire. p. 188. | (٦) |
| A Short Hist. of Hind-Pakistan. p. 136. | (٧) |

لما ولى بهرام شاه سلطنة دهلى لم يستطع الانفراد بالحكم لضعفه بل اضطر الى الخضوع للامراء الترك ، والسير وفق أهوائهم وأسند أمر الملك كله الى واحد منهم هو وزيره اختيار الدين ايتيكن الذى قبض على زمام الامور في الدولة دون السلطان ولم يلبث ان غضب السلطان من وزيره الذى جعله اسما فقط ، فدبر السلطان مؤامرة لاغتياله ، وادى نجاحها الى استرداد سلطانه (١) .

لكن بهرام شاه لم يستمتع بالانفراد بالحكم طويلا ، ذلك ان بدر الدين سنقر - امير حاجب - سيطر على امور الدولة ، كذلك تعرض السلطان لمؤامرة اخرى تستهدف خلعه ، فقد انتهز التونيا - حاكم بها تندا - فرصة مقتل ايتيكن ، وعول على المسير الى دهلى ، والتربع على عرش السلطنة ، ولتحقيق ذلك أفرج عن اسيرته - رضية - وتزوج منها ، ورأى ان ذلك يعطيه الحق في تحقيق اطماعه الرامية الى الاستحواذ على السلطنة ، وتقدم الاثنان الى دهلى ، لكن القبائل الكهكزية هاجمت جيوش التونيا وشنتت شملهم ، وعثروا على رضية تستظل بظل شجرة ، واغتالوها (٢) وبذلك فشلت هذه المؤامرة . على ان رضية كانت سلطنة عادلة على جانب كبير من الكفاءة والمقدرة ، شجعت العلوم والاداب (٣) ، وكانت تتجول في الاسواق في زى الرجال ، وتجلس الى الناس ، وتستمع الى شكاواهم ، ومما يجدر ذكره ان رضية عاصرت شجرة الدر - ملكة مصر الشجاعة التى قامت بدور كبير في صد لويس التاسع - ملك فرنسا - عن مصر في الحملة الصليبية السابعة ، وكان زوجها الملك الصالح ايوب قد توفى اثناء معركة المنصورة ، فقبضت شجرة الدر على زمام الامور في مصر حتى قدم ثوران شاه بن الملك الصالح ، وخلف أباه في الملك .

لم تستتب الامور في دهلى باحباط مؤامرة امير بهاتندا ، ورضية ، ذلك ان امير حاجب ظل قابضا على زمام الامور في الدولة وبينما تسير الدولة في طريق الاضطراب واجهت خطرا آخر ليس من الداخل ، ولكن من الخارج ، ذلك هو خطر المغول الذين هاجموا لاهور سنة ١٢٤١ م ، فقاد امير حاجب

K. Ali : A Short Hist. of Indo-Pakistan p. 55.

(١)

A Short Hist. of Hind-Pakistan. p. 139.

(٢)

Ma Jumdar : An Advanced Hist of India. p. 279.

(٣)

جيشا الى لاهور لوقف تقدم المغول (١) ، غير انه لم يلبث ان توجس خيفة من السلطان اذ رأى ان ابتعاده عن العاصمة سيؤدي الى تأمر السلطان وحاشيته ورجاله ضده ، وعزله عن منصبه ، ومنعه من دخول دهلى ، وانضم اليه الجيش في اعلان التمرد والعصيان على السلطان ، فأرسل اليه بهرام شاه رسولا من رجال الدين ليحثه هو والجند على ترك الفتنة والمضي قدما في طريق الجهاد في سبيل الله ، لكن الشيخ الرسول لم يقم بالواجب الذي كلفه به السلطان ، بل انضم الى الثوار ، وعادوا جميعا الى دهلى ، وتركوا المغول يهاجمون لاهور (٢) .

اعد السلطان العدة للدفاع عن عاصمة ملكه ، لكن رجال امير حاجب داخل دهلى ساعدوا المهاجمين على الاستيلاء على العاصمة ، وقبضوا على بهرام شاه سنة ١٢٤٢ م ، وولوا بدلا منه علاء الدين مسعود - حفيد التمش - وكان عمره لا يتجاوز السادسة عشرة (٣) .

لم يكن علاء الدين مسعود أسعد حظا من سابقه ، فقد فوض أمور دولته الى قطب الدين حسين ، وجعله نائبا ووزيرا له ، لكنه استبد بالسلطنة دونه ، وأسند الوظائف الادارية الهامة في الدولة الى اعوانه وأنصاره ، وتأمر السلطان على وزيره وقتله ، وعهد الى نجم الدين أبو بكر بمنصب نائب السلطان ، وعين بلبن في منصب امير حاجب (٤) .

واجه بلبن صعابا جسيمة في ضبط امور الدولة ، فقد كثرت الفتن والقلقل بها ، اذ حاول الامراء الهنادكة الاستقلال عن دهلى وحاول أمراء الولايات كذلك الانفصال عن الحكومة المركزية وحارب بعضهم بعضا ، وتعرضت البلاد كذلك لخطر المغول الزاحف اليها ، وبلغ من ضعف السلطة المركزية ان أمراء الولايات القريبة استنجدوا بالمغول لدحر كل محاولة قد تقوم بها دهلى لاستعادة سيطرتها على ولاياتهم (٥) .

على ان بلبن لم يستطع ان يمضي في تنفيذ سياسته الرامية الى اعادة الهدوء والسكينة الى الدولة بسبب تعرضه لمؤامرة تستهدف اقضائه عن

Munshi : The Struggle for Empire. p. 198. (١)

IBID (٢)

Munshi : The Struggle For Empire. p. 190. (٣)

Ma Jumdar : An Advanced Hist of India. p. 279. (٤)

Munshi : The Struggle for Empire. p. 191. (٥)

الحكم ، ذلك ان الهنادكة عولوا على اقضاء العناصر التركية عن ادارة امور الدولة ، والحلول محلهم ، وقاد هذه الحركة عماد الدين ريحان الذى ولى منصب وكيل الدار ، وافلح في اقضاء بلبن ورجاله الترك عن الحكم (١) . وبذلك حل النفوذ الهندوكى محل النفوذ التركى في سلطنة المماليك بدلهى .

على ان الهنادكة لم يستمتعوا طويلا بادارة شؤون حكومة دهلى ذلك ان الامراء الترك ساءهم اغتصاب الهنادكة بقيادة ريحان السلطة في دهلى، وعقدوا العزم على اعادة بلبن ، وانضم اليه الكثيرون من حكام الولايات الترك ، وطلبوا من السلطان اعادة بلبن (٢) . ، وعزل ريحان ، ولما لم يستجب السلطان لرغبتهم تعاضدوا وتحالفوا على تنفيذ رغبتهم بالقوة ، فخرج السلطان من عاصمته دهلى لسحق تمرد الثوار لكن الثائرين هزموا جيش السلطان ودخلوا دهلى ، واعادوا بلبن الى الوزارة ، وعزل ريحان سنة ١٢٥٤ م ، واحسن اهالى العاصمة الهندية استقباله بعد غياب دام عامين (٣) .

واجه بلبن مشاكل متعددة لاقرار الامور في الدولة ، فالبلاد مضطربة، والثورات متعددة في الامبراطورية ، وخصوصا قبائل المواتى Mewatis واصبحت البلاد تعيش في فوضى شاملة لذلك كان على بلبن استعادة هيبة ونفوذ حكومة دهلى والقضاء على الفتن في الولايات التابعة لها ، وقد فوض اليه السلطان كل هذه الشؤون بينما انصرف الى مجالسة العلماء والدرائش (٤) .

اثبت بلبن كفاءة ومقدرة في ادارة شؤون الدولة ، واعادة الهدوء اليها ، فقضى على الفتن الداخلية ، واخضع الكهكرية وغيرها من القبائل الثائرة المثيرة للشغب والفوضى ، وزحف الى الدواب Doab ، واخضع الامراء الهنادكة الثائرين بها ، كما اعاد اودة والسند الى الولاء والطاعة لحكومة دهلى (٥) .

IBID. p. 192.

(١)

Ma Jumdar : An Advanced Hist. of India. 280.

(٢)

A Short Hist. of Hind-Pakistan. p. 139.

(٣)

Munshi : The Struggle for Empire. pp. 192-193.

(٤)

K. Ali : A New Hist. of Indo-Pakistan. p. 59.

(٥)

على أن أبرز مواقف هذا الرجل البطولية تجلت في مقاومته لغزو المغول للهند سنة ١٢٤٥ م ، فقد هاجموا السند ، وضيقوا الحصار على حصن اوكا فتصدى لهم بلبن واشتبك معهم في قتال مرير اوقع بهم هزيمة كبيرة وردهم على اعقابهم خاسرين وأمنت بلاد الهند الغربية من خطر المغول ، وعادت سيطرة دهلى على هذه المنطقة (١) .

توفي ناصر الدين محمود بعد حكم دام عشرين عاما ، وكان عادلا كريما زاهدا متدينا ، يرعى العلوم والآداب ، وقد عهد الى ابي عمر عثمان منهاج السراج بشغل وظيفة كبيرة في بلاطه ، ووضع هذا العالم مؤلفا كبيرا أهدها للسلطان ، أسماه « طبقات ناصري » وكافاه السلطان مكافأة كبيرة على هذا الجهد الكبير ، ومما يجدر ذكره أن ناصر الدين عاش عيشة الزهد ، وكان يقتات من عمل يده ، اذ كان ينسخ المصاحف ويبيعها ، ويفطى بما يرد اليه من هذا العمل نفقاته الخاصة ، كذلك لم يتخذ خدما في بيته ، انما كانت زوجته تباشر الشؤون المنزلية بنفسها بما في ذلك اعداد الطعام (٢) .

ذكرنا أن غياث الدين بلبن ارتفع الى اعلى المناصب في امبراطورية المماليك في عهد ناصر الدين محمود ، ولعب دورا هاما في تاريخ سلطنة دهلى المملوكية حتى ان المؤرخين يذكرون ان تاريخ ناصر الدين محمود هو في حقيقته حلقة من تاريخ بلبن ، ولم يكن لدى السلطان ناصر الدين محمود ابناء ذكور ، وتزوج بلبن من ابنة ناصر الدين محمود ، الامر الذي يسر له امر توليه السلطنة بعد وفاة صهره سنة ١٢٦٦ م وكان قد جاوز الستين من العمر (٣) .

ينتمى بلبن الى قبيلة تركية ، كان أبوه من شيوخها ، ووقع بلبن في أسر المغول ، واشتراه الخواجة جمال الدين في البصرة ، وبيع في دهلى الى التمش (٤) . وظهرت شجاعته ومقدرته في سلك الجندية ، فأدخله التمش في جماعة حرسه ، ولما وليت رضية السلطنة ، أسندت اليه منصب امير الصيد (٥) ، وادرك بهرام شاه شجاعته واقدامه ، فولاه بعض الولايات ، فأحسن ادارتها وأعاد اليها الهدوء والاستقرار ، وراجت فيها الزراعة ، وتحسنت الاحوال الاقتصادية ، ثم ولاه ناصر الدين محمود منصب الوزارة

Munshi : The Struggle for Empire. p. 193. (١)

Munshi : The Struggle for Empire. p. 193. (٢)

K. Ali : A New Hist. of Indo-Pakistan. p. 59. (٣)

Morel : A Short Hist. of India. p. 160. (٤)

Ma Jumdar : An Advanced Hist of India. p. 281. (٥)

ونياية السلطنة (١) - كما رأينا - .

واجه بلبن بعد توليته السلطنة نفس المشاكل التي واجهها في عهد ناصر الدين محمود ، فالبلاد مضطربة ، والمغول عادوا الى تهديد الحدود ، وكان على بلبن أن يؤمن دولته من الاخطار الخارجية والمشاكل الداخلية ، فبدأ بتقوية السلطة المركزية وأعاد الهيبة الى بلاطه وحكومته ، وذلك بأن جعل بلاطه قويا فخما كما كان أيام ملوك الفرس القدامى ، وكان مجلسه يتسم بطابع الجد ، وأعاد تنظيم جيشه وتدريبه على احسن نظام (٢) . وأضعف من شأن القادة المماليك - موالى التمش - وكانوا لا ينقطعون عن تدبير المؤمرات والدسائس التي تستهدف تقوية نفوذهم في الدولة على حساب السلطان (٣) .

كذلك حرص بلبن على تنظيم ادارة الدولة ، وإعادة الامن والنظام الى ربوعها (٤) ، ولتحقيق ذلك أعد جهازا قويا للجاسوسية ، يحيطه علما بكل اخبار الادارات والمصالح الحكومية ، ويكتبون له تقارير عن سير حكام الولايات وسائر الموظفين ، وهؤلاء الجواسيس يراقبون كل مصالح الدولة بما في ذلك الجيش وبلاط السلطان ، وحتى أبناءه ، وكان هناك جواسيس لمراقبة سير الجواسيس في عملهم ، وكان الجاسوس يتعرض لاشد أنواع العقاب اذا تهاون في عمله أو في تأدية الواجب المكلف به ، ولم يلتزم بالدقة في جمع الاخبار ، أو لا يصدق في تبليغها ، وبلغ من حرصه على اقرار العدالة ، ومنع الظلم ان احدا كان لا يجرؤ على ابداء خدمه ومماليكه (٥) .

بعد ان أعاد بلبن تنظيم ادارة الدولة ، وأعاد الى حكومة دهلي هيبتها ، اتجه الى القضاء على الفتن الداخلية في الدولة ، ف ضرب بيد من حديد على اهل مواتى ، وكان قد أخضعهم أثناء وزارته ، فلما ولى السلطنة ، قطعوا الطرق ، وسرقوا المسافرين والحقوا بهم الضرر والأذى خصوصا في بهار (٦) ،

-
- | | |
|---|-----|
| Morel : A Short Hist. of India. p. 161. | (١) |
| Morel : A Short Hist. of India. p. 161. | (٢) |
| Munshi : The Struggle for Empire. p. 194. | (٣) |
| Lane Poole : Medieval India. p. 81. | (٤) |
| K. Ali : A New Hist. of Indo-Pakistan. p. 59. | (٥) |
| A Short Hist. Of Hind-Pakistan. p. 140. | (٦) |

ونهبوا القرى وقتلوا الأبرياء واقترب خطرهم وشرهم من العاصمة دلهي فخرج بلبن من دلهي ، وسار على رأس جيشه لاختصاصهم وهاجمهم هجوما عنيفا ، ومازال يتعقبهم حتى شنت شملهم (١) ، وأمر بتطهير البلاد من الغابات والادغال التي كانوا يحتمون بها ، ومازال يتعقبهم حتى استأصل شأفتهم ، وقتل قائدهم . وراى ضرورة المحافظة على الأمن والسلام في الدولة ، فأقام الحصون في مختلف البلاد ، يقيم فيها شرطة لحماية الناس من عدوان اللصوص وقطاع الطرق (٢) ، وحول المناطق التي استأصل منها الغابات الى اراض زراعية ، يقيم فيها جند لحراستها من عبث العابثين (٣) ، وبذلك استتب الأمن والنظام في الدولة .

كذلك تعرضت سلطنة المماليك في الهند لخطر آخر من جانب الهندوس في الدواب ذلك انهم قطعوا الطريق بين دلهي والبنغال فقاومهم حتى ضعفوا ووهنوا ، وقبض عليهم واسرهم (٤) .

وواجه بلبن مشكلة اخرى من جانب المماليك الذين اعترضوا على توليته الحكم وسعوا الى الخلاص منه ، وكان سلطانهم قد قوى في عهد التمش وخلفائه الذين منحوهم الاقطاعات الكبيرة ، فطردهم بلبن من الخدمة العسكرية ، وامعن في عقابهم ، وقتل كثيرا منهم ، وتخلص من هذه الفئة كلية (٥) . وبهذه الجهود أصبح بلبن سلطانا قويا مهابا يرعى جانبه رجال الدولة ، ويخشون بأسه .

لم يكد بلبن ينتهى من مشاكله الداخلية ، حتى واجه خطرا خارجيا جسيما ذلك ان المغول عادوا من جديد الى تهديد الهند بعد أن زحفوا الى بلاد العراق بقيادة هولاكو خان ، واستولوا على بغداد - حاضرة بنى العباس - وقتلوا الخليفة المستعصم سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٤ م (٦) ، واعتزم المغول غزو الهند بعد أن سمعوا عن ثروتها ، فأعد بلبن العدة لصد الاعداء من بلاده ، وبقي في دلهي لا يغادرها وترك لقواده أمر تعقب الخارجين على سلطانه ، حتى لا تتعرض العاصمة لخطر المغول ، ولا تقاسى ما قاسته بغداد

-
- | | |
|---|-----|
| K Ali : A New Hist of Indo-Pakistan. p. 61. | (١) |
| IBID. P. 62. | (٢) |
| K. Ali : A New Hist. of Indo-Pakistan. p. 61. | (٣) |
| IBID. P 62 | (٤) |
| Lane Poole : Medieval India. p. 84. | (٥) |
| Ma Jundar : An Advanced Hist. of India. p. 281. | (٦) |

من ويلات (١) ، وأعاد بناء القلاع التي دمرت على الحدود بسبب غزوات المغول السابقة وأقام تحصينات جديدة مزودة بالجند والسلاح ، كما زود جيشه بالأسلحة والمعدات ، وأسند القيادات العسكرية الى رجال اكفاء وعين ابنه الكفاء الشجاع محمد حاكما على الملتان ، ووضع ابنه الآخر بفراخان على حراسة سمه وسنام (٢) .

وكان لخطته الدفاعية أثرها الكبير في درء خطر المغول عن ديار الهند ، فحين هاجموها سنة ١٢٧٩ ، تعقبهم محمد وهزمهم ، ودفع خطرهم عن بلاد الهند . (٣) وبذلك سلمت سلطنة المماليك في الهند من خطر المغول وويلاتهم .

على ان انشغال الحكومة الهندية في الدود عن البلاد ادى الى بروز مشكلة اخرى داخلية ، ذلك ان البنغال بقيادة واليها طغرل عادت الى محاولة الاستقلال عن دلهي ، ولقب واليها طغرل نفسه مفيث الدين ، وأمر باقامة الخطبة باسمه ، ونقش اسمه على السكة بدلا من بلبن ، فأرسل السلطان جيشا بقيادة أمير خان لاختصاع طغرل ، واعادة البنغال الى الخضوع للحكومة المركزية ، لكن طغرل هزم القائد الهندوكي ، وغضب بلبن من قائده ، وحمله مسؤولية الهزيمة التي لحقت به ، وحكم عليه بالاعدام (٤) ، وأرسل جيشا آخر الى البنغال لسحق تمرد طغرل ، لكن هذا الجيش لقي مصير سابقه ، عندئذ لم ير السلطان بلبن بدا من المسير بنفسه الى البنغال لاعادتها الى حوزته ، وصحبه ابنه بفراخان (٥) ، وحينما اقترب السلطان من البنغال اخذ طغرل الجزع والفرح ، وفر هو ورجاله الى الغابات المجاورة شرق البنغال في جاجنكر ، وأرسل السلطان فرقة من الجيش لتعقب المتمردين ، وعثروا عليهم فعلا ، وشاهدوهم يشربون ويلهون والفيلة تتجول بين الأشجار ، والخيول والمواشي تتغذى على النباتات ، فباغتوهم على حين غفلة منهم ، ومازالوا بهم حتى افنوهم عن آخرهم ، وقتلوا زعيمهم طغرل (٦) .

Lane Poole : Medieval India. p. 85.

Munshi : The Struggle for Empire. p. 194.

K. Ali : A New Hist. of Indo-Pakistan. p. 63.

Ma Jumdar : An Advanced Hist. of India. p. 282.

K. Ali : A New Hist. of Indo-Pakistan. p. 62.

Ma Jumdar : An Advanced Hist. of India. p. 283.

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

(٦)

بعد ذلك اتجه السلطان الى لكهاونتي ، وكانت تؤيد طغرل في ثورته ضد دهلي ، فاختمى أغلب اعيانها ، خوفا من بطش السلطان لكن بلبن لم يبرح البلدة الا بعد أن نكل بالثائرين (١) . وبذلك عادت البنغال الى الولاء والطاعة للسلطان بلبن ، ولكي يضمن السلطان بقاء البنغال على الولاء لدهلي، عهد الى ابنه بفراخان بحكم البنغال ، وحكم بفراخان واعقايه البنغال أكثر من نصف قرن (٢) .

وجدير بالذكر أن البنغال سببت متاعب كثيرة لحكومة دهلي ، فقد حاولت الاستقلال منذ أن حكمها الخلجيون منتهزين فرصة صعوبة المواصلات بين دهلي وبلادهم ، فضلا عن بعد المسافة ، وانتشار الاوبئة فيها (٣) ، وبذل التمش جهودا كبيرة في اخضاع البنغال وحذا طغرل - كما رأينا - حذو الخلجيين في محاولة الاستقلال عن دهلي منتهزا فرصة انشغال السلطان بلبن في مشاكل الدولة الداخلية والخارجية (٤) .

على ان بلبن واجه كارثة أخرى مروعة ، فقد توفي ابنه محمد وهو يقاتل المغول (٥) ، ولم يحتمل صدمة موت ابنه ، وتوفي بعدها في سنة ١٢٨٧ بعد حكم دام اربعين سنة (٦) .

يعتبر بلبن من أعظم حكام الهند في تاريخها الوسيط ، فقد تغلب على الصعوبات الكبيرة التي واجهته ، اذ وقف في وجه الامراء الهنادكة الذين حاولوا النيل من سلطانه ، وقهر العصاة والمفسدين ، وتمكن من درء خطر المغول عن البلاد (٧) ، وأقر الامن والنظام في ربوع الدولة ، واشتد في معاقبة الخارجين على القانون والعدالة واتخذ لنفسه - كما ذكرنا - بلاطا مهيبا له مراسم معينة ، ورجال يرتدون ازياء معينة ، ومظاهر خاصة ، واتخذ رجالا اكفاء في ادارة شؤون الدولة على انه لم يستطع توسيع رقعة دولته لانشغاله طوال حكمه بمشاكل الدولة الداخلية والخارجية ، ولم

(١) Lane Poole : Medieval India. pp. 87-88.

(٢) Morel : A Short Hist. of India. p. 161.

(٣) السادات : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ج ١ ص ١٤٨ .

(٤) Munshi : The Struggle for Empire. 154.

(٥) A Short iHst. of Hind-Pakistan. p. 141.

(٦) K. Ali : A New Hist. of Indo-Pakistan. p. 65.

(٧) Lane Poole : Medieval India p. 87.

يأل جهدا في سبيل حماية الدين والمحافظة على الشريعة (١) ، و اقرار العدالة ، وبنى دارا أسماها دار الامن لرفع المظالم عن رعاياه ، وتخفيف اعباء الحياة عليهم ، وساوى بين رعاياه المسلمين والهنداكة أمام القانون ، وإذا كان قد ابعد الهنداكة فترة ما عن مناصب الدولة الرئيسية ، فانه فعل ذلك بعد أن لس منهم نزعاتهم الاستقلالية في وقت تواجه الدولة فيه خطرا خارجيا .

ولم يأل بلبن جهدا في سبيل رعاية الفنون والآداب ، وحرص على رفع شأن مجتمعه (٢) ، فشجع الناس على التحلى بتعاليم الاسلام وقد كان لعمله هذا اثر كبير على المجتمع الهندي حتى أن المؤرخين يعزون اليه ما يتمتع به الآن المجتمع الهندي من تقاليد رفيعة (٣) .

ومما يجدر ذكره ان هذا السلطان اكرم وفادة الشخصيات الاسلامية الكبيرة التي لجأت الى الهند فرارا من بطش وجور المغول ، وكان من بين هؤلاء فريق من بنى العباس ومن امراء خوارزم وغيرهم . وقد انزل كل فريق منهم في حى خاص ، سمى باسمه ، مثل محلة عباس ، محلة خوارزمى ، محلة ديلمى ، محلة سنجرى ... الخ .

لما شعر بلبن بدنو أجله عهد الى ابنه بفراخان يتولى الحكم من بعده ، لكن بفراخان رفض ، واثار البقاء في البنغال ، لذلك عهد السلطان الى كيخسرو بن بفراخان بولاية عهده ، وتولى كيخسرو السلطنة في دلهى سنة ١٢٨٧ (٤) ، وكان ضعيفا لا يستطيع القيام بأعباء الحكم ، فأسند أمور الدولة الى نظام الدين وكان رجلا طموحا استبد بأمور الدولة دون السلطان ، وزين نظام الدين للسلطان الاستمتاع بمباهج الحياة واللهو والعبث ، وأسند المناصب الرئيسية في الدولة الى رجاله المقربين اليه (٥) .

على أن بفراخان - حاكم البنغال - ساءه ما علم من استبداد نظام الدين بأمور الدولة دون ابنه السلطان ، وعقد معه لقاءا سريا حثه فيه على التخلص من نظام الدين ورجاله واستعادة نفوذه في الدولة ، لكن الترك لم يمكنوه من ذلك . بل عزلوه وولوا بدلا منه كيقباد - أحد اطفاله الصغار - على أن الخلجيين لم يمكنوا الترك من الاستبداد بأمور الدولة ، فدخلوا دلهى ، وازالوا عنها حكم المماليك .

-
- | | |
|---|-----|
| Munshi : The Struggle for Empire. p. 157-158. | (١) |
| Prasad : Medieval India pp. 171-172. | (٢) |
| Ma Jumdar : An Advanced Hist. of India. p. 284. | (٣) |
| Munshi : The Struggle for Empire p. 158. | (٤) |
| A Short Hist. of Hind-Pakistan. p. 144. | (٥) |

٢ - السياسة الداخلية لسلطنة

دهلي الاسلامية في العهد الخلجي

قيام الدولة الخلجية في دهلي : -

يرى البعض ان الخلجيين من اصل تركي ، على حين يرى آخرون أنهم من اصل أفغاني . ويؤكد باراني أنهم ينسبون الى قليج خان - أحد أصهار جنكيرخان ، نزل بجبال الغور بعد هزيمة شاه خوارزم ، وحرف اسمه بعد ذلك الى خلج ، وقيل لورثته الخلجيون (١) ، وقد اندمجوا في الحياة الافغانية ، واعتنقوا الاسلام في عهد سلاطين بنى سبكتكين ، وضم الجيش الغزنوي فرقا منهم ساهمت في فتح الهند (٢) .

على ان نشاط الخلجيين اتضح في عهد سلاطين الغور . فحينما ولي قطب الدين أيبك التركماني اقليم الهند نيابة عن سلطان الغور ، حرص على توسيع رقعة ولايته الجديدة في بلاد الهند ، فأسند هذه المهمة الى قائده محمد بن بختيار الخلجي ، فاستولى على بندنبري - عاصمة اقليم بهار - وكان يحكمها ملوك أسرة بالا ، ولم يلبث ان استولى على مملكة بالا بأسرها ، وكانت الديانة البوذية سائدة بين سكان هذه المملكة ، فحطم القائد الخلجي معابدهم وأصنامهم ، ونشر الاسلام بينهم ، وانضمت هذه البلاد الى امبراطورية الغور (٣) .

واذن قطب الدين أيبك - نائب سلطان الغور في الهند - الى القائد الخلجي بمواصلة الفتح والتوسع ، فاتجه محمد بن بختيار الخلجي الى نادية - عاصمة البنغال - وعلى الرغم من قلة عدد جنده ، فانه اقتحم نادية ، وكان يحكمها لكشمن سنا من أسرة سنا ٥٩٥ هـ / ١١٩٦ م ، وفزع الملك الشيخ وجزع ، ورأى ان لا قبل له بالغزاة المسلمين ، فلاذ بالفرار من عاصمة ملكه ، لا يلوى على شيء وقد يسر ذلك للقائد الخلجي أمر الاستيلاء على نادية - عاصمة البنغال - فضمها الى مملكة الغور ، وأقام الخطبة فيها للسلطان الغوري ، وقد مهد سقوط نادية في أيدي الغور السبيل لهم لضم

(١) محمد قاسم هندوشاه : تاريخ فرشته ص ٨٨ - ٨٩ .

(٢) Lane Poole : The Mohammadan Dynasties p. 91.

(٣) Lane Poole : Medieval India. p. 54.

اقليم البنغال بأسره لدولتهم (٢) .

لم يكتف محمد بن بختيار الخلجي بما احرزه من انتصارات رائعة ، بل تطلع الى المسير الى التبت للاستيلاء على هذه البلاد ، ففي سنة ٦١٣ هـ / ١٢٠٦ م اتجه في عشرة آلاف فارس الى التبت ، لكن حملته باءت بالفشل الذريع ، وتعرض جنده لاهوال جسام اثناء انسحابهم ، ولقى الكثير منهم حتفه في عودتهم الى ديفكوت ، ولم يلبث هو كذلك ان توفي (٢) .

حرص خلفاء محمد بن بختيار الخلجي على بسط نفوذهم على بعض اقاليم الهند ، فلما قامت دولة المماليك في الهند ، وولى شمس الدين التمش السلطنة في دهلي ، تعرض لمشاكل داخلية تهدف الى اطاحته من الحكم ، واثار هذه المشاكل رجال الدولة الذين انتهزوا فرصة الفوضى التي اعقبت وفاة قطب الدين ايبك ، وقد مهدت هذه المشاكل للخلجيين امر السيطرة على بهار والبنغال (٣) .

على ان الملوك المماليك لم يقفوا مكتوفى الايدي ازاء نزعات الخلجيين الاستقلالية ، فلما غادر جلال الدين منكبرتي بلاد الهند ، وزال خطر الخوارزميين عنها ، وبالتالي خطر المغول ، تفرغ السلطان التمش لقمع الحركات الاستقلالية في دولته ، ومن ابرزها ومنها استقلال غياث الدين الخلجي في البنغال عن دهلي حيث اقام الخطبة باسمه ، ونقش اسمه على السكة ، وتلقب بالقباب الملوك ، وقوى امره ، واشتد بأسه وامتد نفوذه على البلاد الواقعة شرقي دهلي (٤) .

عول السلطان التمش على سحق محاولة الخلجي الاستقلالية ، وسار على رأس جيش كبير الى البنغال ولما رأى الامير الخلجي عدم استطاعته التصدى لسلطان دهلي ، أعلن عودته الى الولاء والطاعة ، ونبذ التمرد والعصيان ، وتعهد بالعودة الى دفع الاموال المقررة عليه ، الا انه لم يكن صادقاً في تعهده ، بل كان يزعم انتهاز فرصة أخرى تتيح له العودة الى الاستقلال بولايته ، فلما ابتعد السلطان التمش عن البنغال أعلن الاستقلال ، وسار الى بهار ، واستولى عليها ، غير انه لم يهنأ بهذا الاستقلال طويلاً ، اذ سار اليه ناصر الدين محمد شاه - والى اودة - من قبل السلطان

K. Ali : A New Hist. of Indo-Pakistan. p. 40.

Munshi : The Struggle for Empire. p. 119.

IBID. p. 120.

Munshi, p. 134.

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

التمش - وهاجم البنغال ، ووقع الهزيمة بالخلجي وأنصاره وبذلك عادت البنغال الى حوزة سلطان دهلي (١) .

لكن الامير الخلجي لم يستسلم لانتزاع البنغال منه ، بل عول على استرداد هذا الاقليم ، فلما توفي ناصر الدين محمد شاه - والى البنغال من قبل ابيه سلطان دهلي - عاد الى البنغال وحكمها (٢) .

ضعفت دولة المماليك بعد وفاة السلطان بلبن وقد عهد بالحكم لابنه بغراخان لكن بغراخان آثر البقاء في البنغال ، وأسندت السلطنة الى كيخسرو ابن بغراخان سنة ١٢٧٨ م ، وكان ضعيفا لا يستطيع القيام بأعباء الحكم ، فأسند أمور الدولة الى نظام الدين ، وكان رجلا طموحا استبد بأمور الدولة دون السلطان ، وزين للسلطان أمر الاستمتاع بما في الحياة الدنيا من مباحج حتى يبعده عن الانشغال بأعباء الحكم ، وأسند المناصب الكبيرة في الدولة الى رجاله المقربين (٣) .

على أن بغراخان - حاكم البنغال - ساءه استبداد نظام الدين بأمور الدولة دون السلطان ، وعقد معه لقاء سريا حثه فيه على التخلص من نظام الدين ورجاله ، واستعادة نفوذه في الدولة ، ومباشرة مسؤولياته بنفسه ، ونفذ السلطان مطالب أبيه وتمكن من التخلص من نظام الدين ورجاله ، واسترد نفوذه في الدولة (٤) .

لكن السلطان كيخسرو لم ينفرد بالسلطة طويلا فقد تأمر عليه الترك ، وعزلوه وولوا بدلا منه كيقباد - أحد اطفاله الصفار - السلطنة حتى يتيسر لهم الاستبداد بالدولة دونه (٥) .

استاء الامراء الخليجون من استبداد الترك بأمور الدولة ، وعولوا على تغيير نظام الحكم في دهلي ، فساروا اليها بقضهم وقضيضهم بقيادة زعيمهم فيروز وهزموا القواد الاتراك ، وأحدثوا انقلابا في دهلي أطاحوا فيه بالسلطان الطفل ، وأعلنوا فيروز سلطانا ، ولقب جلال الدين ، وكان

-
- | | |
|---|-----|
| A Short Hist. of Hind. Pakistan. p. 136. | (١) |
| Munshi, 157. | (٢) |
| IBID. 158. | (٣) |
| Munshi, p. 158. | (٤) |
| Lane Poole : The Mohammadan Dynasties. p. 91. | (٥) |

ذلك سنة ١٢٩٠ م (١) .

ولم يتقبل اهالى دهلى حكم الخلجيين في بادىء الامر بالرضا والتأييد، لكثرة ما ألحقه جندهم ببلدهم من الخراب والدمار ، وارتكابهم حماقات ذهب ضحيتها الكثيرون . على ان السلطان الخلجى الذى كان في السبعين من عمره - تمكن بحسن سياسته وعدله ومودته أن يجتذب الناس الى محبته . وبذلك خضع أهل دهلى للملك الجديد والعهد الجديد ، ووفد الناس على السلطان الشيخ زرافات ووحدانا يبايعونه ويقدمون له قروض الولاء والطاعة (٢) .

سياسة السلاطين الخلجيين في توطيد سلطانهم

لم يأل السلاطين الخلجيون جهدا في سبيل سحق حركات التمرد والعصيان ، ومنع اندلاع الثورات ضدهم والحيولة دون حدوث الحركات الاستقلالية والانفصالية في الدولة ، وأول هذه الحركات الثورية حدث سنة ١٢٩٠ حينما أعلن جيغو - حاكم اقليم كره - الثورة ضد الحكم الخلجى وهو ابن أخى بلبن وكان يطمع في استعادة عرش دهلى ، وقوى أمره واشتد بأسه وكثر انصاره ، وانضم اليه الكثير من الامراء والراجات وتعاهدوا وتعاضدوا على الوقوف الى جانبه ضد نظام حكم جلال الدين فيروز شاه ، وأعلن جيغو الاستقلال عن دهلى ، بل أعلن نفسه سلطانا ، وتلقب بلقب مغيث الدين ، وضرب العملة باسمه وأمر بذكر اسمه في الخطبة ، وأعد جيشا كبيرا للزحف الى دهلى وامتلاكها ، واسقاط الحكم الخلجى (٣) .

لم يقف السلطان جلال الدين مكتوف اليدين ازاء هذه الحركة الخطيرة التى تهدف الى انتزاع الحكم منه ، بل عول على احباطها ، فأستخلف في دهلى ابنه الاكبر ولقبه خان الخانات ركن الدين ، وسار هو على رأس جيش كبير ، يتكون من عشرة آلاف مقاتل وقسمه الى قسمين ، قسم قاده اركالى خان ، والثانى تحت قيادته هو (٤) ، وباغت اركالى الاعداء على حين غفلة منهم ، وهزمهم شر هزيمة . غير أن المتمردين لم يهنوا ولم يضعفوا بل اعادوا تنظيم صفوفهم ، ودخلوا مع اركالى وجنده في معركة أخرى ،

Lal : Hist. of the Khaljis. p. 15. (١)

Majumdar : An Advanced Hist. of India. p. 289. (٢)

(٣) تاريخ فرشته ، ص ٩٠ .

(٤) ضياباراني : تاريخ فيروز شاهى ، ص ١٨٤ .

ولما علم جيغو باقتراب السلطان ، اسقط في يده ، وترك ميدان القتال ، ولاذ بالفرار لا يلوى على شيء ، غير أن أركالى خان اقتفى أثره ، ولجأ جيغو الى قلعة قريبة من ولايته ، واعتصم فيها ، فحاصره أركالى ، وشدد عليه الحصار (١) ، ومنع وصول الاقوات الى القلعة ، حتى استسلم جيغو ، ووقع هو وانصاره أسرى في ايدي جيش دهلي ، أما السلطان فقد سار الى كره ، وطهر في طريقه البلاد من المتمردين وعناصر الشغب ، واستعاد كره ، وسبق الأسرى المتمردين اليه مكبلين بالسلاسل والاغلال . على ان السلطان الرحيم أمر بفك قيدهم ، وأن تكفل لهم وسائل الراحة ، وبدلاً من أن يحاكمهم بتهمة الخيانة والفدر ، عفا عنهم ، وتغاضي عن خطاياهم وآثامهم ، وشملهم بعنايته ورعايته وعطفه ، وحذره قواده من هذا التسامح الذي قد لا يؤدي الى وقف حركات التمرد والعصيان ، بل ربما يزيد الثورات اشتعالاً في دولته (٢) . ولكن السلطان الشيخ استند في عفوه وصفحه الى روح الاسلام التي تدعو الى تجنب اراقة دم المسلم ، وكان يرى انه في شيخوخته يجب عليه أن يختتم حياته بالاعمال الطيبة الصالحة . ومهما يكن من أمر فقد أفرج السلطان عن عناصر التمرد والفتنة ، وأرسل جيغو الى الملتان في ظل حراسة مشددة (٣) .

ظهرت حركات معارضة اخرى للحكم الخليجي من بينها حركة دبرها أمراء ونبلاء التمش ، وتزعمها تاج الدين كوشي ، وعقدوا عدة اجتماعات وندوات تحدثوا فيها عن مساوئ الحكم الخليجي وعدم جدارته بتولى زمام الامور في الدولة وعدم صلاحية جلال الدين بالذات لعرش سلطنة دهلي ، واتفقوا على العمل على ازاحة الخليجيين عن حكم البلاد ، ونقل زمام الحكم من جلال الدين الى تاج الدين كوشي ، ودبروا مؤامرة لاغتيال السلطان الخليجي . غير أن تفاصيل هذه المؤامرة نمت الى علم السلطان ، فأرسل اليهم يهددهم ويتوعددهم بسيفه ان لم يعودوا الى الولاء والطاعة ، ويقلعوا عن التآمر والتمرد فخشوا مغبة عصيانهم ، وأرسلوا اليه وفدا يعتذر عما بدر منهم ، ويطلب من السلطان العفو والصفح ويعلن عودتهم الى الولاء والطاعة ، فعفا السلطان الطيب عنهم . وبذلك احبط جلال الدين هذه المؤامرة بالطرق السلمية (٤) .

(١) المصدر السابق ، ص ١٨٥ .

Lal : op. cit. p. 20.

(٢)

(٣) باراني : تاريخ فيروز شاهی ، ص ١٨٩ .

Lal. op. cit. p. 22.

(٤)

وتعرض جلال الدين لمؤامرة أخرى كادت تقضي عليه ، ورأس هذه المؤامرة سيدى مولى ، وهو درويش من بلاد فارس ، لجأ الى الهند عقب الغزو المغولى لها ، وأقام في دهلى إبان حكم بلبن ، وعاش فيها حياة زهد وتقشف وخشونة ، يتبسط في طعامه ويلبس الخشن من الثياب ومن الغريب انه يتعفف عن أموال الناس ، فلا يقبل ما يعرض عليه من منح وهبات ورغم ذلك كان ينفق عن سعة ، وبني خانقاة عظيمة ، ووفد عليه الناس من كل مكان بعد ان بلغ صيته الآفاق ، وكان يستضيفهم ويكرم وفادتهم ، ويدفع هذه النفقات الكبيرة من ماله الخاص ، ودهش الناس وأخذتهم الحيرة لعدم معرفتهم مصدر هذه الاموال حتى اعتقد بعضهم ان له صلة بالجن او معرفة بالسحر (١) .

كثر اتباع هذا الرجل من الصوفية والفقراء والمساكين والنبلاء أيضا ، ونظر جلال الدين اليه نظرة شك وريبة فحضر مجلسه متنكرا ، وشاهد بنفسه التفاف الناس حوله ، واتضح ان سيدى مولى ليس درويشا ولا متصوفا ، وانما يتخذ من هذا المظهر وسيلة لتحقيق أغراض سياسية فقد كان يكثر من الاتصال بالامراء والنبلاء وقواد بلبن المعارضين لحكم جلال الدين ، وبلغ من ازدياد نفوذه ان خان الخانات ركن الدين بن جلال الدين أصبح من مريديه ، وتدخل الشيخ الدرويش في النزاع الذى حدث بين ابنى جلال الدين حول ولاية العهد ، وحاول كل منهما تقوية مركزه بضم الانصار والاعوان له ، ومن ثم ظهر حزبان في دهلى الاول موال لخان الخانات ويضم الشيخ الدرويش ، والآخر التف حول أركالى خان ، ويضم المناهضين للدرويش وحرص خان الخانات على ان يخاطب الدرويش بالابوة حتى يكتسب الى جانبه انصار الدرويش (٢) .

حرصت الحركات المعارضة للحكم الخلجى على نيل رضا الشيخ الدرويش حتى ان أبناء امراء العهد البائد تطلعوا الى الشيخ للوقوف الى جانبهم في استعادة نفوذهم ، وخلع السلطان الخلجى (٣) .

ومهما يكن من أمر فقد دبر هؤلاء المعارضون للحكم الخلجى مؤامرة لاغتيال السلطان جلال الدين وهو ذاهب لصلاة الجمعة في مسجد دهلى

Munshi op. cit. p. 161.

(١)

(٢) تاريخ فرشته ، ص ١٩٢ .

(٣) بارانى : تاريخ نيروز شامى ، ص ١٨٩ .

الكبير ، بعدها يعلنون سيدى مولى خليفة ، ويتزوج من ابنة السلطان ناصير الدين غازى كيانى ، ويحصل على لقب غازى خان ثم يعين أبناء بلبن فى الوظائف الرئيسية فى الدولة ، على أن هذه المؤامرة فشلت فشلا ذريعا ، فقد علم السلطان بأنبائها ومخططها ، وأمر بالقبض على جميع المتآمرين ، وأجبروا بالعنف والشدة على الاعتراف بتفاصيل المؤامرة ، وأمر السلطان بإعدام المتآمرين على حياته - وعلى رأسهم سيدى مولى . وأمر بنفى وسجن المتآمرين الآخرين ، ولقد كان لمقتل سيدى مولى صدى كبيرا فى دهلى ، فقد غضب انصاره ومريدوه لمقتله ، ونادوا بالانتقام لولاهم الذى قتل ظلما ومات شهيدا حسب اعتقادهم . غير أن ثورتهم أخمدت . وبذلك نجا السلطان ودولته من محاولة قلب حكومته (١) .

لم تنته متاعب السلطان الخلقى عند هذا الحد ، بل واجه حركة استقلالية عن دولته تزعمتها مدينة رانشمهور ، وجدير بالذكر أن هذه المدينة كانت قوية التحصين حتى أن الفوريين لم يستطيعوا الاستيلاء عليها ، واستطاع التمش السيطرة عليها سنة ١٢٢٦ م ، واستعادها الراجيوتيون فى عهد السلطانة رضية المضطرب ، ولما ولى بلبن السلطنة استردها ، ولكنها عادت الى الثورة من جديد فى عهد جلال الدين الخلقى (٢) . ولم يتفاد هذا السلطان عن هذه الحركة الانفصالية فأناج عنه فى دهلى ، ابنه أركالى خان وسار هو على رأس جيش كبير لإعادة الأمن والهدوء الى هذه المدينة فى مارس سنة ١٢٩١ م ، واجتازت قواته صحراء النار القاحلة الموحشة ، وقاسى الجند فيها الوان العذاب وأهلك العطش والجوع الكثير منهم ، وظلوا على هذا الحال عدة شهور حتى أكلوا معظم دوابهم (٣) ، ومهما يكن من أمر فقد بلغ جلال الدين وجنوده مدينة رانشمهور ، وأرسل فرقا استطلاعية لاختيار قوة المدينة وحشد جيشه على حدودها ، ورأى السلطان أن يستولى على مدينة غين Thain قبل رانشمهور حتى لا يطعن جنده أثناء هجومها على رانشمهور ، وباغت الجند الخلقى غين ، وألقوا الذعر بين سكانها ، وقتلوا الكثير من سكانها ، ولم يستطع راجا هذه البلدة دفع الخليجيين عن دياره ، وفر من نجا من سكان البلدة لا يلوون على دار ولا يركنون الى قرار ، ودخل جلال الدين غين ، وضمها الى حوزته ، وأعجبه جمال البلدة وروعة ما فيها من تماثيل

Lal : Hist of The Khaljis. p. 26.

(١)

(٢) تاريخ فرشته ص ٩٤

(٣) بارانى : تاريخ فيروز شاہى ، ص ٢١٣ .

منقوشة من الحجر أو الخشب في قصر الراجا ، وزار معابد البلدة ، وشاهد نقوشها البديعة وتحفها الذهبية والفضية الرائعة . غير أن جلال الدين أمر باحراق التماثيل والتحف لأنها ترمز الى عبادة الاصنام (١) ، واخذ قطعتين من البرنز من تمثال لبرهاما وأمر بتفتيتها الى قطع صغيرة ، ووزع بعضها بين ضباطه وجنوده وكبار موظفي دولته ، وزين ببعض الآخر بوابات مسجد دهلي الكبير (٢) .

وبعد أن استولى جلال الدين على غين ، أرسل فرقا من جيشه الى مالوا Malwa ، وهاجمتها ، وحطمت معابدها وعادت محملة بالغنائم والاسلاب . وقد مهدت هذه العمليات الحربية لشن الحرب على رانثمهور ، واعادتها الى حوزة دهلي ، وكان صاحبها قد أعد جيشا كبيرا لصد هجوم جلال الدين ، وانضم اليه عدد كبير من راجات البلاد المجاورة ، وتعاضدوا جميعا على صد الجيش الخلجي ، وحصنت المدينة خير تحصين ، ولما نمت الى علم السلطان قوة تحصين البلدة ، واستعداد أهلها الكبير للذود عنها ، ودرء هجمات العدو ، خشي أن اشتبك مع أهل رانثمهور أن يقتل ويجرح الكثير من جنوده المسلمين ، وهو كرجل مسلم يحرص على عدم اراقة دم المسلمين الذي يؤدي بالضرورة الى ترميل النساء ، ويتم الاطفال ، وهو أمر لا يحتمله ، ويخشي وقوعه ، لذا قرر هذا الشيخ الطيب الرحيم رفع الحصار عن رانثمهور وأمر بانسحاب جيشه وعودته الى دهلي ، غير مبال بالعواقب ولم يستجب لنصيحة قواده ومستشاريه بسوء عاقبة هذا العمل وما ينجم عنه من ضياع هيئته بين سكان هذه البلاد . وفعلا كان لانسحاب جلال الدين أثر كبير في تشجيع الحركات الانفصالية ، فقد استردت غين استقلالها ، وخرجت رانثمهور من هذه المحنة ظافرة منتصرة ، وتحقق أملها وحلمها في الانفصال عن دهلي (٣) .

ومن أهم الاحداث الداخلية التي شهدتها سلطنة دهلي ، تأمر علاء الدين على عمه السلطان جلال الدين فقد كان هذا الأمير طموحا يتطلع الى العرش على الرغم من أن عمه السلطان قد أسند ولاية عهده الى ابنه ركن الدين ، وكان علاء الدين قد ولى من قبل عمه حكم إقليم كره سنة ١٢٥٤م وأسند اليه قيادة بعض الغزوات في أرجاء الهند كان آخرها في الدكن ،

(١) المصدر السابق ص ٢١٣ .

Lal : Hist .of the Khaljis. p. 30.

(٢)

(٣) باراني : تاريخ فيروز شاهي ، ص ٢١٣ .

وأحرز من هذه الفزوة بعض الانتصارات ، وعاد الى كره محملا بالغنائم والاسلاب ، وحينئذ وافته الفرصة لتدبير مؤامراته ضد السلطان ، فأرسل اليه يخادعه ويدعوه الى زيارته ، ويزعم ولاءه ومحبة له ، ولم يجد السلطان الشيخ غضاظة في الاستجابة لدعوة ابن أخيه على الرغم من تحذير رجاله له ، وسار الى كره ، وأفلح علاء الدين في اقناع السلطان بنزع أسلحة جنده منعا لحدوث صدام بين جند كره وجند دهلي ، أما علاء الدين فقد أعد جيشه وزوده بالأسلحة والمعدات ، وزوده بالخيول والفيلة ، وركز جنده في عدة مواضع (١) . ولما وفد السلطان على ابن أخيه ، وأدرك سوء نواياه ، أسقط في يده ، وأدرك انه لامحالة هالك ، وانصرف الى قراءة القرآن (٢) . هنا أمر علاء الدين بقتل السلطان ، ولما نفذت المؤامرة أعلن علاء الدين نفسه سلطانا ، وركب جنده الفيلة ، ورفعوا رأس جلال الدين على حربة ، وتجولوا بها في شوارع كره ، وأنعم علاء الدين على جنده وأنصاره بالمنح والهبات والالقاب (٣) .

على ان قتل جلال الدين لم يكن معناه تولية علاء الدين العرش بسهولة ويسر ، فقد اعترضته عقبات كبيرة ، ذلك أن دهلي العاصمة لازالت في ايدي أبناء جلال الدين ، كما أن أهل العاصمة استاءوا من مقتل السلطان ، وعقدوا العزم على منع قاتله علاء الدين من دخول بلدهم ، وعدم الاعتراف به سلطانا ، ولما علمت الملكة جهان بمصرع زوجها السلطان ، أعدت العدة ، وعقدت العزم على عدم ضياع العرش من ابنها قدر خان ، فأعلنته سلطانا بعد أبيه ، ولقبته ركن الدين ابراهيم (٤) .

على أن الملكة قد أساءت الى ابنها الأكبر أركالي خان فلم تعهد اليه بالحكم ، ذلك أن هذا الأمير لم يكن محبوبا من والديه ، لكن أركالي خان بقي في الملتان ، ولم يحاول القدوم الى دهلي لانتزاع حقه في العرش . وعلى الرغم من ذلك فقد انقسم أهل دهلي على انفسهم بين مؤيد لابن الأكبر ، ومؤيد لقدر خان ، وقد مهد هذا الانقسام لعلاء الدين في تنفيذ خطته الرامية الى دخول دهلي والتمكين لنفسه وخلع ركن الدين ابراهيم والتخلص من أمه ، وأعد عدته لتنفيذ خطته ، وعسكر جيشه على مشارف دهلي (٥) ، وقد استغل

(١) Lal : Hist of the Khaljis. p. 55.

(٢) تاريخ فرشته ، ص ١٠٢ .

(٣) Lal. : Hist. of the Khaljis. p. 56.

(٤) Majumdar : An Advanced Hist. of India. p. 289.

(٥) A Short Hst of Hind-Pakistan. p. 162.

علاء الدين الانقسام الذي حدث بين ابناء جلال الدين وسكان دهلي عموما في محاولة جذب الانصار اليه من بين افراد الحزب الجلالى ، ونجح في ذلك الى حد كبير ، وتجلّى ذلك في انفضاض الكثير من اتباع الحزب الجلالى عن الملكة جهان ، وانضمامهم الى علاء الدين ، الامر الذى ادى الى ضعف الحزب الجلالى ، وتقوية شأن علاء الدين ، ولما ايقنت الملكة ان موقفها من تولية ابنها الاصغر العرش بدلا من الابن الاكبر ادى الى انقسام اهل دهلي على انفسهم بين مؤيد ومعارض ، تراجعت وارسلت الى ابنها الاكبر اركالى خان في الملتان تطلب منه القدوم الى دهلي لتسلم زمام الحكم بدلا من ابنها ركن الدين ابراهيم ، ولكن اركالى رفض العودة وآثر البقاء في الملتان على الرغم من نداءات أمه اليه التى حذرته بأن عدم عودته سيؤدى الى ضياع العرش من بيت جلال الدين ، وتربع علاء الدين عليه (١) .

وقد ادى موقف اركالى خان الى تقوية شأن علاء الدين ، وزيادة الضعف والانقسام في جيش دهلي وبالحق علاء الدين في بذل الاموال والهدايا لانصاره حتى انضم اليه الكثير من جند ركن الدين ، فأسقط في يده ، واعتزل العرش ، ومهد ذلك لعلاء الدين أمر تولية العرش في دهلي (٢) .

دخل علاء الدين دهلي سنة ١٢٩٦ م ، وأعلن نفسه سلطانا ، وقبض على ركن الدين ابراهيم ، وسمل عينيه ، كما زج أمه في السجن ، واستصفى اموال انصار الحزب الجلالى ، ولقب أبو المظفر السلطان علاء الدنيا والدين محمد شاه خلجى ، وضرب العملة باسمه ، وأقيمت الخطبة باسمه ، وفرض الهدايا على الناس ، وأقيمت الزينات والسرادات في كل مكان ، وأقبل الناس عليه من كل صوب وحذب مؤيدين ومبايعين (٣) . وبذلك تربع علاء الدين على عرش سلطنة دهلي بعد أن تخلص من عمه وابن عمه ، وقوى من شأنه وجذب الانصار والاتباع له (٤) .

لما ولى علاء الدين السلطنة ، واجه مشاكل داخلية وخارجية معقدة فبلاده هذف لفتزوات المغول من الشمال الغربى سنويا ، وهذا الغزو يقترن عادة بالخراب والدمار ، واقتطاع اراض من مملكته ، كذلك انتقم اركالى

(١) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٢٢٩ .

(٢) المصدر السابق ٢٤٦ .

Lal : Hist : of the Khaljis. p. 63.

(٣)

Lane Poole : the Muhammadan Dynasties. p. 93.

(٤)

خان - ابن السلطان جلال الدين - من علاء الدين ، فاستقل بأقليم الملتان ، وضم الى حوزته السند والبنجاب ، وبذلك اقتطع من سلطته دهلى بلادا واسعة ، وفى السند مملكة الكجرات الفنية ويحكمها الامير الراجيوتينى وبالقرب من الكجرات تقع ممالك الأمراء الراجيوتيين فى Baghela صحراء الثار ، وكل اماره مستقلة عن الاخرى ، وتحرص على الانفصال عن دهلى ، ولم يستطع سلاطين دهلى من قبل اخضاعهم ، ومن ناحية اخرى توجد ممالك مثل شيتور Chittor ورائمبهور تقف من دهلى موقفا عدائيا ، يضاف الى ذلك أن بعض بلدان سلطنة دهلى مثل ملاوى Dhar ويوجين Ujjain لم تتأثر بعد بالحضارة الاسلامية ، بل تنتهز الفرصة المواتية للاستقلال عن دهلى ، وتقف منها موقفا عدائيا (١) . أما البنغال فولى حكمها ناصر الدين محمود ابن بلبن وأعقابهم ، واستقلوا عن دهلى . وحكم الدؤاب وماجاورها أمراء مستقلون عن دولة الاسلام فى الهند . وبذلك ولى علاء الدين السلطنة ، فى وقت تفككت فيه الدولة الاسلامية فى الهند ، وانفصل عنها الكثير من اقاليمها (٢) .

ولى علاء الدين السلطنة فى وقت كانت فى اشد الحاجة الى رجل دولة مثله ، فالسلطان الجديد يختلف عن سلفه جلال الدين ، يمتاز بقوة البأس ، والحزم وحسن التدبير ، والكفاءة العسكرية ، والادارية قبض على زمام الامور بيد من حديد ، وبذل قصارى جهده فى اعادة الوحدة الى دولته ، وانقاذاها من الهوة التى تردت فيها ، ودرء الخطر الخارجى عنها .

وأبرز أعداء السلطان الجديد ، أبناء جلال الدين ، ونبلاء دهلى ، وهؤلاء يعارضون العهد الجديد ، كما أن الراجات الذين استقلوا عن دهلى فى أثناء الاضطرابات التى حدثت فى أواخر عهد جلال الدين ، وبعد مصرعه من واجبه اعادتهم الى الولاء والطاعة له ، وكان عليه تنظيم ادارة البلاد ، وتقوية الحكومة المركزية ، وضمان طاعة وولاء القادة العسكريين ، والحكام المسلمين فى الولايات (٣) .

أعد علاء الدين جيشا فى سنة ١٢٩٦ لاختضاع اركالى خان - الذى استقل بالملتان وغيرها - ، وسار هذا الجيش الى الملتان ولم يستطع

(١) Majumdar. An Advanced Hist. of India. 291.

(٢) بارانى : تاريخ نيروز شاهى ، ص ٢٤٨ .

(٣) تاريخ فرشته ، ص ١٠٢ .

أركالى له دفعا بل قبض عليه وعلى اخوته وأقاربه وقادته وعقبسوا
أشد العقاب وصودرت أموالهم وامتعتهم ، وتكل بهم أشد تنكيل . وبذلك
استرد إقليم الملتان وبلاد البنجاب والسند ، وضمها الى حوزته (١) .

لم يكتف علاء الدين بذلك ، بل صادر ممتلكات نبلاء جلال الدين ،
والامراء والملوك الذين عملوا تحت قيادته - وكان لا يظمن الى ولائهم ،
وحرص على التنكيل بكل من حامت حوله الشبهات بعدم الولاء والطاعة
له ، وذلك بالمصادرة والسجن والتشويه ، وبذلك عادت البلاد الى الطاعة
والولاء له ، وجمع من المصادرات اموالا طائلة ، مكنته من توسيع رقعة
دولته ، ودرء الخطر الخارجى عنها ، والتصدى للحركات الانفصالية في
المملكة (٢) .

تتابعت انتصارات علاء الدين ، وفتح الكثير من البلدان ، وضمها الى
حوزته ، وحالفه التوفيق في دفع الغزو المغولى المدمر عن الديار الاسلامية
في الهند ، فأخذته نشوة النصر كل مأخذ ، وركبه الفرور ، وذهب عنه
صوابه ، فتوهم ان باستطاعته ان ينجز انجازات الاسكندر الاكبر من حيث
غزوه للعالم او محاولة ذلك ، وقهر الدنيا تحت سلطانه ، بل ذهب ابعد
من ذلك ، فقد تصور انه نبي لدين جديد وصاحب رسالة جديدة ، على
غرار محمد نبي الاسلام (ص) وتوهم ان اصحابه الاربعة بمثابة الخلفاء
الراشدين الاربعة ، وبدأ يتحدث عن امكانية نشر دعوته في أرجاء الدنيا ،
واستطاع بقوة بأسه وقوة جيشه وجنده التبشير بالدين الجديد والرسالة
الجديدة ، واستهوته قصص وأحاديث الشعراء والمؤرخين والأباء عن
الاسكندر الاكبر ، والتف حوله الانتهازيون الراغبون في تحقيق منافع
شخصية ، فزينوا له صحة ما توهمه ، وروجوا دعوته وهيا السلطان نفسه
لان يصبح الاسكندر الثانى . ومما لاشك فيه ان رجال ابلاط والقادة
المقربين اليه قد وافقوه لا عن اقتناع بل اتبعوه رهبه منه ، وخوفا من قسوته
وبطشه ، فلم يسعهم الا التعبير عن رضاهم (٣) .

تصور السلطان انه على حق فيما ذهب اليه ، ودفعه جنون العظمة
الى التماذى في افكاره وخيالاته ، وكان السلطان يقيم الحفلات الكثيرة ،

(١) بارانى : تاريخ فيروزشاهى ، ص ٢٤٩ .

Lal : Hist. of the Khaljis. p. 67. (٢)

(٣) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٢٦٦ .

ويجمع فيها كبار رجال دولته ، ويتحدث فيها عن دعوته ، وفي إحدى هذه الحفلات حذره عمه علاء الملك القاضي من خطورة ما ذهب إليه على ملكه ، وعلى الوضع الداخلى في البلاد ، ومن انتقاضه الكثيرين من الفيورين على دينهم ، فقال : ان الدين امر يوحى به الله للأخيار من عباده ، ولا يمكن ان يكون بفعل أو بصنع انسان . وقال : ان الاسلام دين الحق ، ولا يمكن القضاء عليه ؛ حتى ان قهار العالم وجبايرتهم مثل جنكيزخان ، اراقوا من دماء المسلمين ما اراقوا وكنهم لم ينالوا من الاسلام شيئاً ، بل دخل المغول في دين الله افواجا ، ووضح ان الناس اذا وجدوا السلطان يشككهم في معتقداتهم لن يسمعوا له ويطيعوا بل سيدمرون ملكه ، وبذلك تعم الفوضى البلاد ، وينتهز امراء الاقاليم فرصة هذه الفوضى ، ويحققون املهم في الاستقلال عن دهلى . ووضح علاء الملك للسلطان ان النبوة لا تاتى الملوك ، وان كان بعض الرسل قد اوتى من الملك نصيباً (١) وأما عن فكرة قهر العالم ، فقد اوضح علاء الملك للسلطان ان الظروف تغيرت ، وان الاسكندر كان يستند الى حكم الحكماء مثل ارسطو الذى اوتى الحكمة وفصل الخطاب ، وهو مالا نظير له عند علاء الدين كما ان الاسكندر ورث عن ابيه قليب المقدونى ، دولة اليونان الموحدة ذات الادارة القوية (٢) .

وختم القاضي نصيحته للسلطان بقصر جهوده وتركيزها فى اخضاع بلاد الهند لسلطانه ، وقهر الكفرة فيها ، والدعوة الى الاسلام في غير بلاد الاسلام ، وواصلح البلاد ، والقضاء على الفتن والثورات وحماية البلاد من هجمات المغول ، وقد لقيت نصيحة علاء الملك اذنا صاغية من السلطان فأقلع عن فكرة الدعوة لنبوته ، وتأسيس دين جديد والتفرغ للغزو والفتح واصلح البلاد . وبذلك عدل السلطان عن دعوته التى كانت ستؤدى الى ثورات وانتقاضات في المملكة . قد يذهب ضحيتها السلطان او تتفكك عرى الوحدة في البلاد .

تعرض علاء الدين لمؤامرة كادت تودى بحياته ، وقاد هذه المؤامرة ابن أخيه سليمان شاه ، وكان يشغل منصب وكيل الدار واراد بخطته ان يسقى علاء الدين من نفس الكأس الذى اسقاه لجلال الدين ، ويتولى هو - أى سليمان شاه السلطنة وكان علاء الدين قد أرسل عدة حملات الى نواحي الهند الفتح والتوسع ، بينما سار هو الى رانشمبهور ، وتوقف في تلبات

(١) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٢٧٠ .

Lal : Hist. of the Khaljis. p. 75.

(٢)

Tilpat لبعض الوقت ، وباغته قواده - الذين انضموا الى سليمان شاه في مؤامراته - ورموه باسهم فأصيب بجراح شديدة ، وأعلن المتآمرين مقتله وأعد سليمان شاه العدة لتولى السلطنة ، وساد الذعر معسكر السلطان ، وتفرق الجند السلطاني (١) وفي خضم هذه الفوضى ، اخفى انصار السلطان ، السلطان ، وضمّدوا جراحاته ، وعالجوه خير علاج وانجعه ، وحينما توجه سليمان شاه - رأس المؤامرة - الى معسكر السلطان مطالبا تسليمه له ، رفض رجال علاء الدين ذلك ، وفجأة حدث ما لم يكن في حساب المتآمرين ، فقد ظهر علاء الدين فجأة ، وان كان ضعيفا من آثار الجروح ، فاسقط في ايدي المتآمرين ، فلاذوا بالفرار بقيادة رئيسهم سليمان شاه لا يلوون على شيء الى افغانستان ، وبذلك احبطت هذه المؤامرة التي كادت ان تودي بالسلطان علاء الدين وتمهد السبيل لتولى ابن اخيه سليمان شاه سلطنة دهلي (٢) .

راى علاء الدين ضرورة استئصال شأفة المتآمرين فأرسل فرقا من جيشه الى افغانستان للقبض على المتآمرين ، وأدى الجيش مهمته فقبض على سليمان شاه وقتل وحملت رأسه الى معسكر السلطان (٣) وانتقم السلطان شر انتقام من المتآمرين فأمر بقتلهم ومصادرة اموالهم ، وسبى نسائهم واطفالهم ، وتوزيعهم على القلاع ، وبذلك فشلت محاولة التخلص من علاء الدين ، وخرج من هذه المحنة قويا .

على ان اغتصاب علاء الدين العرش من عمه سبب له متاعب كثيرة اذ اصبح واضحا عدم وجود قاعدة ثابتة لوراثة الملك ، وكان ذلك من اسباب طمع سليمان شاه في اغتصاب العرش ، واشعل بعض امراء الاسرة الحاكمة ثورة في دهلي منتهزين فرصة غياب علاء الدين عنها ، وطالبوا بعزل السلطان ، وأوليه واحدا منهم الحكم مبررين تدميرهم بشدة السلطان وقسوته ، واستبداده وجوره ، غير ان حكومة دهلي قبضت على المتآمرين ، وسيقوا الى علاء الدين في رانشمبهور ، فأمر بسملهم ، وزجهم في السجون ، وتكل بأتباعهم (٤) .

(١) باراني : تاريخ فيروز شاهي ص ٢٧٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٧٣ .

Lal : Hist. of the Khaljis. p. 88.

Lal : Hist. of the Khaljis. p. 89.

(٣)

(٤) تاريخ فرشته ، ص ١٠٧ .

ولم تنته متاعب علاء الدين عند هذا الحد ، بل واجه حركة ثورية اخرى ضد نظام حكمه ، قادها حاجى مولى وهو رجل طموح واسع الاطماع ، كان يشرف على ادارة بعض الاراضي الملكية ، ولقد بدا حاجى مولى مؤامراته بالتصدي لتيرمیزی Tirmizi ، الذى عهدت اليه حكومة دهلى باصلاح بوابة بادون ، وعرف عن هذا الرجل شدة البأس والعنف والفطرسية ، لذا اضمر أهل دهلى له السوء ، وبينما صاحبنا يصلح بوابة بادون احاط بمسكنه عدد من الاكواخ اقام فيها العمال الذين عهد اليهم بتشديد القلعة ، وتوجه حاجى مولى الى منزله ، زاعما انه يحمل اليه رسالة من السلطان ، وبينما تيرمیزی يتسلم الرسالة باغته حاجى ورجاله وقتلوه ، واخرج من جيبه خطابا للناس نسبته الى السلطان زعم فيه ان علاء الدين امره بقتله ، وقد اخذ الناس الجزع والفرع بعد هذا الحادث حتى اغلقوا منازلهم وانضم الى حاجى مولى المتدمرون من علاء الدين ، والجند الفارين من جيشه بعد ان اضناهم طول الغياب في احرب والقتال . وافلح حاجى مولى في اشاعة الفوضى والدعر في دهلى ، والتمكين لنفسه ، وقاد اتباعه الى السجون ، وامرهم باقتحامها ، والافراج عن تزلاتها ، فكثر اتباعه وقوى امره ، واشتد بأسه ، واطلق لاتباعه العنان فنهبوا خزينة الدولة ووزع الاسلحة والخيول والاموال على اصحابه وحصل على أموال طائلة من اعمال السلب والنهب التى قادها ، واختار طفلا من سلالة التمش ، وأعلنت سلطانا بدلا من علاء الدين الذى اعلن عزله ، واعتزم ان يحكم ابلاد باسم هذا الطفل ، وقد لقيت خطته قبولا من كثير من سكان المملكة امارهة او كراهة لعلاء الدين ، فوفدوا على السلطان الجديد وبايعوه وقدموا له فروض الولاء والطاعة (١) .

كان طبيعيا الا يقف علاء الدين مكتوف اليدين ازاء هذه الثورة التى هدمت دولته وملكه ، فاتخذ الالهة لآخمادها ، وعهد بهذه المهمة الى ملك حميد الدين ، وبلغ خان ، وسار جيش السلطان الى دهلى ، واشتبك مع حاجى ورجاله في عدة معارك ، انتهت بهزيمة حاجى ، وسحق قوات التمرد ، وقتل حاجى مولى ، وعلقت رأسه على حربة ، ودار بها الجند في شوارع دهلى ، ثم ارسلت الى علاء الدين في رانثمهور ، وحرص حميد الدين على استئصال الفتنة من جذورها ، فأمر بالقبض على اعوان وانصار حاجى مولى ، وصادر اموالهم ، التى يسر حاجى لهم نهبها ، واودعت هذه الاموال فى خزينة الدولة ، وانتقم حميد الدين من الثوار فقتل كل من قبض عليه (٢) . ومما لاشك فيه ان اخماد الثورات التى قامت ضد علاء الدين بالعنف

(١) بارانى : تاريخ فيروز شامى ص ٣٧٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٧٨ .

والقسوة أدى الى استتباب الامر للسلطان ، واعادة الهدوء والسكينة الى البلاد ، واخماد الفتن والثورات ، وتوقف حركات التمرد والعصيان .

على ان كثرة الثورات التي حدثت ضد السلطان علاء الدين جعلته كثير اشك والريبة في رجال الدولة حتى المقربين اليه ، فيتهمه بعض المؤرخين بتدبير اغتيال بلغ خان اثناء سيره الى دهلي لقمع حركة حاجي مولى ، اذ خشي ان يتنزع سلطانه ، ولكن بارانى يشك في هذه الرواية التي ردها بعض المؤرخين ، ذلك ان بلغ خان كان شديد الاخلاص للسلطان ، وحزن عليه علاء الدين كثيرا ، بل امر بتوزيع الصدقات على روحه (١) .

غادر السلطان علاء الدين رانمبهور ، واتجه الى دهلي ، وتردد كثيرا في دخولها ، وبقي فترة من الوقت يجول ويصول في ضواحيها ، ولا يجسر على دخولها لان دهلي كثيرة الثورات ضد الحكم الخلجي ، وامر قواده بتطهير العاصمة الهندية من المتمردين ، ولما اطمأن الى استتباب الامن والنظام في دهلي ، وخلوها من عناصر الثورة والفتنة دخلها ، واخذ في اصلاح احوالها ، وحل مشاكل الجماهير بها (٢) .

واستطاع علاء الدين بفضل ما بذله من جهد من اعادة الامن والطمأنينة الى البلاد ، غير انه لم يضع الحلول المناسبة لتفادي المشاكل الناجمة عن عدم وضع قواعد ثابتة اوراثة عرش دهلي ، الامر الذي ادى الى حدوث ثورات وفتن حول اغتصاب الحكم (٣) .

كان كافور - خصي علاء الدين - مقربا اليه وصاحب حظوة عنده وكان طموحا يتطلع الى السيطرة على مقاليد الامور في البلاد عقب وفاة سيده ، فانتهاز فرصة اشتداد مرض السلطان ، وحمله على كتابة وصية يتولى ابنه الطفل عمر خان - وكان غرا صغيرا لا يتجاوز السادسة من العمر - وفي نفس الوصية طلب السلطان من ابنه الاكبر خسروخان التخلي عن المطالبة بالعرش ، ولزوم الولاء والطاعة لاخته الاصغير ، وعهد السلطان الى كافور بالوصاية على ابنه الطفل ، وبذلك حقق كافور على يد سيده السلطان ما

(١) المصدر السابق ص ٢٧٨ .

Lal : Hist. of the Khaljis. p. 97.

(٢)

Lal : Hist. of the Khaljis. p. 96.

(٣)

كان يصبو ويتطلع اليه من الاستئثار بالسلطة والنفوذ في سلطنة دهلي .

لما توفي علاء الدين سنة ١٣١٦ م جمع كافور النبلاء وكبار رجال الدولة ، وظهر لهم وصية السلطان الراحل التي اودعها اياه والتي تتضمن تولية ابنه شهاب الدين عمر . وبذلك خلف هذا الطفل الصغير اباه ولقب شهاب الدين عمر خلجى . وبتوليته اصبح كافور سيد الموقف في سلطنة دهلي بلا منازع (١) .

ولكى يكتسب كافور احترام وتقدير الناس ، وتزداد سيطرته على السلطان الطفل وعلى الحكم ، تزوج من امه راماديفا Rama Deva وأمر بسمل عين خسرو خان الابن الاكبر للسلطان علاء الدين واخيه شادى خان ، حتى لا يطالب أحد الاخويين بالعرش بعد ان فقدوا الابصار ولم يكتف بذلك ، وانما جرد والده خسرو خان من حليها ، وأمر بنقيها الى جاوهار (٢) .

وشعر كافور انه غير آمن على نفسه ، وفعلا اشتدت المعارضة له ولحكمه ، واستنكر الناس فعله واستبقحوه ، ولم يرضوا عن سيطرته على الحكم ، فضلا عن تشويه واذلال بعض افراد البيت الحاكم ، وعادات الفوضى والاضطرابات الى البلاد ، فسعى الى حماية نفسه من اعدائه المتربصين به ، فعمد الى نفى كل من تحوم حوله الشبهات من الامراء وقواد الجيش وكبار رجال الدولة ، بل شوه بعضهم بالسمل ، وصادر اموال معارضييه فضلا عن الحاقه ويلاته بهم ، وازدادت شكوكه ، فأبعد عن البلاط كل اعوان وانصار سيده علاء الدين ، وجردهم من وظائفهم واسندها الى اعوانه وانصاره (٣) .

على أن كافور لم تصف له الامور ، ولم تبتسم له الايام طويلا ، ولم يسعد بالسيطرة على سلطنة دهلي على الرغم من اجراءات العنف وسياسة البطش والقمع التي اتخذها ضد المشتبه فيهم ، فقد تدمر منه الناس وترقبوا ساعة الخلاص من هذا الحكم الفاشم ، واحاطوا كل تحركاته بالتحسس ، ودبرت الكثير من المؤامرات للتخلص منه ، وآخرها حدث حينما ارسل فريقا من جنده لقتل مبارك خان في سجنه ، ولما اقترب الجند من

(١) تاريخ فرشته ، ص ١٢٤ .

Lal : Hist. of the Khaljis. p. 287.

(٢)

Majumdar : op. cit. pp. 287-288.

(٣)

هذا الأمير ، القى ماله من ذهب وقضة لهم وناشدهم عدم التعرض له ، فاستجاب الجند لندائه ، وتيقظ ضميرهم ، ولم يكن غائباً عن اذهانهم ان كافور رجل ظالم مستبد ، وأن الاوان للتخلص منه ، وتمردوا عليه (١) ، بل ساروا الى قصره ، وشنوا عدة هجمات على القصر ، تمكنوا من اقتحامه اخيراً ، وقتلوه ، وبذلك خلصوا البلاد من استبداد وبطش وجور كافور الفاشم الذى حكم البلاد خمسة وثلاثين يوماً ارتكب خلالها اعمالاً عدوانية بشعة ضد افراد البيت الحاكم ورجال سيده (٢) .

لم يكتف الثوار بذلك ، بل افرجوا عن مبارك خان وعينوه نائباً للسلطان شهاب الدين بدلا من كافور ، وقد بدا حكمه للبلاد بداية حسنة ، فأعطى الثبلاء والقواد ورجالهم اماناً على انفسهم ، ورد اليهم الاموال التى صادرها منهم فطابت نفوسهم ورضوا عنه وناصروه والتفوا حوله وايدوه (٣) ، غير انه عاد الى الاستبداد واعمال العنف ، وحدثته نفسه بالانفراد بالسلطة فنفى شهاب الدين عمر الى جاوهار ، وعزله عن العرش ، وولى هو السلطنة ولم يعد له منازع في الحكم او البلاط واعتزم تحطيم وتدمير كل مراكز القوى التى بالملكة ، والتى قد تضعف نفوذه او تعرقل سياسته ، وبدأ بالجند الذين افرجوا عنه ، وقتلوا كافور ، وولوه بدلا منه ، فشتتهم في البلاد ، ورفض الاستعانة بهم في ادارة دولته ، وفي نفس الوقت تخلص من انصار كافور ، وكل من يخشي بآسه (٤) .

اعلن مبارك شاه نفسه سلطاناً في ابريل سنة ١٣١٨ وبدأ عهده - كما فعل اسلافه من قبل - بمنح الهبات والهدايا والالقاب لكبار رجال الدولة (٥)

كانت البلاد في ذلك الوقت تمر بظروف حرجة للغاية وفي أشد الحاجة الى حكومة قوية تنقذها من الهاوية التى تردت فيها ، وتراب الصدع ، وتعيد الأمن والطمأنينة الى الناس ، بعد أن فرقت بلادهم الفتن والثورات ، وعمت فيها القلاقل والاضطرابات نتيجة للمنازعات والمشاحنات حول السلطة والنفوذ ، وادى السلطان الجديد فى مستهل

(١) تاريخ فرشته ، ص ١٢٤ .

(٢) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٣٧٧ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٣٨٤ .

(٤) Ma jumdar : An Advanced Hist. of India. p. 303.

(٥) بارانى تاريخ فيروز شاهى ص ٣٧٧ .

عنده دوره فى اعادة الهدوء والسكينة الى البلاد ، واثبت انه رجيل الساعة ، واصلح البلاد فاطمان الناس الى العهد الجديد (١) . وافرج السلطان عن الالوف الذين زجوا فى السجون بتهم التمرد او الاشتباه فى ذلك على كافور ، ومنح الجند مكافآت مالية ، واغدق المال على المحتاجين من رعاياه ، واعاد الاموال التى صادرها علاء الدين الى اصحابها ، وخفف عن الناس عبء الضرائب ومنع كبار موظفى الحكومة من استغلال الأهلين ، وكان ينظر فى الشكاوى والالتماسات التى يرفعها الناس له ، ويضع بنفسه الحلول المناسبة لهما ، وفى القوانين الصارمة التى وضعها علاء الدين على التجار (٢) ، وكانت تحدد ارباحهم فانتعش التجار ، وراجت التجارة ، وخفف عن الفلاحين ضريبة الأرض ، ورقع اجور الموظفين . وباختصار: تحسنت احوال الناس المعيشية على اختلاف طبقاتهم (٣) . واذا اصفنا الى ذلك الحريات التى كفها للشعب تستطيع ان تقول ان هذا السلطان حقق لبنى وطنه ما لم يحقق لهم منذ سنوات طوال .

على ان رجال علاء الدين لم يرضوا عن السلطان الجديد ، لانه اقصاهم عن مباشرة شؤون الدولة ، وعولوا على التخلص منه ، وتزعيم هذه الحركة اسد الدين ، وقد انتقد هؤلاء المعارضون السلطان قطب الدين لسوء اختياره لموظفى الحكومة ورؤساء الدواوين ورجال البلاط ، واتهموه بأنه يقضي وقته فى اللهو والعبث والاستماع الى العناء وقاد اسد الدين المعارضة فى مؤامرة كبرى تهدف الى قتل السلطان قطب الدين وهو فى طريقه الى دهلى ، وتوليته - أى تولية اسد الدين - السلطنة (٤) .

لم يقدر لهذه المؤامرة النجاح ، فقد اخطر كبار رجال الدولة السلطان بالمؤامرة قبل تنفيذها ، فتدارك الأمر فى اوله ، وتلاحقه فى ابتدائه قبل ان تضطرم نار الثورة ، ويعم الكرب ويشتد البلاء ، فأمر السلطان بالقبض على زعيم حركة الانقلاب المرتقب ، وكل من اشترك وسأهم فى محاولة قلب نظام الحكم من قريب او بعيد ، وأمر بقتلهم وصادر اموالهم ، وكان انتقامه شديدا جدا من الثوار حتى انه قتل بعض اطفالهم ، وشرذ البعض الآخر فى شوارع دهلى لا مأوى لهم ، ولا عائل يعولهم ولم يكتف

(١) Majumdar : An advanced Hist. of India. p. 304.

(٢) المصدر السابق ص ٣٨٤ .

(٣) A Short Hist. of India. p. 166.

(٤) تاريخ فرشته ص ١٢٥ .

بذلك ، بل نصب المشانق فى دهلى واقام مذبحه مروعة قتل فيها كل من ينتمى الى البيت الحاكم بصله وكل من تحوم حوله الشبهات باحتمال قيامه او اشتراكه فى انقلاب ضده فى المستقبل ، واستأصل الفروع والجذور من اسرة علاء الدين ، واسرف فى القتل واراقة الدماء حتى نائبه الذى كان مخلصا له ، واتهمه بالاهمال وعدم كشف المؤامرة فى حينها (١) .

ولكن سياسة العنف هذه لم تقض على محاولات عزل قطب الدين عن العركى ، فقد ظهرت مؤامرة أخرى اختلف المؤرخون حول اسم السلطان الذى رشحه المتآمرون لتولى الحكم ، وضربوا العملة بأسمه فيذكر مؤرخ متؤخر أنه ابن خسروخان بن علاء الدين ، أما بارانى فلا يذكر ذلك وينفى اشتراك خسروخان أو أحد أبنائه فى المؤامرة ، وعلى ذلك فان الاسم الذى نقش على العملة ، لملك شاهين - نائب السلطان على دهلى - والذى قتله السلطان على اثر دخوله دهلى (٢) .

لم يكف السلطان قطب الدين عن أعمال العنف ضد أبناء علاء الدين ، لأنه كان يتوجس منهم خيفة ، ويخشى أن يتآمروا عليه ، وينضم اليهم انصار أبيهم ، وهم خسروخان ، وشادى خان ، وشمس الدين ، وأمر بالقبض عليهم وارسال أفراد عائلاتهم الى دهلى ، وهؤلاء الأمراء سملت عيولهم ، وعاشوا فى المنفى فى شظف من العيش ، وعمد السلطان الى اذلالهم ، فكتب الى خسروخان رسالة ذكر له فيها أنه - أى خسروخان - فقد بصره ، واعتلت صحته ، وعرض عليه أن يفرج عنه ، ويعينه حاكما على أحد الأقاليم ، ويمنحه الألقاب والامتيازات المناسبة له ، فى مقابل أن يتخلى عن زوجته ديفال رانى التى قال أنه أصبح ذليلا لها ، وطلب منه إرسالها الى البلاط لتهدئه عاطفته نحوها واعادتها اليه بعد ذلك جارية مطيعة . على أن خسروخان قد حزن من هذه الرسالة ، ورفض الاذعان لنداء السلطان ، وتمسك بزوجه بل أثر الموت على التخلي عن محبوبته ، ورفض اغراءات السلطان له التى يهدف السلطان منها اغتصاب زوجته بالقوة . وقد تعرض خسروخان فعلا للموت بسبب رفضه عرض السلطان ، فقد أمر باعتياله ، وكان حدثا مروعا اهتزت له قلوب الناس فى كل مكان ، ووصفه ابن بطوطة وعلم به ماركو بولو من بعض الهنود ، ورواه غيره من الرواة . وارسلت ديفال الى دهلى ، وأمر السلطان بقتل شادى خان ،

Lal : Hist. of the Khaljis p. 296.

(١)

Camb : Hist. of India. 111, p. 131.

(٢)

وشمس الدين وغيرهم واغتصب زوجاتهم ، وشرد اطفالهم ، وقد وصف لنا بارانى مدى استياء الناس من الجرائم التى ارتكبها قطب الدين (١) ولكن على الباغى تدور الدوائر .

على ان أعمال العنف التى اتبعها السلطان مع اعدائه لم توقف المؤامرات ضده ، ولم تخمد الثورات المعارضة لحكمه فى البلاد ، بل زادت اشتعالا ، وأبرز هذه الانتفاضات ، ما قام به نظام الدين اوليا ، وهو رجل تقى ورع ، طبقت شهرته الآفاق ، ووفد اليه الناس من كل صوب وحذب للزيارة والتبرك ، وكان علاء الدين يقدره ويعتز به ، أما قطب الدين فقد ناصبه العداء ، وخشي من تجمع الناس حوله لما فى ذلك من خطورة عليه ، اذا قاد هؤلاء الجموع فى حركة غزو ضده فمنع المنبلاء وكبار رجال الدولة من زيارته ، وحاول اضعافه وابعاد الناس عنه ، فشجع الشيخ زادا على النيل منه ، والحملة عليه ، وتحريض الناس على التفرق من حوله ، كما حرض المشايخ الكبار فى الدولة عليه ولم يكتف بذلك بل أمر بقتله حتى يخمد ما قد يثيره هذا الشيخ من متاعب فى وجه هذا السلطان الظالم (٢) .

أدت سياسة السلطان الداخلية المتسمة باليقظة الى توقف الحركات الاستقلالية فى الكوجرات ودكا ، ولكن قسوته على خصومه واسرافه فى اراقة الدماء ، واستبداده وعدم استماعه لنصح الناصحين ، أدى الى اشتداد كراهة الناس له ، وتطلعهم الى التخلص منه ، وبذلك فقد ثقة الرعية به ، وازداد بطشه للناس ، وقضى أيامه فى لهو وعيب ومجون ، وضم بلاطه المغنون والمغنيات والراقصات (٣) .

لم تتوقف المؤامرات ضد هذا السلطان على الرغم من بطشه بأعدائه ، فاندلعت ثورة ضده فى ديفاكبرى قادها ياك لاکھی Yaklakhi فعمل السلطان على اخماد هذه الفتنة وأرسل فرقا من الجيش لقمعها ، ولكن التأثير لم يعد العدة الكافية لصد جيش السلطان ، وكان يعتقد أن جند السلطان سينضمون اليه نظرا لحالة التدمير السائدة فى البلاد ولكن حدث ما لم يكن يتوقع ، فهاجمه جيش دلهى ، وخشي رجاله سوء

(١) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٣٩٣ .

Lal : Hist. of the Khaljis. p. 299.

(٢) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٣٩٦ .

(٣) Gibbon. Decline and Fall of the Roman Empire. 1. p. 128.

العاقبة ، فانفضوا من حوله ، عندئذ ضعف أمر الثائر ، فقبض عليه جند دلهي وأمر السلطان بقطع أنفه وأذنه (١) . وبذلك فشلت هذه الحركة ، واشتدت قبضة السلطان على الدولة ، وتأكدت سيطرته الكاملة عليها من جديد .

ولكن طغيان قطب الدين واستبداده لم يوقف محاولات قتله واغتياله، فتعددت المحاولات للتخلص منه ، كان آخرها مؤامرة وزيره خسرو ، فقد نجح في ضم بعض النبلاء اليه ، وعاهدوه النصره والتأييد ، وانضم اليه الكثير ممن لحقهم الضيم على يديه (٢) .

بدأ الوزير مؤامره ضد السلطان ، بأن اقنعه بأنه - أي السلطان - يخرج في حروب كثيرة ، ويجب في غيابه أن يطمئن على الأمن والنظام في دلهي ، ولا يستطيع - أي خسرو - الاطمئنان لأحد في هذه المهمة سوى رجاله المقربين من الكوجرات ، فوافق السلطان على طلب وزيره وامتلأت دلهي بأهل الكجرات ، وأغدق عليهم خسرو الأموال ، وأعطاهم خيولا وأسلحة وملابس ، واستكثر خسرو منهم ، حتى صاروا حوالي أربعين ألفا كلهم طوع ارادته ورهن اشارته . وبذلك عظم شأن خسروخان وقوى أمره ، واشتد بأسه ، وعهد إلى رجاله بحراسة القصر ، فأصبح هذا السلطان تحت رحمة وزيره ، ودبرت المؤامرة (٣) ، وكان من اليسير جدا نجاحها وتنفيذها وفقا للخطة المرسومة ، فأمر خسرو رجاله بقتل السلطان ، فأنهالوا عليه ضربا بسيوفهم حتى قتلوه (٤) وألقوا رأسه في فناء القصر (٥) . وبذلك تجرع هذا السلطان من نفس الكأس الذي أسقاه الكثيرين في أبريل سنة ١٣٢٠ م . وخاب كل جبار عنيد .

وقد لحق الناس من السلطان قطب الدين الكثير من المظالم ، على الرغم من أنه بدأ عهده بالعدل بين الرعية وأصلاح أحوال البلاد ولكن المؤامرات العديدة التي تعرض لها جعلته غير مطمئن على نفسه وعلى

Lal ; Hist. of the Khaljis. p. 304.

(١)

IBID.

(٢)

(٣) تاريخ فرشته ، ص ١٢٧ .

(٤) باراني : تاريخ فيروز شاهي ، ص ٤٠٢ .

Majumdar : An Advanced Hist of India. p. 305.

(٥)

ملكه ، فاشتد في قمعها ، وقلب على شعبه ظهر المجن ، فطفى وتجير ،
بل اساء الى مشاعر الناس الدينية ، فأهمل المراسم الدينية
كالظهور في الصلاة ، والاحتفالات الدينية في رمضان والعيدين وأساء
الى الدرويش - نظام الدين ، وعلى الرغم من ذلك فقد لقب نفسه بألقاب
لا يستحقها ، مثل خليفة ، الامام الاعظم ، أمير المؤمنين .

ومهما يكن من أمر فقد عبر خسرو خان عن سخط شعب المملكة
الهندية على سلطانها ، وتخلص منه ، لذا نادى به النبلاء ورجال الدولة
سلطانا ، وتريع على عرش سلطنة دلهي ، ولقب ناصر الدين خسرو شاه ،
وأمر بالدعوة له في الخطبة على أنه أمير المؤمنين (١) .

ولى خسرو شاه العرش في هذه الظروف العصيبة ، ولما كان مدينا
لبنى قومه من الكجرات فيما بلغه من جاء فقد خصهم بالمناصب الرفيعة
في الدولة ، واعتمد عليهم في شؤون الحكم والادارة (٢) .

على ان هذا السلطان الجديد اتخذ سياسة تختلف كل الاختلاف
عن سياسة اسلافه من الحكام المسلمين ، فقد أباح لكفار الهنود باظهار
نحلهم ومللهم والتعبير عنها علنا . فنصبوا اصنامهم في كل مكان ، وازداد
الأمر خطورة ، فاستفزوا شعور المسلمين ، ومزقوا المصاحف ، ووضعوا
اصنامهم في القصر الملكي ، وهاجموا المساجد واقتحموها ، ومنعوا
المسلمين من تأدية شعائهم فيها ، بل نصبوا اصنامهم في بيوت يذكر
فيها اسم الله ، واغتصبوا البنات المسلمات . ومن الطبيعي أن يرض كفار
الهنود عن هذا السلطان فالتفوا حوله وناصروه ، ورأوا فيه خير معين على
المحافظة على شعائهم واظهارها والانتقام من المسلمين ، ولم يكتف هذا
السلطان بالتفاضي عن ايداء شعور المسلمين الديني بل فرض عليهم
الأموال ، وأغدق عليهم (٣) .

وبرر السلطان تصرفه هذا بأنه انتقام من المسلمين الذين دمروا
معابدهم ، ودمروا اصنامهم ، وأحرقوا كتبهم . ولذلك يرى البعض بأن
حكم هذا السلطان مظهر من مظاهر الردة عن الاسلام ، ونستبعد ما يذكره
باراني بأن السلطان اراد أن يعيد الوثنية الى الهند ، ويعيد البلاد
الى حكم راجات الهنود ، ذلك انه دخل الاسلام وهو طفل صغير وعاش

I-al : Hist of the Khaljis. p. 308.

(١)

IBID. P. 312.

(٢)

IBID. P. 313.

(٣) رحلة ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ٢٩ .

ونشأ في الحياة الإسلامية وكان شديدا قاسيا حينما اشتبك في دكا مع كفار الهنود قبل توليته الملك ، بل كان أكثر قسوة من أي حاكم مسلم ، وفي نفس الوقت ظل على دينه وعقيدته وان ظل تاركا حركة اضطهاد المسلمين من كفار الهنود تسير في مجراها دون أن يتدخل لانهاؤها أو يشترك في دفعها ، وابقى على الحكام المسلمين في الولايات ، وربما أراد السلطان بذلك كسب محبة وتأيد فريق كبير من الناس للوقوف الى جانبه ومناصرته ضد حركات التمرد التي انتشرت انتشارا واسعا ضد سلطان دهلي ، ويقودها عادة كبار رجال الدولة من المسلمين ضد هذا السلطان الوضيع الذي ينتمي أصلا الى طبقة جامعي القمامة في الهند الغربية ، فقد عجل بنهايته بسياسته الفاشمة التي آذت شعور المسلمين ، وساد التدمير بينهم ، وأعدوا عدتهم للخلاص من هذا الحاكم - ناصر الكفرة الملاحين .

وقد قاد تغلق حركة المعارضة ضد هذا السلطان ، فزحف بجيش كبير يضم خيرة جند شمال غرب الهند وصنا ديدهم ، الى دهلي (١) ، فأرسل خسرو خان جيشا لصد عدوه ، وقد تناقص جيشه بعد فرار الجند الفيورين على دينهم منه ، وانضمام بعضهم الى جيش تغلق (٢) ، ومهما يكن من أمر فقد التقى الجمعان في ديوبالپور Deopalpur وهزم الجيش الملكي ، وتفرق الجند ، ولاذوا بالفرار ، بل فر قائد الجيش الملكي ، تاركا الاسلحة والخيول والفيلة والأموال ومهمات الجند واستحوذ جيش تغلق على هذه الغنائم ، ثم زحف تغلق وجنده الى دهلي (٣) ، وانتظر السلطان مصيره المحتوم وقدره الذي حدده بسياسته الفاشمة . سار تغلق وجنوده الى دهلي لا يعترض طريقهم معترض ولما اقترب تغلق منها نصب معسكره ، ودعا الناس في دهلي الى طاعته ، ولقبت دعوته هوى من أهل دهلي الذين كرهوا خسرو خان الذي آذى شعورهم ومعتقداتهم ثم دارت المعركة الفاصلة سنة ١٣٢٠ بين جيش تغلق وجيش السلطان انتهت بهزيمة جيش السلطان ومقتله - أي السلطان - والقيت رأسه في فناء القصر ، كما ألقيت رأس مبارك شاه . وبذلك انتهى حكم خسرو خان بعد أربعة أشهر وبنهايته انتهى حكم سلاطين الخلاجيين في بلاد الهند (٤) .

Lal : Hist. of the Khaljis. p. 307.

(١)

IBID. P. 308.

(٢)

(٣) ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ٣٠ .

A Short : Hist. of Hind Pakistan. p. 167.

(٤)

٣ - الاحداث الداخلية فى سلطنة دهلى الاسلامية

فى عهد بنى تغلق

ينسب آل تغلق الى عنصر تركى ، كان يقيم فى الهند منذ زمن طويل ، وأول من حكم سلطنة دهلى من هذه الأسرة ، غياث الدين تغلق شاه ، قدم بلاد السند فى خدمة بعض التجار فى أيام السلطان علاء الدين ، ودخل فى خدمة أولوخان - أمير السند اذ ذاك - فظهرت شجاعته ، وتدرج فى سلك القروسية ، حتى صار أميراً للخيل (١) ، وكان أولوخان يعده من كبار الأمراء ، وسمى بالملك الغازى لأنه صد الكثير من غزوات المغول وهجماتهم ، وحاصرهم ونكل بهم ، ولما ولى قطب الدين ولاء مدينة دبال بور وأعمالها ، وعهد الى ابنه محمد تغلق بامارة الخيل وظل يشغل هذا المنصب فى عهد السلطان خسرو شاه ، فلما استاء تغلق من خسرو شاه الذى اغتصب العرش ، وقتل السلطان ، وأباح للهنود الوثنيين اظهار نحلهم ، والتنكيل بالمسلمين ، وظهر أمورا منكروه منها النهى عن ذبح البقر على قاعدة كفار الهنود (٢) ، وأعلن أى تغلق الثورة والخروج على الطاعة ، وكان له ثلاثمائة من أصحابه الذين يعتمد عليهم فى القتال ، وكتسب الى كشلوخان - أمير الملتان - يطلب منه القيام بنصرته والأخذ بشأر قطب الدين لسابق فضله وإخلاصه ، ولكن كشلوخان اعتذر لأن ابنه فى خدمة السلطان فى دهلى ، فحرض تغلق ابنه باصطحاب ابن كشلوخان ، والهرب سويا من دهلى ، فلحق الرجلان بتغلق ، وحينئذ واثت الفرصة تغلق ، فحشد أنصاره ، واعد العدة ، والتف حوله الكثير من الناس ، فقوى أمره ، واشتد بأسه ، وانضم اليه كشلوخان وزحف الجيش الثائر الى دهلى - كما أوضحنا - وهزم تغلق جيش السلطان بقيادة أخيه - خان خانان - واستولى على خزائنه ، وشتت شمل جنده ، وقصد تغلق دهلى ، وخرج اليه خسرو خان فى عساكره ، وفرق الاموال على أنصاره ، ودارت رحى معركة بين الفريقين انتهت بهزيمة تغلق غير أن الجند السلطاني انشغل عقب المعركة فى جمع الفنائم فباغتتهم جند تغلق على حين غفلة منهم ، وهزموهم شر هزيمة ، ولاذ من نجا من العدو بالفرار ،

(١) رحلة ابن بطوطة ، ص ٣١ - ٣٢ .

(٢) رحلة ابن بطوطة ، ص ٣٢ .

فدخل جند تغلق دهلى لا يعترضهم معترض ، ولا يعوقهم عائق ، ودخل تغلق القصر الملكى ، وجلس على سرير الملك ، وقدم الناس لمبايعته (١) . وبذلك انتقل حكم سلطنة دهلى من الخلجيين الى بنى تغلق .

* * *

لم يقدر لسلطنة دهلى الاسلامية الهدوء والاستقرار فى عهد بنى تغلق ، وانما كثرت القلاقل والاضطرابات فى الدولة وتعرض سلاطين هذه الاسرة للمؤامرات التى تستهدفهم بالدرجة الاولى لانتزاع كرسي الحكم منهم ، بل تأمر الابن على ابيه ، كما حدث سنة ١٣٢٥ ؛ ذلك ان محمد ابن تغلق ثار على ابيه ، وكان الاب ينقم على ابنه تقربه للولى نظام الدين البدوانى ، وساء منه امور منها استكثاره من شراء الممالك واجزائه العطايا واستجلابه قلوب الناس ، فلما عاد تغلق من سفره ، امر ابنه باقامة قصر فى الطريق الى دهلى ، واقام محمد بن تغلق القصر ومعظم بنائه من الخشب وصمم هذا القصر بحيث اذا وطئتها الفيلة ، وقع ذلك القصر وسقط ، ونزل السلطان بالقصر ، وأطعم الناس وتفرقوا ، واستأذنه ولده فى ان يعرض الفيلة بين يديه وهى مزينة فأذن له ، فلما وطئت الفيلة القصر ، سقط الكشك على السلطان وولده محمود ، ولقى السلطان حتفه ، ودفن بخارج البلدة التى سميت بأسمه ، تغلق اباد ، وبها كانت خزائن تغلق وقصوره ، وبها القصر الأعظم ، واستولى محمد على هذه الكنوز ، وولى السلطنة ، ولقب ابو المجاهد محمد شاه (٢) .

كان السلطان محمد بن تغلق غريب الاطوار ، فهو احب الناس الى اغداق العطاء ، واراقة الدماء ، فلا يخلو بابه من مفن يغنى أو حى يقتل ، وله حكايات كثيرة فى الكرم والشجاعة ، والفتك والبطش بدوى الجنايات وهو اشد الناس مع ذلك تواضعا ، وأكثرهم اظهارا للحق والعدل ويتشدد فى تأدية الفرائض الاسلامية ، ويعاقب تاركى الصلاة وفاطرى رمضان (٣) .

راى السلطان محمد بن تغلق نقل حاضرة دولته الى مدينة ديوكر

(١) رحلة ابن بطوطة ، ص ٣٢ .

(٢) رحلة ابن بطوطة ، ص ٣٣ - ٣٤ .

(٣) Rawlinson. A Short Cultural Hist. of India. p. 232. (٢)
IBID. P. 232.

لحصانتها وتوسطها مملكته الواسعة المترامية الاطراف ، ولكى يأمن من خطر المغول الذين يهاجمون دهلى من وقت لآخر ، وأسمى العاصمة الجديدة دولت آباد ، وأمر سكان دهلى بترك بلدهم ، والهجرة الى العاصمة الجديدة طوعا أو كرها ، وشق الطرق المؤدية الى دولت آباد ، وحمل سكان دهلى أمتعتهم ، وهاجروا من مدينتهم الحبيبة الى قلوبهم كارهين (١) ، وساروا الى مقرهم الجديد على كره منهم فى رحلة شاقة ذاقوا فيها ألوان العذاب وهلك كثيرون منهم ، وخربت دهلى بهجرة أهلها منها ، وأصبحت بلدة موحشة ، تبكى قصورها ودورها من شيدها وبنائها وأقام صرحها . أما المهاجرون من ديارهم وبلدهم ، فلم يستطيعوا المعيشة فى المدينة الجديدة ، وقاسوا ويلات الجوع والحرمان ، لأن سبل المعيشة فيها غير متوفرة وغير كافية للقادمين الجدد (٢) ، وقد ارتكب السلطان خطأ جسيما لأنه لم يراع الشروط الواجب توافرها فى تشييد المدينة الجديدة ، فيجب أن تقع فى بقعة زراعية تكفل لسكانها العمل والعيش ، أو على طريق تجارى ، يضمن لأهلها المعيشة من عمليات البيع والشراء فضلا عن طيب الهواء للسلامة من الامراض (٣) .

ومهما يكن من أمر فقد تراجع السلطان عن قراره بعد أن أدرك فشل مشروعه ، وأمر أهل دهلى بالعودة الى بلدهم ، غير أن دهلى قد تطرق اليها الخراب والدمار ، ولم تعد تصلح للحياة ، فشيد السلطان لهؤلاء القوم الذين قاسوا الشدائد من سياسته الفاشمة ، مدينة جديدة قرب دهلى ، كفل لهم فيها أسباب الحياة الميسرة ، والأمن الغذائى (٤) .

لم تستقر الأمور فى سلطنة دهلى فى عهد محمد بن تغلق فقد قامت ضده عدة ثورات ، وحركات استقلالية ، واضطربت الدولة اضطرابا شديدا فغادر السلطان دهلى - على الرغم مما كانت تقاسيه من مجاعة - الى اقليم الدكن ، لقمع ثورته ، لكنه اضطر الى العودة الى دهلى بعد أن فتك الوباء بجنده سنة ١٣٣٥ م ، كما أعلنت البنغال الاستقلال عن دهلى بقيادة فخر الدين ، ولم يستجب امراء البلدان

IBID. P. 233.

(١)

IBID. P. 233.

(٢)

(٣) عصام الدين عبد الرؤوف: الحواضر الإسلامية الكبرى ، ص ١١٣ .

Rawlinson India P. 233.

(٤)

المجاورة للبنغال لأوامر السلطان بالخروج الى البنغال ، وقمع الثورة .
مما يدل على أن سلطان دهلي قد فقد نفوذه في تلك البلاد .

وعمت الفتن والاضطرابات لاهور وديوكر وغيرها من الولايات الهندية ، ولم يستطع السلطان القضاء على هذه الفتن ، وتوفي سنة ١٣٥١ م بعد أن تدهورت سلطنة دهلي ، واستقلت معظم ولاياتها (١) .

لم يكن للسلطان محمد بن تغلق وريث يخلفه ، لذا ولي ابن عمه فيروز تغلق الحكم من بعده ، وقد حكم هذا السلطان بالعدل ، وسار في الناس سيرة حسنة ، غير أنه واجه بعض المتاعب الداخلية ، فقد ظلت البنغال على تمرداتها وتزعم الحركة الانفصالية فيها حاجي اليأس ، لذا لم يتفاض هذا السلطان عن هذه الحركة ، وعول على إعادة البنغال الى حوزته ، وأرسل منشورا الى الاهلين يدعوهم الى الاستسلام والعودة الى الولاء والطاعة الى سلطان دهلي ، ووعدهم بالعفو والصفح ، ورفع الضرائب عنهم سنة كاملة أن استجابوا لندائه ، وأذاع في منشوره بأنه مفوض من قبل الخليفة العباسي بالقاهرة ، وأن الخروج عليه خروج على الاسلام ، وسار هذا السلطان الى البنغال ، وطهر البلاد في طريقه من المتمردين ، ودخل اقليم ججنكر ، ودخل الراجا في طاعته ، بل اعتنق الاسلام ، كما أن حكام المدن المجاورة ، اقبلوا على السلطان معلنين اسلامهم ، والدخول في طاعته (٢) .

كذلك عاد الزط في لاهور وما جاورها الى التمرد والعصيان ، فعهد فيروز شاه الى أحد قواده لقمع حركة الزط ، فدخل معهم في معركة حاسمة ، أدت الى هزيمتهم ، وأس زعيمهم (٣) .

أما عن الدكن فقد اتجه اهلها الى الاستقلال عن دهلي ، وتمكنوا منه فعلا منتهزين فرصة انشغال السلطان بمتاعبه الداخلية والخارجية ، وقد تعددت الثورات في الهند حتى نتج عنها ضياع مساحات كبيرة من الاراضي من سلطنة دهلي (٤) .

IBID. P. 233.

Prasad, p. 227.

IBID. P. 227.

Rawlinson : India. p. 234.

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

على أن هذا السلطان كان محبوبا من رعاياه ، فقد كان بارا بالفقراء
وانشا ديوانا للخيرات لمساعدة الفقراء على قضاء ضروريات حياتهم ، وتقديم
معونات مادية للفتيات الفقيرات فى حالة الزواج ، واعانة الاطفال اليتامى
والعجزة والشيوخ (١) .

لكن سلطنة دهلى ظلت مسرحا للقلق والاضطرابات . ففى اواخر
عهد السلطان فيروز شاه ، فوض هذا السلطان أمور دولته الى وزيره خان
جهان ظفرخان ، ولكن هذا الوزير أخل بالثقة التى منحها له السلطان ، واعتزم
الاستحواذ على العرش ، وازاحة ولى العهد ، محمد بن فيروز من طريقه
حتى يخلو له الامر ، وضم اليه فعلا بعض الامراء ورجال الدولة ، وحرص
السلطان على خلع ابنه من ولاية العهد بتهمة أنه يتآمر عليه مع بعض اعدائه
ولكن السلطان فطن الى سوء نوايا وزيره ، وعزله ، ومن ثم انفرد محمد بن
فيروز بأمور البلاد بلا منازع ، ولكن هذا الامير كان سيء السيرة ، قاد البلاد
الى الدرك الاسفل ، وعكف على اللهو والعبث بل اعتمد على عناصر السوء
فى البلاط وخارجه ، فثار عليه الامراء ورجال الدولة ، والتفوا حول ابنى
اخى السلطان ، بهاء الدين وكمال . وبذلك أصبح فى دهلى فريقان يتنازعا
السلطة والنفوذ ، وتصدى كل فريق للآخر ، وتدهور الوضع فى البلاد
تبعاً لذلك ، ودارت معارك دامية فى شوارع دهلى بين الفريقين ، فلم ير
السلطان الشيخ بدا من الخروج من عزلته ، وظهر للناس ، واقنعهم بلزوم
الطاعة والهدوء والسكينة ، والتوقف عن اعمال الشغب ، وكان لنداء
هذا السلطان الطيب تأثير كبير فى قلوب الاهلين ، فهدؤوا واستكانوا ، وكفوا
عن اثاره الفوضى والفتن (٢) .

عزل السلطان ابنه محمد من ولاية العهد لانه من عوامل الاضطرابات
فى دهلى ، وأسند ولاية عهده الى حفيده غياث الدين بن فتح خان ، ولم
يلبث أن توفى السلطان الشيخ ، وولى حفيده الشاب الحكم . على ان
السلطان الجديد لم يكن جديرا بتولى مهام الحكم ، وهو فى غضاضة الشباب ،
فقد انصرف الى اللهو والعبث ، وأغفل مشورة الامراء وأهل الحل والعقد
فى الدولة ، فثاروا ضده ، وكثر المعارضون له ، وقاد الحملة ضده ابن عمه
ابو بكر ، وهاجم الثوار القصر الملكى ، فلاذ السلطان بالفرار منه ، على ان

IBID. p. 235.

(١)

Rawlinson. op. cit. p. 241.

(٢)

الشوار لحقوا به ، وقتلوه بعد ان حكم البلاد ما يقرب من خمسة اشهر ، وولى
ابو بكر السلطنة (١) .

على ان محمد بن فيروز لم يتفاض عن حركة ابن عمه ابي بكر ، واغتصابه
العرش ، فجمع حوله الكثير من الانصار فى الدؤاب وقوى امره ، واشتد
بأسه ، ودخل دلهى واقتحمها ، وقبض على السلطان الجديد ابي بكر سنة
١٣٩١ ، وولى هو السلطنة . على ان البلاد لم تهدأ فى العهد الجديد ، وانما
ظلت مضطربة متوترة وتنافس الامراء ورجال الدولة حول السلطنة
والنفوذ ، وانقسم الناس الى احزاب وشيع ، حتى جنح كثير من حكام
الولايات وامراء الهنادكة الى نبذ سيادة دلهى والاستقلال بما فى ايديهم من
بلاد وحصون (٢) .

وظلت سلطنة دلهى فى هذا الوضع المضطرب حتى توفى آخر
سلاطين آل تغلق سنة ١٤١٢ ونصب اعيان دلهى دولت خان - من الاسرة
اللودية - حاكما على البلاد ، وتعرضت سلطنة دلهى للغزو التيمورى فى
الفترة من ١٣٩٨ حتى ١٤٩٠ م ، الذى اهلك الحرث والنسل ، واتى على
الاخضر واليابس ، واقام الخضر خانيون - الذين خلفوا آل تغلق - دولتهم فى
دلهى فى ظل هذا الدمار وكان خضر خان اول افراد هذه الاسرة من امراء
فيروز شاه التغلقى ، وكان واليا على الملتان ، ولما توفى محمود شاه التغلقى
اعلن استقلاله .

الامارات المستقلة فى الهند عن دلهى

لم يكن سلطان دلهى طوال العصور الوسطى قادرا على السيطرة على
الولايات التابعة لمملكته ، ومن ثم استقلت بعض الولايات عن دلهى خصوصا
البعيدة النائية عنها ، حتى اندمجت نهائيا فى امبراطورية المغول ، وهذه
الامارات Jaunpur Mandu وكشمير والبنغال ، واستقلت كذلك مملكة
الكجرات سنة ١٤٠٠ وشيد السلطان احمد شاه ١٤١١ - ١٤٤١ مدينة احمد
آباد لتكون عاصمة لمملكة الكجرات ، وتقع فى وسطها ، وتشتهر هذه المملكة
بشرايتها ، وتقدمها فى صناعة المنسوجات الحريرية والقطنية ، وتتصل

IBID. p. 244.

IBID. p. 245.

(١)

(٢)

بالبحر بسبب سهولة ويسر ، وقد اشاد الزوار الاجانب بمدينة احمد آباد ، وذكر بعضهم انها من اجمل مدن الارض ، وشبهها آخرون بالبندقية (١) .

ومن اشهر سلاطين الكجرات محمد بياجارها (١٤٥٠ - ١٥١١) وكان له تأثير كبير على الزوار الاجانب مثل الرحالة الايطالي Ludovico di Varthema ، ومظهر هذا السلطان آثار الدهشة . طويل القامة ، حاد المظهر ، له شنب كثيف ، ولحية تتدلى الى وسطه ، ويتخذ أدوية تحصنه من السم (٢) .

ولى محمود العرش فى سن الثالثة عشرة ، ورغم صغر سنه استطاع أن يسيطر على البلاد ويتغلب على خصومه ، وسيطر على بعض البلاد المجاورة وتغلب على دولة Champanir الهندية ودخل خلفاؤه فى حروب مع الراجبوتين فى وسط الهند ، وفى سنة ١٥٣٤ استولى السلطان محمود (١٥٢٦ - ١٥٣٧) على شيتور ولاذ أميرها بالفرار ، وألقت النساء فى هذه البلدة بأنفسهن فى النار حتى لا يقعن فى الأسر ، وتعرض رجال شيتور لسيوف المسلمين ، ومزقوا شر ممزق . على انه فى العام التالى هزم سلطان دهلى همايون ، سلطان بهادور ومن ثم سادت الفوضى والحروب الاهلية امارة الكجرات حتى امتلكها الامبراطور المغولى اكبر سنة ١٥٧٢ م (٣) .

واشتهرت العاصمة احمد آباد بجمال مبانيها ، وشيد بها العديد من المساجد، وتميزت بارتفاع ورشاقة مآذنها. وشيد السلطان محمود بفارها قصرًا على ضفاف بحيرة صناعية فى سارخيج ، وتقع على بعد اميال قليلة من المدينة . على أن أهم انجازاته العمرانية ، المسجد الجامع فى شامبانير وبه قبة رائعة ومآذن وأعمدة ، ومزين من الداخل ، ونقشت على جدرانه آيات قرآنية ، ويعد من اجمل المنشآت الدينية وابهاها فى غرب الهند (٤) .

وفى سنة ١٣٤٧ خلال حكم محمد تغلق ، انتهز ضابط افغانى يسمى

Rawlinson. op. cit. p. 249.

(١)

Rawlinson. op. cit. p. 250.

(٢)

Manual of Indian Hist. p. 176.

(٣)

IBID. P. 177.

(٤)

حسن جانجو الفرص ليكون دولة مستقلة عاصمتها Gulbarage
فى جنوب غرب الهند وتسمى دولة حيدر آباد ، واستمرت مملكة البهمانى
من سنة ١٣٤٧ حتى سنة ١٤٨٢ ، وامتدت فى ابان قوتها من البحر
الى البحر ، واشتملت على حيدر آباد ومنطقة فى جنوب مدراس ،
وجزءا من منطقة بومبى ، ومن الطبيعى ان يدخل امراء حيدر آباد فى
حروب مع الحكام الوراثيين الذين انتزعوا منهم الحكم . واشتمل
بلاط ملوك البهمانى على مواطنين واجانب . وقد تحيز ملوك البهمانى
الى الاجانب دون المواطنين الذين عمدوا الى اضعاف شأنهم ، وانهجوا
سياسة دعوة فريق من المغامرين من العرب وفارس وبلاد الافغان ،
واسندوا اليهم المراكز الهامة فى البلاد . وادى ذلك الى احقاد عميقة .
وزاد الامر سوءا ان القادمين الى البلاد من الشيعة . اما المواطنون
فسنين (١) .

انقسمت مملكة البهمانى الى اربع ولايات ، تتمتع كل منها بقدر
من الاستقلال ولكل حاكم من حكام الولايات جيشه ، ومن حقه فرض
الضرائب وجبايتها من ولايته ويعين الموظفين الذين يساعدونه فى حكم
الولاية . وبالجمله كان يشرف على الشؤون الادارية والمالية والدفاعية
لولايته . اما السلطان فيساعده ثمانية وزراء ، كل مسؤول عن اختصاصه
مثل المالية او الشؤون الخارجية ، القضاء ، الامن . . . الخ ونظم ملوك
هذه الاسرة الجيش احسن تنظيم (٢) .

لما توفى مؤسس هذه الاسرة سنة ١٣٥٨ خلفه ابنه محمد الاول
وبدا هذا الملك حكمه بأن حصل على تقليد بالحكم من الخليفة العباسي
بالقاهرة حتى يضى على حكمه الصفة الشرعية .

نشبت حرب بين مملكة بهمانى ومملكة Vijayanagar ،
تقدم فيها جيش بهمانى عبر اراضي العدو ، ولكنه لم يستطع مهاجمة
اراضيها . وانتهت الحرب بعقد اتفاقية سلام بين الطرفين (٣) .

وولى محمد الثانى العرش سنة ١٣٧٨ ، وكان حاكما عادلا مصلحا
شجع العلوم والآداب ، ودعا الى بلاطة الشاعر حافظ بن شيراز ، وشيد
مدارس لابناء المسلمين اليتامى ، وحاول بكل ما يستطيع تقديم العون
وتخفيف المعاناة عن الارامل والفقراء من النساء . ومن سلاطين هذه

Rawlinson. op. cit. p. 252.

IBID. p. 252.

IBIBD. p. 252.

(١)

(٢)

(٣)

المملكة الأقوياء فيروز شناه (١٣٩٧ - ١٤٢٢) كان حاكما مستنيرا ومصلحا . وبلغت المملكة في عهده اوج عظمتها وازدهارها . ولقد فرض السلام على مملكة Vijayanagar بعد أن لقنها درسا قاسيا على الرغم من قسوة جيشها وضخامته ، فقد دبر أحد ضباطه خطة ناجحة بأن عهد الى بعض جنده بالتنكر في زي مشعوذين ، واستطاعوا اقتحام معسكر العدو ، والقوا الذعر بين الجنود الهنود ، وفي خلال ذلك تمكن الجند المسلمون من مهاجمة العدو ، وهزموهم شر هزيمة . وانتهت الحرب بين الفريقين بعقد معاهدة سلام تعهد فيها راجا Vijayanagar بتقديم فيله ومبالغ من المال للسلطان فيروز شاه . وقدم له إحدى بناته ليتزوجها . وتزوج السلطان من ابنة الراجا . غير أن هذا الزواج لم يؤد الى ارساء سلام دائم بين المملكتين المتنافرتين (١) .

ولقد شيد السلطان فيروز المنشآت الضخمة في مملكته ، وكان يحب ويشجع العلوم والآداب والموسيقى ، واهتم بالدراسات الدينية في مختلف الأديان ، وكان قصره يضم نساء أوربيات وهنديات ، واستطاع السلطان التفاهم معهن بلغاتهن . وانتهت حياة هذا السلطان بمؤامرة دبرها ضده أخوه أحمد الذي خلفه في الحكم ، ونقل هذا السلطان عاصمة بلاده الى بدار Bidar ، وتقع في نقطة هامة ترتفع عن سطح البحر قدر ٢٥٠٠ قدم . وإلى غربها يمتد سهل منبسطة يضم أشجار المانجو والتمر هندي (٢) .

وآخر من حكم مملكة البهماني ، محمد شاه الثالث (١٤٦٣ - ١٤٨٢) ويرجع ما حققه من نجاح في سياسته الى وزيره محمود جوان ، وينتمي الى اسرة فارسية عريقة وعرف عنه المهارة القتالية والحنكة الادارية والعدالة والمقدرة السياسية والمالية ، وكان يعيش حياة زهد وتقشف ، وأسس مدرسة في بدار ، مبناها ضخمة مرتفعة ، وغرف المحاضرات مضيئة ، وتشتمل مكتبة المدرسة على ثلاثة آلاف مجلد ، وبالمدرسة غرف للأساتذة والطلاب ومسجد ، والواجهة نقش عليها آيات قرآنية .

على ان السلطان قلب ظهر المجن على وزيره ، فقد اتهم بمحاولة خلع السلطان ، وتنصيب نفسه حاكما مستقلا على المملكة . ولقد سعى حكام الولايات وكبار الموظفين الى بث الوقيعة بينه وبين السلطان لانه تشدد في مراقبتهم ، ولم يتهاون مع واحد منهم ، فضلا عن انه فارسي الاصل ،

Manual of Indian Hist. p. 178.

(١)

H.R. Major : India in the Fifteenth century. p. 130.

(٢)

ومازالوا بالسلطان حتى خشي من تأمر وزيره عليه ، ووجه اليه السلطان بتهمة الخيانة العظمى ، ودافع الوزير عن نفسه ، وأنكر التهمة ، وحاول اثبات برأته ، فحذر الوزير جوان السلطان من مغبة وعاقبة قتله ظلما ، لان ذلك سيؤدي الى فقدانه لشخصيته وضياع ملكه . وقتل الوزير المصلح وهو في الثانية والسبعين من العمر ، بعد أن خدم المملكة باخلاص خمسة وثلاثين عاما . وبعد فترة من الوقت اكتشف السلطان أن وزيره قتل ظلما ، فشمع بالذنب ، وظل يتناول الشراب من الخمر ، وهو يردد أن محمود جوان سيقطعه أربا ومازال يشرب حتى توفي (١) .

أخذت المملكة في الضعف والتدهور بعد وفاة هذا السلطان وعمت الفوضى البلاد ، وساد القتال في الشوارع بين المواطنين الهنود والواقدين الأجانب ، وحكم البلاد ملوك كانوا العوبة في أيدي القواد الاتراك . وظل الامر كذلك حتى استعان آخر ملوكها بسلطان المغول في دهلي - باير - لانقاده من الفوضى السائدة في البلاد . ودخلت المملكة في حوزة دهلي ، وتوفي آخر ملوك البهماني سنة ١٥٢٦ (٢) .

نشأ مجتمع جديد في مملكة البهماني من تزاوج العناصر الأجنبية بالعناصر الوطنية . أما الفلاح في القرية فلم يطرا جديد على حياته الا في عهد الوزير جوان ، فقد حقق الزراع دخلا كبيرا نتيجة لسياسته الاقتصادية واستتباب الامن والنظام في البلاد ، وعم العمران حتى تشابكت القرى ، ولقد وصف لنا رحالة روسي اثنا سيوس Nikitin (١٤٧٠ - ١٤٧٤) محمود الثاني بأنه في العشرين من عمره ، وعنده جيش ضخم يتكون من مشاه مسلحين وفيله مهيأة لركابها ، وفي كل قرية مسجد يتعلم فيه الاطفال القرآن الكريم ، ويديرها القاضي بمقتضى الشريعة الاسلامية ، وفي المدن مدارس لتعليم اللغتين العربية والفارسية ، ولها اوقاف ينفق من ريعها على ادارتها . واضعف من شأن ملوك البهماني ، ادمانهم للشراب ، الامر الذي تسبب في ضعف الادارة الحكومية والتدهور الاقتصادي والاداري وكثرة الحروب الأهلية .

وملوك البهماني ، اهتموا عموما بالعمارة ، ويتجلى ذلك في القلاع التي شيدوها في طول البلاد وعرضها ، وأدى اختراع البارود الى ضرورة تقوية القلاع واحيطة بأسوار ضخمة ، أشهرها قلعة دولت آباد . قلنا ان مملكة البهماني انقسمت الى اربع ولايات ، ولما ضعفت هذه المملكة تطلع الولاة الى الاستقلال بولاياتهم ، ومن أقوى هؤلاء الولاة ، يوسف

IBID. P: 132.

IBID. P. 133.

(١)

(٢)

عادل شاه حاكم ريجابور ، أعلن استقلاله سنة ١٤٨٩ ، وكان عبدا اشتراه الوزير جوان ، وهو الابن الاصغر للسلطان التركي مراد الثاني ، حيث هرب في وقت استخلاف أخيه وهرب من القتل ، وتعرف جوان على مقدرته وأسند اليه وظيفة رئيسية . وأثبت يوسف عادل شاه أنه حاكم قدير ومستنير ، استفاد من استاذة جوان ، ترك المذهب السني ، واعتنق المذهب الشيعي ، وتزوج امرأة من Martha وأخلص لها ، واستعمل لغة المارثا في المخاطبة ، وكان ذلك من أسباب تقرب الهنود له ، وأسند المناصب الرسمية للهنود ، ويصفه فرشته بالحكمة والفصاحة والنجابة وكان موسيقيا بارعا واديبا فذا ، حرص على بث الفضيلة بين وزرائه ورجال دولته وضرب المثل بنفسه ، وحثهم على التعامل مع الأهلين بالعدالة والحكمة ، وجلب الى بلاطه رجالا أكفاء من فارس وتركستان والروم ، وفنانين من مختلف البقاع والاصقاع ، وكفل لهم الحياة الكريمة الهنيئة ، ووضع لخلفائه المبادئ والاسس التي ينبغي للحاكم ان يتحلى بها (١) .

ومن ابرز حكام ريجابور ابراهيم الثاني (١٥٨٠ - ١٦٢٦) واصل سياسة اسلافه الحكيمة ، وشجع التجارة مع القوى الخارجية ، وجلب الى بلاطه الفنانين والادباء وتعاطف مع المسيحيين ، ومنحهم اراض لاقامة كنائس ، واهتم بالادب الفارسي ، والادب الاردى على السواء ، وأوجد مدينة Nauraspur كمركز ادبي ودينى ، وآخر حكام بيجابور العظام ، السلطان محمد عادل شاه (١٦٢٦ - ١٦٥٦) خضع للمغول مضطرا سنة ١٦٣٦ م (٢) .

ومدينة بيجابور تقع على الفى قدم فوق مستوى البحر ، وبها أسوار دفاعية هائلة ، وعليها أبراج نصب عليها مدافع ، وتمثل هذه المدفعية مهارة وسائل الدفاع ، واشتهرت هذه المدينة بمدارسها وأساتذتها ، ومن أشهر أساتذتها ، محمد قاسم فرشته ، قدم من استراباد ، واستقر في احمد ناجار ، ولجأ الى بلاط ابراهيم عادل شاه الثاني في سنة ١٥٨٩ . وتاريخه عن الاسلام في الهند ، فريد في نوعه كتاب فيه الاصاله والنقاوة ، بعيد كل البعد عن التأثير ببلاط السلطان والكتاب مرجعنا الرئيسي عن تاريخ الاسلام في الهند في الفترة ما قبل سنة ١٦١٢ وترجم الى الانجليزية بواسطة الكولونيل J. Briggs سنة ١٨٢٩ (٣) .

Rawlinson. op. cit. P. 256.

IBID. P. 258.

IBID. P. 258.

(١)

(٢)

(٣)

البَابُ الثَالِثُ

العلاقات الخارجية

لسلطنة دهلئ الاسلامفة

١ - مع دول الهند المستقلة .

٢ - مع المغول .

واجهت سلطنة دهلي منذ قيامها مشاكل خارجية معقدة ، فهي معرضة لغزو المغول المدمر من حين لآخر والولايات التابعة لها تحاول وتسعى الى الانفصال عنها ، واتبعت السلطنة منذ قيامها سياسة خارجية تتضمن توسيع رقعة اراضيها في بلاد الهند ، لذلك اشتبكت في عدة حروب مع راجات الهند الذين دافعوا عن استقلال ولاياتهم بكل ما اوتوا من قوة . وهنا يجب ان نتساءل عن العوامل التي دفعت سلاطين دهلي الى بذل الجهود في توسيع رقعة اراضيهم .

هناك دوافع اقتصادية لها اهميتها ، ذلك ان حكومة دهلي سعت الى الاستفادة من اقتصاديات البلاد التي تطلعت الى فتحها مثل اقليم الكجرات الفنى . يضاف الى ذلك انه من الناحية الاستراتيجية تأمن السلطنة على نفسها كلما ضمت اراض اليها حتى لا تكون محاطة بأعداء يحاولون الانتفاض عليها في الوقت المناسب وهناك عامل لا يمكن اغفاله وهو نشر الاسلام في غير بلاد الاسلام .

بدأت سياسة التوسع في بلاد الهند في عهد السلطان جلال الدين خلجي ففي نهاية سنة ١٢٩٢ ، طلب علاء الدين من السلطان جلال الدين أن يأذن له بغزو فيديشا Vidisha بعد أن أتم فتح ما ندور Mandor واجتاز غين Jhain للمرة الثانية ، ووافق السلطان على طلب ابن أخيه ، فغادر كره ، وطهر البلاد في طريقه من الأعداء ، وحينما بلغ البلدة ظهر امامها بقواته ارتاع أهلها ، وفزعوا وجزعوا ، وأخفوا اصنامهم حتى لا تتعرض للتدمير من قبل الجنود المسلمين ، وهاجم علاء الدين البلدة بقوة وضراوة ، ودمر معابدهم ، وغنم مغانم كثيرة ، وعاد الى دهلي يحمل من بين الفنائم قطعاً من الأصنام التي دمرها (١) ، وأمر جلال الدين بالقائها عند بوابات المدينة يراها الناس رمزا لانتصار الاسلام على الكفر والشرك بالله ، وكأفاً السلطان صهره وابن أخيه علاء الدين بأن أسند اليه منصب رئيس ديوان العرض (الجيش) واقطعه مدينة أوده (٢) .

وكان علاء الدين ظموحاً ، يتطلع الى خوض غمار حروب يحرق فيها انتصارات يجنى منها ثروات طائلة وشهرة فائقة ، استمتع عن ثروة

Lal : Hist. of the Khaljis. p. 34.

(١)

Lal : Hist. of the Khaljis. p. 36.

(٢)

مملكة ديفا جيري فاعتزم غزوها وحشد جيشا قويا في كره لهذا الغرض ،
وطلب موافقة السلطان على الغزو ، وأغراه بالفنائم التي تؤول اليه من
غزواته ، فلقى بطلبه استجابة من السلطان الذي كان يولى ابن أخيه
ثقة كبيرة ، ويفضل عن نواياه نحوه ، وأمدد السلطان بجيش قسوى
معد خير اعداد ، الأمر الذي جعل علاء الدين مستعدا للغزو بجيش قوى ،
سار على رأسه الى ديفاجيري وتقع بين الهند الشمالية وجزيرة دكا ،
وفى شمالها وشمالها الغربى تقع مملكة مالوا Malwa وجوجرات ،
وفى الشرق والجنوب تقع مملكة تلانجانا Telingana و Dwar as amudra
وظلت هذه المملكة فى مأمن من الخطر الخارجى ، الذى تعرض
له شمال الهند فى الفترة ما بين القرن الثامن والثالث عشر الميلادى حتى
تطلع علاء الدين الى غزوها ، وكان يحكم هذه المملكة فى الوقت الذى
غزاها فيه علاء الدين أسرة فادافا Vadava وحاكمها يسمى واجاشاندرا
Chandra ، وتدعى هذه الأسرة لنفسها نسبا عريقا ، وسيطرت هذه
المملكة فى القرن ١٣ على جوجرات ومالوى والبلاد المجاورة واصبحت
قوة بحسب لها الف حساب وحساب فى شمال الهند ، ولما ولى راجا
شندرا الحكم ، حرص على تقوية جيوش مملكته ، وأكد سيطرته على
البلاد التى ذكرناها ، وأصلح أحوال مملكته الداخلية ، ونشر فيها الأمن
فعم البلاد الرخاء فى سنى حكمه التى تجاوزت خمسة وعشرين عاما ،
وانتعشت التجارة وراجت الصناعة وعمرت خزينة البلاد ، ولم يعد لها
حكام اجانب يذهبون ثرواتها ، وتطلع علاء الدين الى غزو هذه البلاد
طمعا فى ثرواتها الهائلة ، وذهبها الكثير ومجوهراتها الثمينة وأحجارها
الكريمة (١) .

وقف علاء الدين على قوة مملكة ديفاجيري ، واستعداداتها العسكرية ،
وقوة ملكها ، فأعد جيشا قويا ، وغادر كراة اوائل سنة ١٢٩٦ ، ولكى يغطى
موقفه ويوهم ملك ديفاجيري بأنه لا يقصده ، أتجه الى شانديرى ، زاعما
انه يعتزم غزو هذا الحصن الذى يقع فى وسط الهند ومنه يتجه الى
فيديشا Vudisha وأمن جميع الطرق المؤدية اليها ، وعبر بقواته
الجبال التى اعترضته ، وسار بعناية فائقة على رأس جيشه ، عبر
الثلال الوعرة ، واجتاز انهارا ، ولما قرر علاء الدين انهاء المعركة فى أسرع
وقت ، لم يبق فى دكا كثيرا حتى لا يثير شكوك ملوك الهند الأقوياء
فى نواياه ، ولا يعارضه نبلاء دهلى الكارهين له ، والمتربصين به وحرص

أن يتفوق في الحرب ، لأن عودته الى كره منهزما ، تضعف من شأله ، وتعطى لأمرائه سلاحا للنيل منه ، واتجه الى مملكة ديفاجيرى دون أن يسمح لقواته بالاعتداء أو الهجوم على البلدان التى فى الطريق لأن ذلك مضيعة للوقت ، ويبعده عن هدفه الرامى الى اجتياز المملكة فى أسرع وقت ، وأطلق أشاعة مؤداها أنه يعارض جلال الدين ، ويتجه الى راجا Rujmundri فى تلنجانا قادما لعقد محالفة معه ، حتى لا تتعرض له البلاد فى طريقه الى ديفاجيرى (١) .

ومهما يكن من أمر فقد وصل علاء الدين الى مشارف المملكة ، وخرج الناس فيها لمقاومته ، وقادت بعض حركات المقاومة امرأتان ، قادت كل منهما فرقة من الجند وتصدت لمقاومة علاء الدين ، وفشل فى صد هجماتها العنيفة ، فانسحب منهزما ، ثم عاود الهجوم ، وأحرز انتصارا رائعا على أعدائه بعد أن ضعفوا ووهنوا ، وانسحبوا من المعركة يجرون أذيال الفشل والخيبة ، وكانت هزيمتهم فادحة ، وخسارتهم مروعة (٢) .

مهدت هذه المعركة التى انتصر فيها علاء الدين ، الى الزحف داخل مملكة ويفاجيرى دون أن يعترضه معترض ، أو يقاومه مقاوم ، وأثار علاء الدين حماس جنده ، وأبلغهم أنه لا يزال امامهم عمل شاق ، ينتظرهم ، وإذا كانت النساء فى هذه الاصقاع يحاربن بشدة وضراوة ، فماذا يفعل الرجال ؟ وأغرى جنده - فى نفس الوقت - الثروات الهائلة والمغانم الكثيرة التى يحصلون عليها من فتح هذه المملكة ، وجدد جنده يمين الولاء والطاعة له ، وتعهدوا بمواصلة الحرب تحت قيادته حتى الموت (٣) .

باغت علاء الدين وجنده المملكة ، ففزع الملك وجزع واستنجد الملك بحلفائه من البلاد المجاورة ، واعتصم بقلعته ، وتقع على تل مرتفع جدا ، قوية التحصين ، وحاصر علاء الدين القلعة ، وشدد عليها الحصار ، حتى

(١) تاريخ فرشته ، ص ١١١ .

(٢) باراقى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٣٠٠ .

Lal : Hist. of the Khaljis. p. 42.

(٣) :

نفذت المؤن والأقوات ، وقبض علاء الدين على رؤساء التجار ، وكانوا يمدون القلعة بما تحتاجه من ميرة ، كما استولى على اسطبلات الملك ، وغنم ما فيها من فيلة وخيول . لذا لم يستطع الملك مقاومة الحصار طويلا (١) بعد أن نفذت المؤن والمعدات من القلعة ، واصبح من العسير تزويدها ، وتخرج موقف الملك ، ورأى أن لا طاقة له بعلاء الدين ، واستخدم علاء الدين سلاح الحرب النفسية ، فأشاع أن الجند الذين معه مجرد طلائع لجيشه فقط ، وهو في الطريق الى ديفاجيرى ، الامر الذى اضطر الملك الى طلب الهدنة ، وعقدت فعلا ، وبمقتضاها تتوقف العمليات الحربية ، وينسحب علاء الدين وجيشه من ديفاجيرى ، ويتبادل الطرفان أسرى الحرب (٢) .

على ان هذه الهدنة لم توضع موضع التنفيذ ، ذلك ان سنغانا Singhana ولى العهد - الذى كان خارج العاصمة وقت الحرب عاد بعد الاتفاق على هذه الهدنة ، وأثاره هذا الاتفاق ، واعتبره هزيمة ونيلا من كرامة الملك ، والمملكة فقرر نقض الهدنة ، ومحاربة العدو بكل ما أوتى من قوة ، وأرسل الى علاء الدين يهدده ويتوعده ، وينذره بسرعة الانسحاب بدون قيد أو شرط (٣) .

رفض علاء الدين التهديد ، ولم يكن هناك بد من الحرب والقتال . واعد العدة لمواجهة العدو وقهره ، واتبع في ذلك خطة واضحة ، فأبقى على حصار القلعة بفرقة من جيشه ، أسند قيادتها الى نصرت خان ، وبذلك حال بين الملك وبين الاتصال بابنه العنيد ، ودارت رحى معركة عنيفة بين سنغانا وبين علاء الدين ، وانسحب نصر خان من امام القلعة ، وانضم الى علاء الدين وشدد علاء الدين من هجماته على العدو حتى وهنوا وضعفوا (٣) ففروا الى الحقول المجاورة ، وبعد انتصار علاء الدين ، عاد الى القلعة ، وجدد حصاره لها ، وقتل الكثير من جندها ، واستنجد الملك بعد فوات الأوان بإراجات البلاد المجاورة ، وانتهت الحرب باستيلاء علاء الدين وسيطرته على المملكة ، ولم يبق سوى القلعة ، فعاد اليها ، وشدد حصاره لها ، ورأى الملك أن لا قبل له بعلاء الدين ، واستولى على القلعة ، وغنم مغانم

(١) تاريخ فرشته ، ص ٩٦ .

(٢) المصدر السابق

(٣)

Lal : Hist of the Khaljis. p. 45.

كثيرة ، منها عدة أحمال من الذهب ، وكميات كبيرة من الاحجار الكريمة والمعادن (١) .

وبذلك حقق علاء الدين هدفه من هذه الحملة ، فقد استسلمت مملكة ديفاجيرى له ، وتعهد ملكها بدفع جزية سنوية ، وتزوج علاء الدين من ابنة الملك وانسحب من المملكة بعد أن حصل منها على ثروات هائلة اختلف المؤرخون في تحديدها وتقديرها ، ولم يكتف علاء الدين بذلك بل اجبر الملك على دفع جزية سنوية عن ولاية Ellichpur الشبور التابعة له ، وأفرج علاء الدين عن اسرى الحرب ، وغادر ديفاجيرى ، وفي طريقه الى كره ، دمر حصن اسير جره Asirgarh الذى يحكمه ثحد الراجات ولم ينبج من الحصن الا من لاذ بالفرار (٢) .

وبينما كان علاء الدين مشغولا في عملياته الحربية ، نsar جلال الدين الى جاوهار في مستهل سنة ١٢٩٦ ، وقد غضب من مسلك علاء الدين ، اذ لم يأذن له بمهاجمة ديفاجيرى ، وان كان قد اسعدته الانتصارات الرائعة التى احرزها هذا الامير في المعارك التى خاضها ضد العدو ، بل عقد احتفالات كثيرة بهذه المناسبة .

ولما عاد علاء الدين الى كره محملا بالفنائم ، لم يتصل بالسلطان جلال الدين عدة اشهر ، ووقعت الوحشة بين الرجلين ، واستعد جلال الدين للمسير الى كره لاعادة ابن اخيه الى الطاعة والولاء ، ولكن علاء الدين لما رأى الموقف في دهلى ضده ، ويهدد طموحه ونفوذه ، أرسل الى عمه جلال الدين يستعطفه ويسأله العفو والصفح ، ويعدده بأرسال الفنائم والثروات الهائلة - التى حصل عليها - اليه ، فلقيت هذه الدعوة استجابة من الملك الشيخ فأرسل الى ابن اخيه أمانا وعفا عنه وعن كل أخطائه ، ولكن علاء الدين كان يضرر السوء لعمه ، ويتطلع الى التخلص منه ، والقبض على زمام الامور في سلطنة دهلى (٣) .

وانتهت الخلافات بين الرجلين - كما قلنا بتخلص علاء الدين من عمه السلطان ، وولى السلطنة بعد أن تغلب على العقبات التى اعترضته ،

(١) بارانى : تاريخ فيروز شاہى ، ص ٣٠٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٢٣ .

(٣) بارانى ص ٢١٩ .

ودخلت المملكة في عهد جديد ، تطلع الناس من خلاله الى مستقبل سعيد (١) .

تعرضت سلطنة دهلي لمشاكل خارجية تهددت كيانها ووجودها ، فقد شن الغزاة من أهل الهند وغير أهل الهاد عدة حملات عليها ، فلم يكف المغول عن غزو سلطنة دهلي سنويا من الشمال الغربي ، كما أن قبائل الكهكرية الشديدة المراس تكررت هجماتها في البنجاب والمالتان والسند ، وتشير الرعب والفرع في النفوس وفي جنوب السند تقع مملكة الكجرات الغنية ، ويحكمها أحد الامراء الراجبوتين ، وبالقرب من الكجرات تقع الممالك المختلفة ، ويحكمها امراء من الراجات ، وكلها مستقلة عن بعضها ، ومستقلة عن سلطنة دهلي ، ولم يستطع الحكام المسلمون السيطرة الكاملة على هذه البلاد ، وفي نفس الوقت تحافظ دول في الهند مثل شيتور Chittor وراثمبهور على الاستقلال عن دهلي وفي وسط الهند تقع ممالك مالوا و Dhar ويوجين Ujjain وكلها مستقلة . (٢)

بينما حكم راجات الهنود أو الامراء المسلمون بهار والبنغال واوريسا . وفي البنغال بالذات حكم ناصر الدين محمود وخلفاؤه من بعده مستقلين ، وكانت الدواب في أيدي الاقطاعيين من المسلمين أو الهنود . ولم يصل نفوذ دهلي الى اودة والبلاد المجاورة لها (٣) .

راى علاء الدين ضرورة السيطرة على كل هذه البلاد ، وتوسيع رقعة دولته على حساب البلاد المجاورة لها ، فبدأ بتنظيم شؤون دولته ، والضرب بيد من حديد على مثيري الفتن والانقسامات الداخلية ، وفي نفس الوقت أعد جيشا قويا لتنفيذ سياسته (٤) .

تطلع علاء الدين الى مملكة الكجرات ، وكانت من أعظم الممالك الهندية ثروة في العصور الوسطى ، ونتاجها الزراعى يأتى بعد الدواب وانتعشت فيها الصناعة ، وراجت التجارة ، ومن موانئها حملت صناعاتها الى بلاد فارس وبلاد العرب وزارها ماركوبولو ، وأعجب بطيب هوائها ، ونقاوة وعذوبة مائها ، وجمال عمارتها ، وازدهار زراعتها . وجدير بالذكر ان هذه

Lal : Hist. of the Khaljis. p. 68. (١)

Lal : Hist. of the Khaljis. p. 63. (٢)

(٣) تاريخ فرشته ، ص ١٠٢ .

(٤) باراني : تاريخ فيروز شاهي ، ص ٢٤٧ .

المملكة تعرضت لغزوات الغزنويين والغور والماليك ، وظلت تحت ظلم
الراجبوتيين حتى شرع السلطان علاء الدين في غزوها ، وقسم جيشه الى
قسمين أسند قيادة الاول الى بلغ خان ، والثاني الى نصرت خان وقد غادر
بلغ دهلي في فبراير سنة ١٢٩٩ ، وأمره السلطان بأن يسير من السند ويلحق
بالقوة التي يقودها نصرت خان (١) .

اجتاز بلغ خان البلاد التي في طريقه الى كجرات واستولى عليها ،
وبدأ بمهاجمة الكجرات ، واستولى على مدينة انهلواره الجميلة ، وقد فزع
راجا المدينة ولاذ بالفرار الى ديفاجيري ، وأسر المسلمون رجاله ، واستولوا
على كنوزه ، وتعقبوا فرق من الجيش الملك الهارب بينما سارت فرق أخرى
الى سومنات - وقد أعيد بناؤه بعد أن دمره السلطان محمود الغزنوي ،
وصادر المسلمون الثروات الهائلة التي كان يدعها الهنود لزوار هذا المعبد ،
ودمروا الصنم ، وحمل الى دهلي واجمع المؤرخون على ان نصرت خان
وبلغ خان دمرا مدنا بأسرها في الكجرات ، وغنموا ثروات هائلة من القصور
والمعابد في الكجرات (٢) .

سيطرت جيوش دهلي على مملكة الكجرات بعد معارك متعددة مع
جندها ، وعادت الى دهلي محملة بالفنائم الهائلة ، تتضمن أسرى من
الرجال والنساء والولدان وكميات هائلة من الذهب والفضة والحلى وأمتعة
لا تقدر بثمن (٣) .

وفي أثناء عودة الجيش الى دهلي محملا بالفنائم حدثت معركة تمرد في
الجيش ، واستولى بعض الجند على قدر كبير من الفنائم ، وقتلوا بعض
أقرباء قائدي الجيش بلغ خان ، ونصرت خان ، غير ان المتمردين فروا من
الجيش قبل دخوله دهلي خوفا من عقاب السلطان ، ولما بلغ الجيش دهلي ،
وعلم السلطان بحركة التمرد ، نكل بأفراد أسر المتمردين ، وكان انتقاما
وحشيا بربريا ، حتى ان الطفل كان يقطع اربا اربا (٤) .

وفي خلال غزو السلطان لمملكة الكجرات ، أرسل السلطان علاء الدين

(١) تاريخ فرشته ، ص ١٠٢ .

(٢) باراني : تاريخ فيروز شاهي ، ص ٢٥١ - ٢٥٢ .
Lal : Hist. of the Khaljis. p. 71.

(٣)

(٤) باراني : تاريخ فيروز شاهي ، ص ٢٥٣ .

قائده ظفرخان لمحاربة المغول المحتشدين بأطراف الهند ، وهزم القائد الشجاع جيش المغول وسيق الكثيرون منهم أسرى الى دهلى سنة ١٢٩٩ التى فتحت فيها الكجرات (١) .

قضت الحملات التى شنّها السلطان علاء الدين في أواخر القرن الثالث عشر على البلاد الهندية المجاورة ، وعلى معظم الراجيات الاقوياء وخضعوا لسلطان دهلى ، وفي الفترة من سنة ١٣٠٠ حتى سنة ١٣١٠ اشن علاء الدين عدة حروب في شمال الهند ، وأكثرها شدة وضراوة كانت في صحراء الثار . وفي الفترة الواقعة بين سنتي ١٣٠٨ ، ١٣١٢ أخضع حكام دكا ، ولكن معظم جهود علاء الدين تركزت في البنغال حيث واجهت قواته مصاعب كثيرة (٢) .

اتخذ السلطان علاء الدين كافة الاستعدادات لغزو اقليم البنغال وضمه الى مملكته ، وأرسل السلطان فرقا من جيشه الى هذا الاقليم ، وأمرجنده بالاتجاه شرقا ، واتخاذ الطريق الشرقى الى البنغال وأوريسا ، بينما سار السلطان الى جزيرة دكا (٣) .

ولا يفوتنا ان نذكر ان البنغال ظلت مستقلة عن دهلى بعد ان حكمها الخلجيون ولم يحاول جلال الدين الخلجي بسط نفوذه على هذا الاقليم النائي البعيد ، وكان يحكمه ناصر الدين محمود بن بلبن حتى وفاته سنة ١٢٩١ ثم خلفه ابنه ركن الدين خلجي ، وكان متمردا وثائرا على أبيه حتى انه أرسل الى علاء الدين يحالفه ، وعاشت البلاد في مستهل القرن الرابع عشر في قلق واضطراب ، وثار شمس الدين فيروز على أخيه ، واستقل بغرب البنغال ، وتاريخ البنغال في هذه الفترة بالذات غامض كل الغموض ولا نعرف عن هذين الملكين شيئا ، ولم ترد عنهما أية معلومات اللهم الا العملة التى تحمل اسميهما (٤) .

وقد لقب فيروز نفسه سلطانا . ومن المحتمل جدا ان حركات التمرد والعصيان ضد السلطان علاء الدين وانشغاله في قمعها قد أغرى فيروز بالاستقلال نهائيا عن دهلى . على أن سياسة علاء الدين - كما قلنا -

Lal : Hist of the Khaljis p. 77.

(١)

(٢) تاريخ باراني ، ص ١١١ .

Lal : Hist. of the Khaljis. 78.

(٣)

Camb : Hist. of India, 111. p. 108.

(٤)

اتجهت الى استعادة سيطرة دهلي على البنغال ، بل كان يتطلع - قبل توليته السلطنة - الى البنغال والاستقلال بها ، واعد العدة للمسير فعلا الى البنغال والاستيلاء عليها والاستقلال بها ، اذا فشل في تحقيق خطته الرامية الى التخلص من عمه سلطان دهلي (١) .

أرسل علاء الدين - كما ذكرنا - جيشا الى البنغال لضمها الى مملكته ، بعد انتزاعها من فيروز الذي استقل بها نهائيا عن دهلي . وحوادث غزو البنغال ونتائج غامضة كل الغموض ، مضطربة كل الاضطراب ، ولكن يفهم من روايات المؤرخين ان جيش علاء الدين لم يستطع هزيمة جند البنغال ، واخضاع الاقليم - تبعا لذلك - لسلطان دهلي . وكان علاء الدين في ذلك الوقت مشغولا في قمع حركات التمرد والعصيان التي قامت ضده . على كل حال ظل شمس الدين فيروز يحكم البنغال حكما مستقلا حتى سنة ١٣٢١ (٢) .

ولا يمكن قبول رواية باراني عن البنغال ، اذ ان عرضه لهذه الفترة التاريخية التي نحن بصدد الحديث عنها - يدل تماما على غموض الأحداث بالنسبة له ، فهو يروي ان البنغال كانت في سلام في ظل حكم ناصر الدين محمود بن بلبن ، وحتى زمن علاء الدين وخلفائه الى ان حكمهما غياث الدين تغلق ، ويخلط المؤرخ باراني كذلك بين ناصر الدين محمود ، وشمس الدين فيروز ، ويذكر ان ناصر الدين حكم ٤٣ سنة . وهذا القول غير صحيح ، وتؤكد العملة عدم مطابقة قوله مع الواقع . فرواية باراني غير موثوق فيها عن هذه الفترة . ويردد - كما رأينا - أحداثا غير صحيحة (٣) .

ومهما يكن من امر فقد عادت حملة علاء الدين على البنغال ادراجها الى دهلي دون ان تحقق اهدافها ، وقد الحق بها شمس الدين فيروز هزيمة فادحة ، وبقي آمنا في بلده بعد انتصاره على علاء الدين ، مستقلا في حكمه ، قويا في مملكته .

على ان علاء الدين الخلجي لم يقف مكتوف اليدين ازاء هزيمته بل عول على العودة الى غزو البنغال ، والعمل على تحقيق هدفه الرامي الى

(١) باراني : تاريخ فيروز شاهي ، ص ٣٠٣ .

(٢) تاريخ فرشته ، ص ١١٨ .

(٣) باراني : تاريخ فيروز شاهي ، ص ٣٩٥ .

السيطرة على هذا الاقليم ، ولكنه رأى أن يبدأ بالامارات التى يحكمها
الراجات حكما مستقلا عن دهلى ، ورأى أن هزيمتهم والسيطرة على
بلادهم تكسبه هيبة كبيرة فى بلاد الهند ، ويرفع من شأن سلطنة
دهلى (١) .

بدأ علاء الدين حملاته على بلاد الراجبوتيين بأن هاجم جيسالمير
Jais almer ، وجدير بالذكر أن السلطان جلال الدين شن عليها
حملة من قبل ، ولا تشير المراجع التى كتبها المسلمون المعاصرون عن
وقت غزو علاء الدين لهذه البلدة ، الا أن المراجع الفارسية تشير الى أن
ذلك تم فى اثناء مسير جيش علاء الدين الى الكجرات سنة ١٢٩٩ ، ولكن
الراجبوتيين يشيرون الى غزو علاء الدين لجيسالمير ، وان كانوا
لا يذكرون موعد هذا الغزو كعادتهم فى تسجيل الأحداث التاريخية ،
وقد تم ذلك بقيادة يلغ خان الذى كان يقود جزءا من الجيش الذى سيره
علاء الدين الى الكجرات ، وقد احتل هذا الجيش الحصن ، وقتل عددا
كبيرا من كفار الهنود ثم غادر البلدة الى الكجرات بعد ان ترك فى البلدة
حامية استقرت فى قلعتها (٢) .

بعد ذلك أعد علاء الدين العدة لغزو رانثمبور ولهذا الاقليم أهمية
خاصة لدهلى ، لقربه منها ، ولأن جلال الدين سبق أن فشل فى السيطرة
عليه يضاف الى ذلك حصانتها ومناعتها ، ويعمل لقوتها كل حساب وقد
تكون خطرا على أمن وسلامة سلطنة دهلى ، والسبب المباشر لغزو علاء
الدين لها يرجع الى أن راجا هذه البلدة ، ساعد ووقف الى جانب راجا
جيسالمير ضد غزوات دهلى ، وقد تعرضت هذه البلدة لغزوات القادة
المسلمين قبل جلال الدين ، ولكن لم يستطع واحد منهم السيطرة الكاملة
عليها (٣) .

ومهما يكن من أمر فقد أمر السلطان علاء الدين قائديه يلغ خان
ونصرت خان بالسير الى رانثمبور سنة ١٣٠٠ (٤) ، وتحركت جيوش دهلى
صوب حصنها المنيع وفى طريقهم احتلوا غين Jhain بدون أن

Lal : Hist. of the Khaljis. p. 80. (١)

Lal : Hist. of the Khaljis. p. 84. (٢)

Camb : Hist of India, 111. p. 832. (٣)

(٤) باراقى : تاريخ فيروز شامى ص ٣٧٢ .

تصادفهم مقاومة ، وارسل يلغ خان الى أمير رانثمبهور يطلب منه التسليم حفظا لدمائه ودماء قومه وحماته ولكن الراجا رفض الاستسلام ، وآثر الحفاظ على تقاليد أسرته وشرفها ومجدها التي ترفض وتتصدى بكل قوة للغزو الخارجي ، وترفض السيطرة الخارجية مهما كانت التضحيات (١) .

وعلى ذلك فقد أمر يلغ خان قواته بالاهبة والاستعداد وسرعة المسير الى رانثمبهور ، وعسكر بجوارها ، وحاصرها وشدد عليها الحصار ، ونصب المنجنيقات وادوات الحصار وأعد راجا رانثمبهور العدة لمقاومة الحصار ، وقهر الفزاة ، وكان جيشه يتألف من ١٢ ألف فارس وعديد من المشاة ، ويضم الجيش عددا كبيرا من الفيلة وانهالت القذائف من رانثمبهور على القوات الخلجية - كما يقول ناصر خسرو - وأدت الى مصرع نصرت خان . وقد انتشر الذعر بين المسلمين بفقد القائد ، وتأثرت روحهم المعنوية ، وضعفوا ووهنوا ، وأدرك راجا رانثمبهور اضطراب الجند الخلجي ، فهاجم قوات المسلمين ، وحطم خطوطهم الدفاعية ، ولم يستطع يلغ خان التصدي له ، ووقف هجماته ، وهزم جند دهلي ، ولاذوا بالفرار الى جيسا مير . وبذلك فشلت محاولة علاء الدين في السيطرة على رانثمبهور ، وقرر علاء الدين المسير بنفسه لتحقيق هدفه الرامي الى السيطرة على رانثمبهور ، واضعاف قوة الراجبوتين الفرسان (٢) .

على أن علاء الدين اعترضته عقبات أثناء مسيره الى رانثمبهور ، وقامت ضده عدة ثورات وحركات تمرد ، وبعد أن انتهى منها سار الى رانثمبهور ، وشدد الحصار على قلعتها ، وأثار حماس قواته ، واستمر الحصار عدة أسابيع ، قاسي فيه جند دهلي ويلات الشقاء والبؤس ، ذلك أن المدافعين عن القلعة القوا على المهاجمين مواد مشتعلة انهكت قواهم . كما قاست قوات العدو المحاصرة من نقص في المؤن والقوت ، والجوع كافر - كما يقولون - لذا ضعفت مقاومة جند رانثمبهور ، ووهنت عزيمتهم ، واشتد بهم الكرب ، أما السلطان علاء الدين فكان يشجع قواته على المضي قدما في مهاجمة العدو ، وينفق الاموال الطائلة في مرضاتهم ، فطابت نفوسهم ، وقويت عزيمتهم (٣) .

Munshi. op. cit. 180.

IBID. P. 181.

Camb : Hist of India 111. p. 517.

(١)

(٢)

(٣)

دارت رحى معركة فاصلة بين الفريقين ، اريقت فيها دماء غزيرة ، وقتل في هذه المعركة الكثير من الراجات الذين اشتركوا فيها الى جانب حليفهم راجا رانثمبهور ، ومن القتلى راجا هامير ، بعد ان حارب ببسالة نالت اعجاب معاصريه ، وكتب كتاب كثيرون عن هذه المعركة ، وكتبوا عن اساليب الفروسية التى اظهرها الراجات في حربهم ضد علاء الدين ، وجمع بين الراجات تحالف وثيق ضد العدو المشترك - علاء الدين - الذى اصبح خطرا يهدد استقلال بلادهم (١) .

على كل حال انتصر علاء الدين على اعدائه واستولى على رانثمبهور وحطم اصنامها ، ودمر بعض المعابد ومن بينها معبد هارديفا Har Deva الذى جعله السلطان دكا ، ودمر الكثير من منازل البلدة . واصبحت رانثمبهور تابعة لسلطنة دهلى ، وعهد السلطان الى يلغ خان بالاشراف على قلعة رانثمبهور . كذلك ضم علاء الدين الى حوزته غين (٢) .

شجع هذا النصر الرائع الذى احرزه سلطان دهلى في رانثمبهور ضد حاكمها الراجبوتينى ، شجعه على مواصلة النضال ضد الامراء الراجبوتيين في ارض الهند ، وجاء دور شيتور Chittor اقوى قلعة في الراجبوتانا وتقع على تل ارتفاعه خمسمائة قدم ، قوية التحصين ويحكمها راجا مستقل حتى سنة ١٣٠٣ حين غزاها علاء الدين (٣) .

ظلت شيتور زمنا طويلا عاصمة لاقليم ميوار Mewar وتعرضت لغزو السلطان التمشى ، ولكنه لم يتمكن من السيطرة عليها ، كما غزاها ناصر الدين محمود سلطان دهلى - وفي سنة ١٢٩٩ هاجم يلغ خان ميوار - وهو في طريقه الى الكجرات - ولكنه هزم (٤) .

سار علاء الدين الى شيتور في مستهل سنة ١٣٠٣ ، وحاصر القلعة، وشدد عليها الحصار ، وباشر السلطان بنفسه عملية الحصار ، واستعان براجات البلاد المجاورة ، غير انهم لم ينظموا عملية انقاذ شيتور ، ذلك ان الخلافات كانت شديدة بينهم من ناحية ، وبين بعضهم وراجا شيتور من ناحية اخرى ، لذا لم توضع خطة موحدة لانقاذ شيتور ، وخرج لنجدته

(١) Lal : Hist. of the Khaljis. p. 96.

(٢) Munshi. op. cit. p. 181.

(٣) باراك : تاريخ فيروز شاہى ص ٢٨٣ .

(٤) المصدر السابق ص ٢٩٠

منهم من خرج متفرقاً الكلمة . ومهما يكن من امر فقد اشتدت مقاومة جند شيتور في القلعة حتى تحولوا في بعض فترات الحرب من الدفاع الى الهجوم ، غير ان علاء الدين شدد هجماته على العدو ، والقى قذائف عديدة على القلعة حتى اشتد اليأس بين اهل شيتور واقام النساء خنادق تحت الارض ، واحرقن انفسهن فيها حتى لا يقعن اسرى في ايدي اعدائهم ، ومن بينهن نساء الامراء والفرسان الراجبوتيين (١) .

واصل السلطان علاء الدين تشديد هجماته على القلعة ، حتى استسلمت في اغسطس من نفس السنة ، بعد ان بذل جند دهلي جهوداً مضنية في الحرب وامر السلطان علاء الدين بقتل كل من وقع في يده من العدو ، ودمر المعابد واحرق الاصنام وكل مظاهر الشرك ، ويختلف المؤرخون حول مصير راجا شيتور ، فيرى بعضهم انه قتل في اثناء المعركة ، ويرى آخرون انه قتل بعد المعركة ، ويؤيد خسروخان الراى الاخير ، وجدير بالذكر انه رافق السلطان علاء الدين في الحرب (٢) .

استسلمت قلعة شيتور بشرط دفع الجزية لسلطنة دهلي ، وضم علاء الدين شيتور الى حوزته ، وضبط الامور في البلدة ، واعاد اليها الامن والطمأنينة ، ونظم ادارتها في ظل الحكم الجديد ، وعاد الى دهلي مسرعاً ، اذ كان يتوقع غزواً مغولياً لدولته (٣) .

ازدادت هيبة السلطان علاء الدين في بلاد الهند على اثر سيطرته على رانثمهور الحصينة والقوية وعلى شيتور ، وتغلبه على المعارك الضارية التي خاضها ، لذا خشي بعض الامراء الراجبوتيين من ان تدور الدائرة عليهم ولا طاقة لهم بسلطان دهلي ، وارسلوا يقدمون اليه فروض الولاء والطاعة . على ان راجا ماهلاك Mahlak حاكم مالوا Malwa رفض الاستسلام لدهلي ، واعد العدة لمقاومة السلطان الخلجي (٤) .

وجدير بالذكر ان الجيوش الاسلامية غزت البلاد قبل علاء الدين ، غزاها شمس الدين التمش سنة ١٢٣١ ، واستولى على بعض حصونها ،

(١) تاريخ باراني ، ص ٢٩٩ .

(٢) المصدر السابق .

Lal : Hist of the Khaljis. p. 113.

Majumdar. op. cit. p. 295.

(٣)

(٤)

ودمر المعبد المشهور ماهلاك *Mahlak* ، ولكن هذا الغزو كان خاطفا . وعاد ديفا بالا الى حكم هذه البلاد - كما كان الحال من قبل - وتعرضت مالوا لغزو سريع ايضا في عهد السلطان جلال الدين (١) .

على ان الغزو الحقيقي الذي تعرضت له مالوا من قبل المسلمين ، كان بقيادة علاء الدين ، سار اليها - كما قلنا - سنة ١٣٠٣ ، وكانت مهمة السلطان الخلجي عسيرة معقدة ذلك ان راجا مالوا كان يمتلك جيشا قويا يضم الكثير من المشاة والفرسان ، ويتولى قيادته قائد شجاع ، خبر أساليب الحرب والقتال .

سار علاء الدين الى مالوا ، ودارت معركة بين الجند الخلجي وجند مالوا ، قتل فيها موليتاني - القائد المالوي - وقد ادى مقتله الى اشاعة الفوضى والاضطراب بين جنده ، وكانت فرصه سانحة لجند دهلي ، فشددوا هجماتهم على جند مالوا وانتصر الخلجيون على اعدائهم ، وقتلوا منهم كثيرين ، ثم حاصر الخلجيون القلعة ، وشددوا عليها الحصار ، وقد عثر الخلجيون على منفذ مكنهم من دخول القلعة وفوجيء جند مالوا بالخلجيين داخل القلعة - حصنهم الحصين - ودارت معركة رهيبة بين الفريقين انتصر فيها جند دهلي ، واستولوا على القلعة ، واستسلم جند مالوا وتبع ذلك سيطرة الخلجيين على مالوا بأسرها وكان لهذا الانتصار الرائع اثر كبير في التطور التاريخي لبلاد الهند ، ذلك ان سلطنة دهلي أصبحت اكبر قوة ضاربة في بلاد الهند ، فضلا عن ازدياد ضعف الراجبوتيين . وسر السلطان بهذا الفتح المبين ، والنصر المؤزر ، وامر باقامة الزينات والحفلات في دهلي عدة ايام ، واقامت الولاثم لاهل دهلي على اختلاف مستوياتهم (٢) .

ومن ابرز نتائج ضم مالوا الى سلطنة دهلي ، تيسير السبيل امام الخلجيين لبسط سيطرتهم على الكثير من الامارات الراجبوتية ، فدخلت مدن يوغين *Ujjain* وماندو ود هارنا جاري *Dharnagaari* وشانديري في طاعة السلطان الخلجي ، اذ خشي حكامها من غزو السلطان لبلادهم . وعهد السلطان الى عين الملك موليتاني بجكم ماندو بالاضافة الى

IBIBD. p. 296.

Indian Historical quarterl. 1. 1925. p. 653-656.

(١)

(٢)

مالوا مكافأة له على شجاعته وبسالته وقهره للعدو (١) .

لم يكتف علاء الدين بما احرزه من نصر ، بل تطلع الى ضم المزيد من الاراضي الى دولته ، فأعد جيشا سار على رأسه الى سيفانا لفتحها ، وكان يحكمها ساتال ديفا Satal Deva - احد القادة الراجبوتيين الشجعان في سنة ١٣٠٨ - واعد الراجا العدة لمقاومة الهجوم ، وانضم اليه الكثير من الراجبوتيين وحاصر علاء الدين العدو في القلعة ، وشدد عليها الحصار ، ودام القتال وقتا ليس بالقصير ، وقد صمد المدافعون عن القلعة ، والقوا بالنيران والحجارة على الخلجيين الذين لم تفتر عزيمتهم - رغم ذلك وقرروا مواصلة الحرب حتى النصر ، ودرس الخلجيون القلعة من جميع جوانبها ، حتى عرفوا نقط الضعف فيها ، وتمكنوا من اجتياز القلعة على اثر ذلك ، واستولوا عليها ، وقد اسقط في يد الراجا فغادر القلعة ، ولاذ بالفرار لا يلوى على شيء واتجه الى جالور Jalar ، ولكنه سقط في كمين ، ولقى مصرعه . ويذكر امير خسرو ان ساتال ديفا قوى البنيان متين الجسم ، وقد دهش السلطان ورجاله من منظر رأسه الضخم التي احضرت الى معسكره ومهما يكن من امر فقد عاد علاء الدين الى دهلي بعد ان سيطر على سيفانا ، وعهد الى كمال الدين جورج Gurg بحكمها (٢) .

اعتزم علاء الدين وهو في طريقه الى دهلي ، غزو جالور ، كجزء من سياسته الرامية الى السيطرة على كل البلاد الخاضعة للراجبوتيين ، وجدير بالذكر ان السلطان الخلجي غزا جالور سنة ١٢٩٩ في اثناء عودة قواته من الكجرات . ويذكر فرشته (٣) انه في سنة ١٣٠٤ بينما القائد نصرت خان والبخان عائدين من مالوا ، وبلغا جالور ، استسلم راجا البلدة للمسلمين ، واعلن ولاءه للسلطان الخلجي ، دون ادنى مقاومة ، لانه خشي ان يتعرض للمصير الذي لقيه حكام البلاد التي غزاها الخلجيون . وأما الغزو الذي نحن بصدد الحديث عنه - فقد حدث سنة ١٣٠٨ حينما ادرك علاء الدين ان جالور لم تعد موالية لدهلي ، فاعتزم اخضاعها ، كما اخضع الممالك الراجبوتية من قبل .

(١) تاريخ فرشته ، ص ١١٥ .

Lal : Hist of the Khaljis. p. 118.

(٢)

(٣) تاريخ فرشته ، ص ١٢٨ .

على كل حال ارسل علاء الدين جيشا الى جالور سنة ١٣١١ ، ولم يعرف اسم قائد الجيش الذي عهد اليه سلطان دهلى بهذه المهمة ، ولكن يبدو ان هذا القائد لم يكن على قدر كبير من الكفاءة والشجاعة ، ودارت عدة معارك بين جند جالور والخلجيين ، هزم فيها جيش دهلى ، ودارت المعارك عدة سنين ، وقد جزع علاء الدين لذلك ، وارسل جيشا قويا اسند قيادته الى قائده الشجاع كمال الدين جورج ، وشدد هذا القائد الحصار على قلعة جالور ، ونثر الذهب على بعض اهالى جالور حتى يكونوا عوناً له ، فأخبروه على ممرات سرية تؤدي الى داخل القلعة ، وتمكن القائد الخلجى بذلك من اقتحام القلعة ، ودار قتال داخلها بين الفريقين ، هزم فيه الخلجيون اعداءهم ، وقتلوا منهم الكثيرين ، واستولوا على القلعة وعلى البلدة ايضا (١) .

سقطت جالور اذن في ايدي الخلجيين سنة ١٣١١ ، ولكى يخلد علاء الدين انتصاره ، شيد مسجداً على اشهر قلعة في دهلى ، لا يزال موجوداً الى يومنا هذا . وبدخول جالور في حوزة علاء الدين نستطيع ان نقول بأن راجات دول الراجبوتانا دخلوا في طاعة سلطان دهلى جسامير ، رانشمهور ، شيتور ، سيفانا ، جالور والبلاد التى تتبع هذه الدويلات ، على كل حال لم ينته النصف الاول من القرن الرابع عشر الا وكان الراجبوتيون قد ضعف امرهم ، ولم يعد لهم شأن في بلاد الهند وخضعت بلادهم لسلطنة دهلى ، وفقدوا ما اتصفوا به منذ القدم ، بالفروسية والشجاعة (٢) .

ويجدر بنا ان نناقش الدوافع والاسباب التى ادت الى هزيمة الراجبوتيين امام جيوش علاء الدين على الرغم من قوة بأسهم ، وحرصهم على الاستقلال .

دخل السلطان علاء الدين - كما ذكرنا - في معارك متعددة مع الراجبوتيين وبالذات في الفترة ما بين سنة ١٣٠٠ حتى سنة ١٣١١ وحقق فيها انتصارات رائعة على اعدائه ، وقاوموه بكل ما اوتوا من قوة ،

(١) تاريخ فرشته ، ص ١١٨ .

(٢) المصدر السابق .

لكنه اصر على دحرهم وهزيمتهم ، الامر الذى احدث معارك دموية بين الطرفين ، تكررت في اثناء حصار السلطان لكل حصن .

كان الراجبوتيون - على الرغم من اصرارهم على المحافظة على حريتهم ، ودرء كل محاولة تهدف النيل من استقلالهم متفرقى الكلمة ، لم يستطع واحد منهم توحيد صفوفهم في وجه العدو المشترك ، لذا حارب السلطان كل بلد من بلادهم على انفراد ، الامر الذى مكنه منهم ، وكان الراجبوتيون يلتمسون الامان في حصونهم المنيعة . وتبدأ المجاعة تعمل عملها بين الجند ، وتؤدي حتما الى ضعف مقاومتهم وتوقفها في النهاية .

وفي نفس الوقت ينتاب أهل البلدة التى بها القلعة الجزع والفرع ، فاما يفرون منها ، واما يبقون بها تحت رحمة العدو ، وفي هذه الحالة تضعف عزيمتهم ، ويستبد بهم اليأس ، ويضطر نفر منهم من اصحاب النفوس الضعيفة ان يخبر العدو عن ايسر السبل للنفاذ الى القلعة ، واذا استطاع العدو دخول القلعة ، وشدد ضرباته للمدافعين داخلها ، - وقد انهك طول الحصار وشدته قواهم ، خصوصا اذا نفذت المؤن والمعدات - استطاع المهاجمون ازاء هذه العوامل التغلب على المقاومة داخل القلعة ، والسيطرة عليها ، وربما فرض معاهدة استسلام على حاكم البلدة .

وثمة حقيقة اخرى لا يمكن تجاهلها عند مناقشتنا لاسباب الهزائم المتلاحقة التى حلت بالراجبوتيين على الرغم من شجاعتهم وبسالتهم ، وذلك ان الراجبات ظلوا يحافظون على تقاليدهم التى ورثوها منذ زمن قديم في الحرب ، واستمروا في استخدام الاساليب القديمة الموروثة عن الآباء والاجداد ، والاسلحة التى فات اوان استعمالها وعفا عليها الزمن ، وولت ايامها ، ولم يحاولوا الاستفادة من التقدم الحربى الذى بلغته بلدان وسط آسيا ، والاسلحة المتطورة التى استخدموها ، واتفقوا اساليب استعمالها ، فكان جيش دهلى يستخدم الاسلحة الحديثة وقتئذ ، ويطلع على فنون الحرب خصوصا عند المغول ، واستخدم الآلات الحربية المتطورة - خصوصا المنجنىقات - حتى اصبح لدى دهلى تكتيكات حربية رائعة ، اما الراجبات فكانوا يستخدمون الفيلة الضخمة ، وحكوماتهم تركز على مبادئ اقطاعية ، ويعهدون بالجندية في اوقات الحروب الى فئة يختارونها لهذا الغرض ، واذا نشبت الحرب ، واعتصموا في القلاع - كما ذكرنا - واحتاجوا الى تعزيزات من الجند ، فمن الصعب ادخال هذه التعزيزات في القلعة المحاصرة ، بل من العسير جدا اختيار العناصر الصالحة وهم محاضرون في القلعة .

يضاف الى ذلك ان موارد الثروة في بلاد الراجات كانت محدودة ، فبلادهم جبلية وعرة ، قاحلة ، انتاجها الزراعى محدود جدا يكاد يكفى احتياجاتهم . وهذه الحالة الاقتصادية المتدهورة اضعفت من شأن الراجات امام اعدائهم في سلطنة دهلى ذات الموارد الاقتصادية المزدهرة ، فمن ولاياتها البنجاب واده وكوجرات اعظم المناطق خصبا في بلاد الهند ، فهى توفر لدهلى الاموال الكثيرة ، والجند ، واذا اجتمع المال والرجال ، اصبحت عوامل النصر متاحة وممكنة الى حد كبير .

ولكن علينا ان نقرر حقيقة على جانب كبير من الاهمية ، ذلك ان الراجات كانوا لا يهابون الموت ، ويرونه شرفا في ارض المعركة ، ودليلا على رضا آلهتهم ونعمة كبرى ، وفي نفس الوقت كان الراجات يتقنون اساليب الفروسية ، لذا كان سقوط بلادهم في ايدى اعدائهم امرا صعبا وعسيرا ، ولا يتم الا بعد لاي وعناء ، وتضحيات جسيمة في الانفس والاموال .

على كل حال حارب الراجات حتى الموت ، وحينما يأسنوا من المعركة ، ووهنوا وضعفوا ، القوا نساءهم في النار حتى لا يقعن في ايدى العدو ، ومع ذلك فان سيادة دهلى على الامارات الراجبوتية لم تدم طويلا ، ذلك لان الراجات دأبوا على المطالبة باستقلالهم ، والتمسوا الاوقات المناسبة لذلك ووضعوا العراقيل في سبيل حكام سلطنة دهلى ونجحت بعض البلاد الراجبوتية في نيل استقلالها عن دهلى ، لذا فان سيطرة دهلى على بلاد الراجبوتانا لم تكن مستقرة ، ولا كاملة ، واستمر الصراع دون انقطاع بين الامارات الراجبوتية وسلطنة دهلى واستولى علاء الدين - كما رأينا - على رانثمبهور وسافانا وجالور ، البلدة تلو الاخرى دون ان يتحرك الراجبوتيون لمساعدة اخوانهم ، وتجلت الخلافات بينهم حينما هاجم علاء الدين سافانا ، ولم يتحرك راجا جالور لمساعدتها ونجدها ، على الرغم من ان سقوط سافانا يشكل خطرا عليه ، وعلى بلده التى تبعد خمسين ميلا عنها وفعلا دارت الدائرة على جالور ، وسقطت في ايدى الخلجيين بعد عامين .

ومن اسباب هزائم الراجبوتيين ان حصونهم تقع على قمم جبال عالية ، بحيث تستعصى على الغزاة لصعوبة الصعود اليها الامر الذى يضطرهم الى التجمع على سفح الجبل ، وفي هذه الحالة تكون المحاصيل والدواب في متناولهم ، فبينما يجد الجيش المحاصر ما يلزمه من الميرة

والعلوفة ، فان المدافعين القابعين في القلعة عليهم الاعتماد على ما في القلعة من مؤن وتنفيذ اذا طال الحصار .

اتجهت انظار السلطان علاء الدين بعد ذلك الى الدكن وكان هذا الاقليم الى جانب بعده عن العاصمة ، يحكمه عصبة من امراء الهند الاقوياء (١) .

عهد السلطان علاء الدين الى قائده كافور - وكان مملوكا حيشيا قديرا - بفتح الدكن ، فاخترق هو وجنده مالوه ثم الكجرات - اعظم اقاليم الهند التجارية واغناها واطيبها جوا ، ثم هاجم راي كران ، فلاذ بالفرار من بلده ، وهناك انضم يلغ خان ورجاله الى قوات كافور ، فساروا جميعا الى ملجا غريمهم ، وتم القبض عليه مع افراد أسرته ، وافرج عنه السلطان واعاده الى ولايته ، وزوج ابنته من ابنه . وبذلك ضمن هذا السلطان ولاء الامير الهندوكي (٢) .

القت انتصارات كافور الرعب في نفوس امراء الدكن ، وما يلي بلادهم جنوبا . ففتحت البلاد ابوابها للغزاة المسلمين . وفي سنة ١٣٠٩ استسلمت تلنجانا - قاعدة اقليم اودة - وافندى قومها انفسهم باموال طائلة وثروات كبيرة حملها الى دهلي الف بعير ، كادت تنوء بها ، عدا مئات من الفيلة ، والوف من رؤوس الخيل (٣) .

شجعت الانتصارات التي احرزها جيش دهلي والفنائم والثروات التي احرزها علاء الدين على المضي قدما في الفتح طلبا للمزيد من الاراضي والثروات . وعاد كافور على رأس جيشه الى دهلي سنة ١٣١٠ بعد ان استولى على اقليم مير في الجنوب الشرقي من الدكن ، ولم يرجع قائد الجيش الجسور من الدكن حتى تم له اخضاع الجنوب الهندي كله ، بل كان سلطان الخليجين يشمل شبه القارة الهندية كلها . وبالتحديد ترك علاء الدين مملكة تمتد من البنجاب الى البنغال ، ومن جبال الهمالايا الى تلال الوندهايا ، وهي الرقعة التي اصطلح على تسميتها الهندوستان (٤)

(١) تاريخ باراني ، ص ٢٧٣ .
Lal : Hist. of the Khaljis. p. 194.
(٢)
(٣) تاريخ باراني : ص ٣٧٥ .
Lane Poole : Medieval India. p. 101.
(٤)

وبينما تتعرض بلاد الهند لغزاة يهاجمونها من اجل الحصول على الذهب والفضة ، نرى ان السلطان علاء الدين لا يتطلع في غزواته في البلاد الهندية الى الثروة بقدر ما يتطلع الى تحقيق هدفه الرامى الى توحيد بلاد الهند تحت سلطانه فنراه يقضي السنوات الطوال في صحراء الثار ، القاحلة يحارب الراجبوتيين هناك ويقاسي جنده الشدائد في حربهم ، ولا ينال من وجنده من الفنائم ما يتناسب مع الجهد والمشقة في ارض الثار القاحلة (١).

وبسقوط جالور Jor دخلت بلدان شمال الهند بما في ذلك الثار في حوزة سلطان دهلى . بينما نفذت جيوشه الى الشمال الغربى من الهند حتى بلغت غزنه . وفي الشمال الشرقى من الهند امتد نفوذ دهلى الى بنيبال . وبالجمله اصبح السلطان علاء الدين بفضل قوة بأسه وسطوته سيد بلاد الهند وستان بلا منازع .

وأسند حكم الولايات الهندية التى خضعت لسيطرته الى ولاية محليين ممن يثق في طاعتهم وولائهم .

وأتى السلطان علاء الدين السيطرة على شمال الهند واتباعها بالسيطرة على جنوبها ، وأسند قيادة هذه العملية الى قائده المخلص ملك كافور الذى هاجم ممالك الجنوب ، وسقطت كلها في يده الواحدة تلو الاخرى ، تساقط اوراق الخريف .

وظلت هذه البلاد موالية لسلطان دهلى علاء الدين ، ولما توفى ، وولى قطب الدين مبارك شاه ، وقتل حاكم الكجرات - الب خان - تطلع اهل الكجرات الى استعادة استقلالهم عن دهلى ، واصلوا الانفصال ، وقتلوا قائد جيش دهلى كمال الدين جورج ولم تعد الكجرات تعترف بسيادة دهلى ، ولما علم نائب الملك بثورة الكجرات عهد الى عين الملك موليتانى - حاكم ديفاجيرى - بالمسير الى الكجرات ، لكنه علم في طريقه بوفاة نائب الملك ، فتوقف عن المسير الى الكجرات وعاد ادراجيه الى ديفاجيرى (٢) .

على أن السلطان قطب الدين لم يتفاض عن اقتطاع ولاية الكجرات

(١) تاريخ بارانى : ص ٣٨٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٨٨

عن دولته بل عول على استعادتها ، وأسند هذه المهمة الى ملك تغلق ، وأمره بالانضمام الى عين الملك ، والمسير الى الكجرات ، واعادتها الى الطاعة والولاء لدهلى . ولما بلغت الجيوش السلطانية الكجرات ، استبد الجزع والخوف بقائد الحركة الاستقلالية ، ففر من الكجرات هو وأنصاره ، وكان عين الملك قائدا محنكا وسياسيا قديرا ، كتب نداءات سرية الى ضباط جيش الحركة الانفصالية يطالبهم فيها بقتل قوادهم والخضوع والولاء لسلطان دهلى ، وذكرهم بأنه ليس من المعقول ان يتقابل المسلمان بسيفهما ، واذا لم يعد هؤلاء الى الولاء ، فمن اليسير جدا على قوات دهلى هزيمة الانفصاليين واسحقهم . ونجحت دعوة عين الملك ، فقد استجاب كبار الضباط لندائه ، واقنعوا الجند بالكف عن القتال حقنا للدماء ، ولما اصطف الفريقان للحرب ، انسحب الكثير من جند الكجرات ، وانضموا الى جانب القوات الامبراطورية الامر الذى اضعف من شأن الحركة الانفصالية ، ولم تعد لها سوى فئة قليلة حاربت بشدة وضراوة الفئة الكبيرة ، وهزم الانفصاليون شر هزيمة ، وفر من نجا منهم الى أماكن نائية في الهند (١) . وبذلك فشلت الكجرات في الانفصال عن دهلى ، وعادت الى الولاء والطاعة لسلطانها وبقيت تابعة لسلطنة دهلى .

وأسند السلطان ظفر خان ولاية الكجرات ، واستطاع هذا الوالى بفضل حنكته الادارية وحزمه وقوة بأسه أن يعيد الاستقرار والامن والطمأنينة الى الكجرات وحكم بالعدل بين الناس ، وعم البلاد الرخاء في عهده ، فالتف الناس حوله ، وأنساهم ذلك أيام ألْب خان (٢) .

على ان الكجرات لم تنعم طويلا بالامن والسلام ، ذلك لان المؤامرة التى دبرت لاغتيال السلطان في دكا غيرت سياسته ، وتحول الى حاكم مستبد سريع الشك في نوايا رجال دولته والمقربين اليه ، ومن ضحاياه ظفر خان - والى الكجرات ووالد زوجته - شك في اخلاصه ، كما شك في اخلاص غيره ، وكان لمقتل ظفر خان وقع سيء على أهل الكجرات ، ففقدوا ثقتهم بسلطان دهلى ، ونبذوه ، وحكم البلاد هشام الدين ، فجمع أقاربه وأنصاره ، وأسند اليهم وظائف الاقليم ، واعتمد عليهم في الشؤون الادارية في الكجرات ، واستاء الناس منه ، ورفعوا شكاواهم منه

(١) تاريخ فرشته ، ص ١٢٩ .

(٢) بارانى : تاريخ فيروز شلى ص ٢٩٢ .

الى السلطان ، فعزله واستبدله بوال اخر ، وتدهورت الكجرات ، وساء حكم دهلي فيها ، وتطلع اهلها الى الاستقلال ، وضعفت حكومة دهلي ، واصبحت في وضع لا تستطيع فيه ادارة ولاياتها وضبط امورها .

واستقلت الكجرات في نهاية الامر عن سلطنة دهلي ، وتبعثها الكثير من الولايات مثل ولاية ديفاجيري ، واستقل بها هاربال ديفا Harpal Deva ولم يتفاض قطب الدين عن موقف حاكم ديفاجيري الانفصالي عن دهلي ، بل سار بنفسه على رأس جيش كبير لاعادة البلدة الى حوزته ، وسار سنة ١٣١٨ تجاه دكا وأتاب عنه حاكما في دهلي ، وعول على اخضاع ديفاجيري ، وحمل امراء دكا وتلنجانا Telingana على أداء الجزية ، واقترب السلطان من ديفاجيري ، وفي طريقه اليها انضم اليه الكثير من المتطوعين ، فكثر جنده ، وعظم جمعه ، واشتد بأسه ، وخشي حاكم ديفاجيري الانفصالي من بأس السلطان وسطوته ، ففر مع وزرائه الى التلال القريبة ، ودخل قطب الدين ديفاجيري ، واستعاد سيطرة دهلي عليها دون ان تصادفه مقاومة ذات شأن يذكر ، وفر الجند الذين حشدتهم هاربال ديفا في ديفاجيري لحمايتها ، وخضعت البلدة تماما لدهلي ، ووقع هاربال ديفا في الاسر ، وعاقب السلطان المتمردين ، واعاد الهدوء والسكينة والامن الى البلدة ونظم امورها ، واقام فيها وحدات عسكرية لضمان ولائها الى الدولة ، وعين فيها واليا من قبله (١) .

ولى غياث الدين تغلق العرش ، وقد تفككت سلطنة دهلي ، واستقلت ولاياتها ، وضعف نفوذها حتى في البلدان التابعة لها ، فعول على استعادة ممتلكات دهلي ، وبدأ باقليم الدكن والاقاليم الشرقية ، وارسل حملة بقيادة ابنه الغ خان الى تلنجانا ، وتمكن من اعادتها الى حوزة دهلي ، ولم يكتف سلطان دهلي بذلك بل سار الى البنغال على رأس جيش كبير ، ولما بلغها رأى حاكمها ناصر الدين حفيد بغرا خان بن بلبن ان لا طاقة له بجيش دهلي ، فأعلن دخوله في طاعة سلطان دهلي . وبذلك عادت البنغال الى حوزة دهلي .

وشرع السلطان التغلق في مشروع خطير وهو غزو خراسان والعراقين ، وشجعه على هذا العمل الكبير حكومة المالك في مصر ، واعد

(١) باراقي : تاريخ فيروز شاهي ص ٣٩٥ .

لهذا الغرض جيشا كبيرا قوامه ٣٧٠ ألف مقاتل . وأبقى جيشه تحت السلاح عاما كاملا ولكن الممالك عدلوا عن مطلبهم ، بل تحالفوا مع أبى سعيد ميرزا - صاحب بلاد ما وراء النهر - وأطلقوا يده في بلاد الفرس والتركمان فعزل سلطان دهلى عن قراره (١) .

حرص السلطان التغلقى على توسيع رقعة دولته ، فأرسل جيشا الى ولايات الهملايا العليا ، ولكن جيشه تعرض لمصاعب شديدة ، بسبب البرد الشديد ، وقتل من جند دهلى كثيرون ، ويقال انه قصد من حملته غزو بلاد الصين للحصول على ثرواتها الطائلة . وعادت حملته خاسرة (٢) .

أدى فشل السلطان في مشروعاته الى ضياع هيئته بين الناس ، فانفصلت عن دهلى الكثير من ولاياتها وبذل السلطان جهودا مضيئة لاقرار الامور في الشمال ، ثم حاول إعادة الدكن الى حوزته ، وهذه الولاية استقلت عن دهلى وشجعت بلدان الجنوب على أن تحذو حذوها ، وفشل السلطان في إعادة الدكن الى حوزته ، واستقلت الكجرات كذلك وتوفى محمد تغلق سنة ١٣٥١ بعد أن استقلت معظم ولايات سلطنة دهلى ، ولم يعد لدهلى الا القليل من هذه البلاد (٣) .

ولم يستطع السلطان قيروز استعادة الولايات التى انفصلت عن دهلى الى حوزته . لذا أخذت دولته في التفكك والانحلال . وخلفه سلاطين ضعاف انصرفوا الى الصراعات الداخلية ، بينما تنفصل البلدان عن دهلى ، الامر الذى أدى الى تدهور سلطنة دهلى .

(١) تاريخ فرشته ص ١٢٨

(٢) المصدر السابق ص ١٢٨

(٣) المصدر السابق ص ١٢٩

٢ - مع المغول

قبل أن نتحدث عن الغزو المغولي لبلاد الهند يجدر بنا أن نتكلم عن الدولة الخوارزمية ، وعلاقتها بالمغول لما في ذلك من صلة بتطلع المغول لغزو بلاد الهند ، وتوجيه انظارهم اليها

أسس الدولة الخوارزمية توشتكين - أحد الأتراك في بلاط ملكشاه - وكان يشغل وظيفة الساقى ، وما زال يترقى في سلك الوظائف ، وكان حسن الطريقة كامل الأوصاف ، وقد أدب ابنه محمد ، وأحسن تأديبه ، لذا وقع اختيار أحد قادة بركياروق عليه ليكون حاكماً على إقليم خوارزم ولقبه خوارز مشاه سنة ٤٩٠ هـ ، وكان حاكماً عادلاً ، قصر أوقاته على معدلة ينشرها ، ومكرمة بفعلها ، وقرب أهل العلم والدين ، فازداد ذكره حسناً ومحله علواً ، ولما ملك السلطان سنجر السلجوقي خراسان ، أقر محمد خوارز مشاه على إقليم خوارزم وأعمالها ، فظهرت شجاعته وكفايته ، وعظم سنجر محله وقدره (١) .

لما توفي محمد بن توشتكين ولى ابنه أئسز فمد يداً للظلال الأمن وأفاض العدل . وقربه السلطان سنجر ، وعلم ابنه واستصحبه معه في أسفاره وحروبه ، فظهرت منه الكفاية والشهامة ، فزاده تقدماً وعلواً .

عول أئسز على توسيع رقعة دولته على حساب الدولة السلجوقية المتداعية وانتهاز فرصة تهديد الخطأ للسلاجقة ، لكن سنجر احبط محاولته ، وهزمه ، على أن أئسز استجمع قوته . وانتهاز فرصة سيطرة الخطأ على بلاد ما وراء النهر ، واستولى على خراسان ، وجلس على عرش سنجر ، واستولى على أمواله وجواهره سنة ٥٣٦ هـ / ١١٤١ م ولكن السلطان سنجر استطاع أن يسترد إقليم خراسان من أئسز سنة ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م ، وتعهد أئسز بالاعتراف بسيادة الدولة السلجوقية .

على أن الدولة الخوارزمية أخذت تزداد قوة ، بينما أخذت الدولة السلجوقية في الضعف والانحلال بعد وفاة سنجر ، ومدت الدولة الخوارزمية نفوذها على البلاد التابعة للسلاجقة ، واستطاع السلطان الخوارزمي تكش

(١) ابن الأثير الكامل حوادث ، سنة ٤٩٠ هـ .

أن يهزم ويقتل آخر السلاطين السلاجقة ، ويستولى على ملك السلاجقة في العراق ، واستولى على أصفهان والرى .

ولما توفي تكش ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م خلفه ابنه علاء الدين محمد خوارزمشاه فسار على سياسة أبيه الرامية الى توسيع حدود دولته ، فاستولى على معظم اقليم خراسان ، واستطاع أن يهزم الخطأ سنة ٦٠٦ هـ / ١١٠٩ م ، ويبسط سيطرته على بلاد ما وراء النهر . واستولى على اقليم كرمان ومكران ، والاقاليم الواقعة غرب نهر السند وعلى ممتلكات الغور في أفغانستان . وبذلك بلغت الدولة الخوارزمية أقصى اتساعها في عهد السلطان علاء الدين خوارزمشاه ، إذ امتدت من حدود العراق العربى غربا الى حدود الهند شرقا ، ومن شمال بحر قزوين وبحر آرال شمالا الى الخليج الفارسي والمحيط الهندي جنوبا (١) .

على أن الدولة الخوارزمية قد جاورت دولة المغول ولم يكن هناك بد من حدوث احتكاك بين الدولتين .

وكان العالم الاسلامى في ذلك الوقت قد مزقته الانقسامات ، ولم تعد فيه دولة قوية الا الدولة الخوارزمية ، وكان الخليفة العباسي الناصر يخشي بأس هذه الدولة ، لان خوارزمشاه كان يطمع في بغداد ، فسعى الى تدبير المؤمرات والدسائس للنيل منه ، بل تقاعس عن نصرته ، ولكن لا يمكن قبول ما أشيع في ذلك العصر من أن الخليفة العباسي الناصر لدين الله حرض المغول على غزو أعدائه الخوارزميين ، وكان من الطبيعى أن تكثر الشائعات في هذه الايام المضطربة ، وكان السلطان جلال الدين منكبرتى يتهم الخليفة العباسي بأنه يحرض عليه المغول دون أن يمتلك دليلا على اتهامه (٢) . والخليفة العباسي يعلم يقينا أن غزو الدولة الخوارزمية يؤدي بالضرورة الى تهديد الدولة العباسية المتداعية ، ذلك انها تقف سدا منيعا يحول بين المغول وبين العراق .

نشأ المغول في صحراء جوبى القاحلة ، وهم شعب اشبه بالترك في اللغة والمظهر العام ، وعاش هؤلاء القوم في بلادهم في شظف من العيش ، يعملون بالصيد والرعى في حياة كلها ترحال وتجوال ، وكثر بينهم النزاع

(١) حافظ حمدى : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٢٨ .

(٢) بارقوله : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ص ١٦٠ .

والشقاق ، وتكررت اغاراتهم على المناطق الخصبة المجاورة لذا شيد الصينيون سور الصين العظيم درعا لشركهم وحماية لبلادهم من شرهم المستطير (١) .

ظلت هذه القبائل في منازعاتها وفرقتها حتى ظهر منهم شباب في ريعان شبابه الغض هو تيموجين ، واستطاع أن يوحد هذه القبائل تحت لوائه ، وهذا الشاب نشأ يتيما ، وكان ثبوه زعيما لاحدى قبائل المغول ، ولما توفى انقض أفراد القبيلة من حول تيموجين واستصغروا شأنه واستضعفوه ، وعاش هذا الفتى مع أسرته عيشة بؤس وحرمان وشقاء(٢) ، وكان عليه أن يتلمس سبل العيش ، وقاسى الكثير من النكبات وهذه المحن اصقلته واخرجت منه رجلا صلبا شجاعا (٣) .

ولما بلغ تيموجين مبلغ الرجال ، التف افراد قبيلته حوله لما اظهره من قوة البأس ومضاء العزيمة ، ولم يكتف بذلك بل ظل يناضل حتى تمكن من السيطرة على قبائل المغول ، وقضى على كل الحركات التى تهدف الى عرقلة جهوده . ولم يأت عام ٦٠٢ هـ / ١٢٠٦ م حتى كان قد اخضع لسلطانه كل بدو صحراء جوبى ، واتخذ من حصن قراقورم مقرا له ووضع نظاما للقبائل الخاضعة له يسمى الياسا وهو دستور اجتماعى وحربى صارم اساسه الطاعة العمياء للسلطان ، واخبر تيموجين الرؤساء بأن السماء اضيفت عليه اسما جديدا هو جنكيز اى امبراطور البشر واعظم حكام الارض (٤) .

تطلع جنكيز خان - بعد أن وحد القبائل المغولية تحت سيطرته - الى توسيع رقعة دولته ، وكان المجال الحيوى له بلاد الصين التى تقع جنوب مملكته - حيث الخصب والرخاء والازدهار - فشن عدة حملات على امبراطورية كين واستولى على مساحات شاسعة من بلاد الصين ، وسيطر على بكين سنة ٦١٢ هـ / ١٢١٥ م (٥) .

Hart : Mongol Campaigns. p. 705.

(١)

Grenard : Gengis-Khan. p. 8.

(٢)

IBID. pp. 7-8.

(٣)

IBID. pp. 65-66.

(٤)

Douglas : The story of China. p. 387.

(٥)

أصبحت امبراطورية المغول القوية تجاور الدولة الخوارزمية العظيمة ، دولة الاسلام القوية البأس ، ولم يكن هناك بد من حدوث احتكاك بين الدولتين العظيمتين ، ولابد ان تنقض احدهما على الاخرى ، ووجد السبب لاشتعال الحرب ، فقد وفد جماعة من التجار من رعايا جنكيز خان الى اترار في الدولة الخوارزمية ، فارتاب فيهم ينال خان - حاكم اترار - وأرسل الى السلطان محمد خوارزمشاه يخبره بالامر ، فأمره بالقبض عليهم واعدامهم على اعتبار انهم جواسيس بعث بهم جنكيز خان ، وظاهر امرهم التجارة ، وهؤلاء التجار كان مركزهم خجند وتسير منها قوافلهم الى منغوليا تحمل الى خان المغول الهدايا من نسيج الكتان والديباغ ، وكان يشجعهم على ممارسة نشاطهم التجارى (١) .

ساءت العلاقات بين الدولتين عقب قتل التجار ، وشعر السلطان خوارزمشاه بمغبة قتل التجار ، فأرسل الى دولة المغول جواسيس لاستطلاع قوتهم ، ومعرفة نواياهم فعادوا اليه ، وأخبروه بكثرة عددهم ، وانهم من أصبر خلق الله على القتال لا يعرفون هزيمة ، وانهم يعملون ما يحتاجون اليه من سلاح بأيديهم .

وعلى الرغم من ذلك فقد تشدد علاء الدين محمد مع جنكيز خان ولم يقبل شروطه في تجنب الحرب ، فقد أرسل جنكيز خان الى خوارزمشاه رسلا يطلب منه تسليم حاكم اترار ، وجاء في رسالة خاقان المغول : فان كنت تزعم ان الذى ارتكبه ينال خان - حاكم اترار - كان من غير امر صدر منك ، فسلم ينال خان الى لاجازيه على ما فعل حقنا للدماء ، لكن السلطان الخوارزمى اعتقد انه لو لطف جنكيز خان ، في الجواب ، لم يزد ذلك الا طمعا فيه . فتماسك وتجلد بل أمر بقتل الرسل سنة ٦١٥ هـ / ١٢١٨ م ويقول الجوينى : « ان دمهم أهرق ، ولكن كل قطرة منه قد كفر عنها بسيل جارف من الدماء ، وان رؤوسهم قد سقطت ، ولكن كل شعرة منها ، قد كلف مئات الالوف من الناس حياتهم » ، يقول النسوى (٢) : « فيالها من قتلة هدرت دماء الاسلام ، واجرت بكل نقطة سيلا من الدم الحرام ، فاستوفى عن الغيظ فيضا ، وأخلى بكل شخص أرضا » .

(١) D'ohsson : Histoire Des Mongols. tom. i. p. 204.

(٢) سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ٨٨ .

ونستطيع أن نقول أن الدولة الخوارزمية كانت ستعرض لغزو المغول سواء حدثت مذبحة اترار أو لم تحدث ، ذلك أن دولة المغول قامت على أساس التوسع والغزو وضم الاراضي اليها بالقوة ، ونعرف من تاريخ المغول أنهم استمروا في ضم البلاد واحتلالها طمعا في ثرواتها وخيراتها ، ولكن مذبحة اترار كانت بمثابة الشرارة التي فجرت الموقف بين الدولتين ، وعجلت بغزو المغول للدولة الخوارزمية .

اتسمت غارات المغول على الدولة الخوارزمية بالوحشية والهمجية ، وتدمير المدن والقرى ، وهذا يتضح من كتابات المعاصرين ، ويقول ابن الاثير (١) : « لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها ، كارها لذكرها . . وهؤلاء لم يبقوا على أحد ، بل قتلوا النساء والرجال والاطفال ، وشقوا بطون الحوامل ، وقتلوا الاجنة . . وكان مظهر المغول يدعو الى الفرع والجزع ، ويلقى الرعب في النفوس ، كانوا قساة مع اعدائهم ، لم يبقوا على أحد من قاهريهم ، واشاعوا الخراب والدمار في كل بلد ملكوه ، وكانوا يستزلون اسراهم ، بحيث يجعلوهم في طليعة الجيوش التي يحاربون بها ، واذا بدأت المعركة يقدفون بهم في المقدمة ، ويتخذونهم دروعا لهم ، حتى تحولت المدن العامرة ، والقرى والمزارع الخصبة الى صحارى (٢) ، وقد يقدفونهم في الفجوات التي يحدثونها في اسوار المدينة ليمسكوا الخنادق بأجسامهم ، واذا سلم أحد منهم يتخلصون منه بالقتل ، حتى يفسحوا المجال للاسرى الجدد . على كل حال اكتسح هذا الزلزال المدمر ، وتلك القوى الجامحة العالم الاسلامي واتوا على الاخضر واليابس ، واهلكوا الحرث والنسل .

أعد جنكيزخان جيوشه لمهاجمة الدولة الخوارزمية ، وقسم جنده الى أربع جيوش ، الاول بقيادة ابنه حفتاي وأوكتاي ، ومهمته فتح مدينة اترار ، والجيش الثاني سبند قيادته الى ابنه جوجي ، ووجهته البلاد الواقعة على ساحل نهر جيغون (٣) والثالث مهمته فتح مدينتي بناكت وخجند على نهر سيجون . اما الجيش الرابع فيتكون من أغلب قوات المغول ، ويقوده جنكيزخان ومعه ابنه تولوي ، ووجهته وسط اقليم ما وراء النهر (٤) .

(١) الكامل في التاريخ ، حوادث سنة ٦١٧ هـ .

(٢) Sykes : A Hist of Persia, p. 56 .

(٣) Harold Lamb the Grusades. p. 337.

(٤) D'ohsson : Histoire Des Mongols. tomi. pp. 217-219.

سارع المغول الى مدينة اترار ، وشددوا هجماتهم عليها ، وقد اعتصم ينال خان - حاكمها - بقلعتها ، ودافع بكل بسالة بل انهك المغول واجهدهم شهرا كاملا بضربات القوية لهم ، حتى فقد معظم رجاله ، ونفذت المؤن والاقوات وشدد المغول حصارهم للقلعة ، فألقى بنفسه الى سقف أحد المنازل ، وظل يقاتل المغول بكل ما أوتى من قوة حتى قبض عليه المغول ، وسيق الى جنكيزخان - وكان أمام سمرقند - فأمر بسبك الفضة وقلبها في اذنيه وعينيه ، فقتل تعذبا . وبذلك انتقم جنكيزخان من قاتل التجار ، وسقطت مدينة اترار - مفتاح بلاد ما وراء النهر سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م بعد ان قتل المغول سكانها ودمروها تدميرا (١) .

سار الجيش الثاني بقيادة جوجي الى مدينة جندعلى نهر سيجون بعد ان استولى في طريقه على المدن والحصون على ساحل سيجون . ولما بلغ المغول جند ، رأى قائدها أن لا قبل له بالمغول ، فغادر البلدة تاركا أهلها يدافعون عن مدينتهم ، وأغلق أهلها ابواب المدينة ، وشدد المغول هجماتهم ، ورموها بالمنجنيقات حتى اقتحموها . وبذلك سقطت جند في ايدي المغول (٢) .

اتجه الجيش الثالث الى منطقة فرغانة والوادي الاعلى من نهر سيجون ، وحاصر هذا الجيش بناكت ، ولم يجد المغول مقاومة من سكان هذه المدينة ، فاستولوا عليها بسهولة ويسر ، وعلى الرغم من اعطائهم الامان لأهلها ، الا انهم قتلوا منهم الكثيرين ولم يبقوا الا على من التمسوا فيهم المقدرة على خدمتهم ، ثم سار المغول الى خجند - وهي مدينة جميلة اشتهرت بحدائقها الفناء وانتعاش التجارة فيها ، وشجاعة أهلها وقوة بأسهم - وقد قاوم حاكمها الشجاع تيمور ملك المغول بكل بسالة ، حتى ضعفت قوته ، فامتطى جواده ، واتجه الى خوارزم حيث كان يربط السلطان (٣) . ودخلت خجند في حوزة المغول .

سارت جيوش المغول بقيادة جنكيزخان الى بخارى ودارت الحرب بين جند المغول ، والجند الخوارزمي ثلاثة ايام هزم فيها الخوارزميون ، وفر الجند الخوارزمي فضعف أهلها ووهنت عزيمتهم ، واعتصم بعضهم في

(١) النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ٩١ .

(٢) D'ohsson : Histoire Des Mongols. 1. p. 77.

(٣) Howorth : Hist. of the Mongols. 1. p. 77.

القلعة ، وشدد المغول هجماتهم عليها ثلاثة ايام ، وقاتل من فيها حتى قتلوا جميعا ، وتسلم جنكيزخان القلعة ، وامر اعيان المدينة وتجارها بالاجتماع معه وجردهم جميعا من اموالهم ، وطردهم من المدينة ، وقتلوا كل من صادفوه في بخارى من اهلها بعد ذلك ، فنهبوا البلدة وكان يوما عظيما من كثرة البكاء من النساء والرجال والولدان ، وتفرقوا ايدي سبا ومزقوا شر ممزق ، واحرقت المساجد والمدارس (١) ، وبعد ان استولى المغول على بخارى ساروا الى سمرقند ، وامامهم الاسرى مشاة على اقبح صورة ، وكل من عجز عن المشي قتل ، وحاصروا سمرقند ، وبها الكثير من الجند الخوارزمي ، واعد اهل سمرقند العدة لمقاومة المغول ، ودار قتال شديد بين الفريقين ، هلك فيه اكثر الجند الخوارزمي ، الامر الذي اضعف مقاومة اهل سمرقند ، وطلبوا الامان ، واجابهم المغول الى طلبهم ، وفتحوا ابواب البلدة ، وطلبوا من اهل البلدة تسليم اسلحتهم وامتععتهم ودوابهم ، ففعلوا تجنباً للقتل ، ولكن المغول كعادتهم وحبهم لسفك الدماء اعملوا السيف في رقاب الاهلين ، حتى افنؤهم عن آخرهم ، ودخلوا البلد ونهبوا ما فيه ، واحرقوا الجامع ، وبذلك دخلت سمرقند في حوزة المغول سنة ٦١٧هـ / ١٢٢٠ م (٢) .

وبعد ان امتلك المغول بخارى وسمرقند ، اعد جنكيزخان جيشا يتألف من عشرين الف مقاتل ، وامر قائده بالتوجه الى خوارزمشاه والبحث عنه أينما وجد «ولو تعلق بالسما حتى تدركوه وتأخذوه» فسارت جيوش المغول تتبع خوارزمشاه الذي اخذ يضرب في الارض ، وينتقل من بلد الى بلد ، وجند المغول تطارده ، وانتهى به المطاف الى الاستنداد - وهي من امنغ النواحي في اقليم مازندران - وباغته المغول فلجأ الى احدي جزر بحر قزوين (٣) وقد انتابه اليأس من الحياة ، ومرض ، وكان يقول : « لم يبق لنا مما ملكناه من اقاليم الارض قدر ذراعين نحفر فنقبر » ، فما الدنيا لساكنها بدار ، ولا ركونه اليها سوى انخداع واغترار . واقام بالجزيرة في عزلة تامة يعاني المرض وكان اهل مازندران يقدمون اليه كل ما يشتهي ، وقبل وفاته سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م اوصي بالسلطنة من بعده لابنه جلال الدين (٤) .

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، حوادث سنة ٦١٦ هـ .

(٢) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٤٠٨ .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، حوادث سنة ٦١٧ هـ .

(٤) النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

وولى جلال الدين منكبرتي السلطنة بعد ان سيطر المغول على بلاد ما وراء النهر - اهم اجزاء دولته المتداعية وامتلكوا اقليم مازندران رغم حصانته ومناعته ، ثم اتجهوا الى الري ، وفي الطريق التقوا بالملكة ترکان خاتون - والددة السلطان علاء الدين - وقد غادرت خوارزم على اثر تهديد المغول ، ولم تر فيه دار قرار واستصحبت ما امكنها استصحابه من حرم السلطان وصغار اولاده ونفائس خزائنه ، وقبض المغول عليها ، واستولوا على ما معها من ثروات هائلة . وهكذا قضت الملكة ايامها الاخيرة في اسر المغول ، وجدير بالذكر ان ترکان خاتون كانت ذامهابة وراى ، تنظر في المظالم ، وتحكم فيها بالعدل ، وتنصف المظلوم من الظالم ، ولها اصلاحات كثيرة ، وكان لها من كتاب الانشاء سبعة من مشاهير الكتاب (١) .

باغت المغول الري على حين غفلة من اهلها ، وملكوها ونهبوها ، واسترقوا نساءها ، وقتلوا اطفالها ، ثم غادروها في طلب خوارزمشاه ، وعاثوا في البلاد التى مروا بها نهباً وفساداً ، واقتربوا من همذان ، فقدم اهلها للمغول الاموال والهدايا حتى يكفوا عن قتلهم ، وسيطر المغول على هذه البلدة ، ثم زحفوا الى قزوین ، وامتلكوها عنوة وقهراً (٢) . وبذلك سيطر المغول على بلاد العراق العجمى .

اثار المغول الرعب في بلدان الدولة الخوارزمية حتى ان اقتربهم من مدينة او قرية ، يثير الفزع في النفوس ، فيهجرون بلدانهم ، او يقدمون فروض الولاء والطاعة لاعدائهم . وبذلك استسلمت البلاد الاسلامية للمغول في سهولة ويسر ، الا ان استسلام الاهلين لم ينجمهم من بطش المغول وويلاتهم ، وظل المغول يواصلون تقدمهم حتى بلغوا تبريز - عاصمة اذربيجان - ويحكمها اوزبك بن البهلوان ، وهو شيخ بلغ من العمر اربعمائة ، يقضي وقته في الشراب ، ولا يكاد يفيق ، ولما اقترب المغول من بلاده ، ارسل اليهم المال والهدايا والثياب والدواب وصالحهم ثم اتجهوا الى ساحل البحر حيث المراعى الكثيرة اللازمة لدوابهم ، وواصلوا سيرهم حتى بلغوا موقان ، ودخلوا في معارك حامية مع اهالى بلاد الكرج ، وهزموهم ، وامتلكوا مراغة سنة ٦١٧ هـ . وبذلك سيطروا على اذربيجان وبلاد الكرج .

(١) النسوى : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ٩٩ .

(٢) D'ohsson : Histoire Des Mongols. tom. i. p. 243.

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، حوادث سنة ٦١٧ هـ .

شرع جنكيزخان بعد ان امتلك بلاد ما وراء النهر وبلاد العراق العجمى واذربيجان الى السيطرة على خراسان وخوارزم حتى يتم له السيطرة على بلاد الدولة الخوارزمية قاطبة ، فأعد جيشين ، الاول عبر جيحون وقصد مدينة بلخ ، وطلب اهلها الامان فامنهم المغول سنة ٦١٧ هـ ، ولم يتعرض المغول لهم بالقتل والنهب وادخلوا البلدة في حوزتهم ، وواصلوا تقدمهم في بلاد خراسان ، فسقطت البلاد في ايديهم ، البلدة تلو الاخرى (١) ثم حاصروا مرو ، وشددوا عليها الحصار حتى استسلمت وامعنوا في قتل اهلها ، ونهبوا البلدة ، وضموا اليهم ارباب الحرف والصناعات من سكان مرو ، ويقال انهم اجهزوا على اهل البلدة جميعهم حتى بلغ عدد القتلى سبعمائة قتيل ، ثم ساروا الى نيسايور ، فامتلكوها بعد حصار دام خمسة ايام ، وارتكبوا مع اهلها من الفظائع ما ارتكبه مع غيرهم ، واقاموا في البلدة خمسة عشر يوما ينهبون ويدمرون ، وواصلوا سيرهم حتى بلغوا طوس ، وامتلكوها ثم ساروا الى هراة ، وبسطوا سيطرتهم عليها ، ومنها اتجهوا الى غزنة ، فالتقوا بالسلطان جلال الدين منكبرتى ، ودارت معركة انتصر فيها خوارزمشاه على اعدائه (٢) .

اما الجيش المغولى الذى اتجه الى خوارزم ، فقد لقي مقاومة باسلة من اهلها ، ودارت بين الفريقين معارك ضارية ، وصمد اهل خوارزم للحصار الذى دام خمسة اشهر ، وقتل من الفريقين خلق كثير ، وبلغ الامر بالمغول ان ارسلوا الى جنكيزخان يطلبون منه النجدة وامدهم بجيش كبير ، وتمكنوا من الاستيلاء على خوارزم بعد لاي وعناء ، وبعد ان امتلك المغول خوارزم بعد هذا الجهد الشاق والتضحيات الكثيرة قتلوا كل من فيه ، ونهبوا كل ما فيه ، ولم يكتفوا بذلك ، بل فتحوا ماء جيحون على خوارزم ففرقت البلد ، وتهدمت الابنية ، ولم يسلم من البلدة ثحد ، فمن اختفى من النار اغرقه الماء ، ومن سلم من الماء قتله الهدم ، فأصبح البلد خرابا يبابا ، كأن لم يكن بالامس (٣) .

ولى السلطان جلال الدين منكبرتى - كما رأينا - في وقت حرج ، اذ

(١) Howorth : Hist of the Mongols. p. 93.

(٢) D'ohsson : Histoire des Mongols. 1. p. 325.

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، حوادث سنة ٦١٧ هـ .

استولى المغول على معظم المملكة ، ونهبت خزائنها ، ومزق جيشها ، وكان جلال الدين شجاعا مقداما ، اعتزم استرداد ملكه السليب ، وطرد الغزاة المعتدين عن بلاده ، واستطاع جمع شمل جنده المبعثرين في البلدان الخوارزمية ، واقام في غزنة بعد أن استردها من المغول ، ونظم جيشا قوامه ستين ألف مقاتل ، وقد ازعج ذلك جنكيز خان ، فعول على التخلص من خصمه ، وأرسل جيشا الى غزنة ، التقى بالجيش الخوارزمي في معركة حامية الوطيس ، انزل الله فيها نصره على المسلمين ، وانهزم المغول شر هزيمة ، وقتل المسلمون منهم كثيرين (١) . وكان لهذا النصر أهمية كبيرة في البلاد الإسلامية التي فرقها هزائم المغول المتكررة ، وعاش أهلها في يأس وقنوط وتمزق فارتفعت الروح المعنوية عند المسلمين ، وتيقظوا وثاروا على المغول ، وقتل أهل هراة واليهم المغولي (٢) .

سار جلال الدين على سياسته الرامية الى طرد المغول من بلاده ، وأرسل الى جنكيز خان يتوعده ويهدده ويقول « في أي موضع تريد يكون الحرب حتى تأتي اليه » فلم يتفاض جنكيز خان عن هذا التهديد ، وشن الحرب من جديد على جلال الدين الذي أصبح يشكل خطرا على مملكته المترامية الاطراف ، ولكن السلطان الخوارزمي انتصر مرة أخرى على جيش جنكيز خان ، وقتل الكثير من المغول ، وغنم الخوارزميون ما معهم واسترد للمسلمين اسراهم من العدو ، لكن الخوارزميين انشغلوا بجمع الغنائم ، وكانت تفوق كل وصف ، وتنازع جند السلطان حول المغائم نزاعا أدى الى انقسام خطير في الجيش وعجز السلطان عن تداركه ، وفارق فريق من الجيش الخوارزمي المعركة بقيادة بغراق الى بلاد الهند ، وحاول جلال الدين عبثا ان يشن هذا الرجل من عزمه ، وأوضح له خطورة عمله هذا على الاسلام والمسلمين ، والح عليه في ترك الخلاف والشقاق بل بكى بين يديه (٣) . لذلك ضعف أمر جلال الدين بمفارقة معظم جيشه له ، ونهض اليه عدو الله بجيوشه ، ودارت المعركة بين الجمعيتين على حافة نهر السند ، وكادت ان تدور الدائرة على المغول ، لولا ان نصب جنكيز خان كمينا أدى الى قتل كثير من الخوارزميين ، وحلت الهزيمة بالمسلمين ، وكان الرجل منهم يأتي النهر فيهوى بنفسه في تياره ،

D'ohsson : Histoire Des Mongols. tom. i. p. 267. (١)

IBID P. 268. (٢)

(٣) النعماني : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ١٥٥ وما بعدها .

وهو يعلم انه لابد غريق « وان ليس له الى الخلاص طريق » واسبر ولد جلال الدين ، وكان غرا في الثامنة من عمره وقتل بين يدي غريمه جنكيزخان ولما عاد جلال الدين الى حافة السند كسيرا ، راي والدته وام ولده وجماعة من حرمه يصحن بأعلى صوتهن : بالله عليك اقتلنا وخلصنا من الاسر ، فأمر بهن ففرقن ، « وهذه من عجائب البلايا ونوادر المصائب » (١) . وعبر جلال الدين نهر السند مع أربعة آلاف من رجاله متجهين الى الهند « حفاة عراة كأنهم اهل النشور ، حشروا فبعثوا من القبور » وقد اعادت الهزيمة التي لحقت بالخوارزميين الى المغول هيبتهم ، واستردوا قوتهم ، وامتلكوا غزنة التي كانت خالية من الجند ، وقتلوا اهلها ونهبوا اموالهم ، واسروا النساء ودمروا البلدة تدميرا ، حتى اصبحت غزنة خرابا دمارا (٢) .

اعتزم جلال الدين استرداد قوته في بلاد الهند ، واستعان بسلطان دهلي . لكن التمش توجس خيفة من جلال الدين ، وقضي في الهند ثلاث سنوات ، واشتبك مع سلطان دهلي في عدة معارك وخشي قباجة - حاكم السند - من اقامة الخوارزميين في ولايته ، لانها قد تؤدي الى تعقب المغول لهم ، وما ينجم عن ذلك من خطر داهم على بلاده . ولكن جلال الدين اوقع بهم الهزيمة ولما علم جلال الدين ان المغول يعتزمون القدوم الى الهند، والنيل منه سار الى دهلي ، وسأل سلطانها - التمش - ان يعطى جنده حق الاقامة في دهلي . لكن السلطان المملوكي اعتذر اليه بحجة ان حرارة الجو في دهلي لا تناسب الخوارزميين ، ذلك ان سلطان دهلي خشي ان ينضم جند الترك في دولته الى سلطان الخوارزميين جلال الدين منكبرتي . وارسل اليه يراوغه ويوادعه ويقول : ليس بخفي ما وراءك من عدو الدين ، وانت اليوم سلطان المسلمين وابن سلطانهم ، ولست استحل ان اكون عليك عوناً للزمان ، وعدة للحدثان ، ولا يليق بمثلي ان يجرد السيف في وجه مثلك الا اذا اضطره اليه دفاع أو سامة اليه تحرز واقناع . وان رأيت زوجتك يابنتي لتحتكم الثقة (٣) .

وعلم السلطان جلال الدين ان التمش - سلطان دهلي - وسائر ملوك الهند وراجاتها واصحاب ولاياتها قد تأمروا على طرده من ديارهم . ولم

(١) النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ١٥٨ وما بعدها .

(٢) المصدر السابق .

(٣) النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ١٦٨ .

يتغاضي جلال الدين عن موقف سلطان دهلي العدائي منه، فاشتبك مع قواته بالقرب من دهلي، ثم انسحب الى لاهور، وكثر جمع جلال الدين بما وقد عليه من الجند التابعين لآخيه غياث الدين - حاكم العراق - كذلك انضمت اليه قبائل الكهكزية الهندية - وكانوا ناعمين على قباجة - فكثر جمعه واشتد بأسه، وعظم أمره، وتمكن من انتزاع بعض البلدان من والى السند (١) .

لم يكن جلال الدين يهدف من التجائه الى الهند، الاقامة فيها، وإنما كان يهدف الى تجنب الاشتباك مع المغول حتى يستعيد قوته، ويعود الى بلاده وقد واثته الفرصة للانتقام من المغول، وشن الحرب ضدهم، واستعادة ملكه السليب حين توفي جنكيزخان - قاهر الخوارزميين - وأعقبت وفاته انسحاب القوات المغولية الرئيسية التي تحتل اقاليم الدولة الخوارزمية الى مواطنها الاصلية، فعبر جلال الدين نهر السند سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥ م، وقصد ايران، واشتبك مع المغول في عدة معارك (٢) .

عادت معظم بلدان الدولة الخوارزمية الى حوزة السلطان جلال الدين منكبرتي، ولجأ اليه حكام المدن والبلاد الخوارزمية يعلنون ولاءهم وبهجتههم بالتخلص من حكم المغول وأبقى بعضهم على ما بيده، وعزل بعضهم « وأفرجت أيام السلطان عن الناس الكرب، وأطفأت من نيران الفتن ما التهب، وتفرقت العمال والوزراء في الاطراف بتواقيع السلطان فضبطوها (٣) .

وبذلك استرد هذا السلطان الشجاع ملكه وسلطانه على اقاليم خوارزم وغزنة وكرمان وفارس وخراسان ومازندران . على ان بلاد ما وراء النهر بقيت في ايدي المغول .

خلف اجتاي Ogtai جنكيزخان، وعول على استرداد البلاد التي آلت الى جلال الدين، وسير جيشا كبيرا الى الري فانتزعها، واستولى على همدان سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م وطارد المغول السلطان جلال الدين، وتعقبوه في موقان وتبريز وفي اذربيجان، واتجه الى آمد،

(١) النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ١٦٨ - ١٦٩ .
D'ohsson : Histoire Des Mongols. tom. iii. p. 11.
IBID
(٢)
(٣)

فهزمه المغول هناك ، وشردوا رجاله ، وقتل المغول كل من تتبعه في قراره ، وظل السلطان يتنقل من بلد الى بلد ، والمغول تلاحقه أينما سار واتجه ، حتى وصل الى جبال كردستان ، وقد شك فيه بعض الاكراد وأخذوه وسلبوه كعادتهم بسائر من ظفروا به ، فحين هموا بقتله ، قال لكبيرهم سرا : « انى انا السلطان فلا تستعجل في امرى ، ولك الخيار في احضارى عند الملك المظفر شهاب الدين ، فيفنيك ، أو ايصالى الى بعض بلادى فتصير ملكا . فرغب الرجل في ايصاله الى بلاده ، وتركه عند امراته ومضى بنفسه الى الجبل لاحضار خيله ولكن هاجم المنزل رجل من الاكراد ، وقتله بعد أن تعرف عليه ، ثارا لمقتل اخ له على يديه سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م » (١) .

وهكذا كان مصير هذا السلطان الشجاع ، وبوفاته زالت الدولة الخوارزمية .

تتابعت انتصارات المغول وفتوحاتهم ، واستولوا على اذربيجان وبلاد اران وغالبية مدن جورجيا وارمينية الكبرى ، وزحفوا الى شمال العراق ، وهددوا اقاليمه الشمالية ، واشتبكوا عدة مرات مع جيش الخلافة العباسية لاختبار قوتها .

وبعد أن هز جنكيزخان بفتوحاته اركان الدول مرض سنة ٦٢٤ هـ / ١٢٢٧ م وشعر بدنو أجله ، فاستدعى اولاده ، وأوصاهم بأن يخلفه ابنه أكتاي لمزية رأيه المتين وعقله الرزين ، وأوصاهم بقوله : « اعلموا يا اولادى الجياد أنه قد قرب سفرى الى دار الآخرة ودنا أجلى ، وأنا بقوة الآله والتأييد السماوى استخلفت مملكة عريضة . . فوصيت اليكم انكم على رأى واحد حتى تعيشوا في نعمة وعز ودلال » (٢) .

لما توفى جنكيزخان شكل ابنائه وأفراد أسرته مجمعا يسمى قور يلتاي ، وأجمعوا على مبايعة أكتاي خلفا لآبيه حسب الوصية ، ولقبوه قاآن أى ملك أو سلطان . وفي سنة ٦٤٣ هـ / ١٢٤٦ م توفى هذا السلطان وخطله ابنه كيوك ، فقسم المملكة بين اولاده واخوته ، واقطع

(١) النسوى : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ٣٨١ .

(٢) ابن البري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٤٢٨ .

البلاد الغربية وتحصيل الاموال لهولاكو ، وولى ارفعون اغا على هندوستان وخراسان ومازندران والعراق وفارس وكردستان والموصل والشام وفي عهد هذا السلطان نجت بلاد الهند من شر المغول .

عهد منكوقان - خاقان المغول في قراقورم - لاخيه هولاكو بالتوجه الى العراق والشام ومصر وبلاد الروم والارمن ، والسيطرة عليها ، وأوصاه بالمحافظة على تقاليد جنكيزخان وقوانينه في الكليات والجزئيات .

زحف هولاكو بجيشه الى بغداد ، وقضى في طريقه على طائفة الاسماعلية سنة ٦٥٤ هـ / ١٢٥٢ م ، وهاجم بغداد وكان الخليفة العباسي المستعصم بالله رجلا لين الجانب ضعيف الوطأة سهل العريكة قليل الخبرة ، واقتحم المغول حاضرة الاسلام الكبرى ، ودمروا وخربوا المساجد والقصور بعد أن سلبوا ما بها من تحف نادرة ، وأباحوا القتل وسفك الدماء أربعين يوما ، واندلعت في بغداد السنة النيران في كل جانب واتت على الاخضر واليابس ، ودمرت بغداد وتخربت . وبسقوط بغداد في أيدي المغول سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٤ م زالت الدولة العباسية ، وضعف أمر المسلمين ، وقصد أمراء المسلمين هولاكو ، وقدموا له فروض الولاء والطاعة حتى لا يتعرضوا لآعمال المغول التخريبية .

وتعرضت بلاد الهند لتهديد المغول بعد سقوط بغداد فقد سمعوا عن ثروتها ، وأعد بلبن العدة لصد الأعداء عن بلاده ، وبقي في دهلي لا يفادرها ، وحصن دهلي حتى لا تتعرض لما تعرضت له بغداد من ويلات وشور ، وأعاد بناء القلاع التي دمرت على الحدود بسبب غزوات المغول السابقة ، وأقام تحصينات جديدة مزودة بالجند والسلاح ، كما زود جيشه بالأسلحة والمعدات وأسند القيادات العسكرية الى رجال أكفاء ، وعين ابنه الشجاع محمد - حاكما على الملتان - وكان لخطته الدفاعية أثرها الكبير في درء خطر المغول عن بلاد الهند (١) .

على أن العلاقات السياسية عادت وتحسنت بين الدولتين المغولية والمملوكية في الهند ، وأرسل هولاكو سفارة الى دهلي محملة بالهدايا ، واتفق الطرفان على احترام السيادة الإقليمية لكل منهما وانسحب المغول

Munshi : The Struggle For Empire. p. 193.

(١)

من الاراضي الهندية التي كانوا قد احتلوها (١) .

تطلع المغول في فارس الى السيطرة على بلاد الهند للحصول على ما فيها من ثروات هائلة ، وتقدم عبد الله - حفيد هولاكو - خان فارس - بجيش قوامه ١٥٠ ألف مقاتل الى بلاد الهند ، وحينما علم جلال الدين خلجي - سلطان دهلي - بذلك اعد العدة لدفع الخطر عن دياره ، وغادر عاصمته دهلي ، واشتبك الطرفان في عدة معارك صغيرة ، قصد منها اختبار كل من الفريقين لقوة الاخرى ، ثم وقعت المعركة الفاصلة بين الفريقين ، هزم فيها المغول ، ومزقوا شر ممزق ووقع من نجا من المعركة في الاسر ، ومن بينهم الكثير من فرسان المغول وقادتهم ، ودارت مفاوضات بين الفريقين انتهت بترتيب اجتماع بين عبد الله وجلال الدين ، واجتمع الزعيمان ودارت مفاوضات مباشرة ، انتهت باتفاق ودي بمقتضاه عاد عبد الله الى وطنه ، وبقي الغو - وهو من احفاد جنكيزخان - مع بعض الجند في بلاد الهند، واعتنق الاسلام وزوجه جلال الدين واحدة من بناته ، والتحق هو واربعمائة من رجبائه بالسلطان الخلجي في دهلي باسراهم ، واستقبلوا خير استقبال ، واقام لهم سلطان دهلي مستعمرات يقيمون فيها . وهي غازيپور - اندرابت - كلغاري - تالوك ، وسميت ارض المغول - مغول بورا - واختلطوا باهل سلطنة دهلي ، وسموا بالمسلمين الجدد (٢) .

عاد خطر المغول يدق ابواب الهند من خانات جفتاي في بلاد ما وراء النهر ، وتاريخ اولاد جفتاي ناقص ويحيط به الغموض ، وليس لدينا من المعلومات الصحيحة عنه الا ما ورد بخصوص الغارات على حدود ايران او الهند ، وكذلك الصراع الداخلي بين امراء آل جفتاي .

على ان تلك الغزوات المغولية في بلاد الهند لا يمكن مقارنتها بتلك التي حدثت في عهد السلطان علاء الدين ، فقد اتسمت بالعنف والقوة والقهر ، ففي سنة ١٢٩٧ ارسل دافا - خان بلاد ما وراء النهر - جيشا يتألف من مائة الف مقاتل الى البنجاب بقيادة قائده كادار Kadar واخترق الجيش المغولي - كما جرت العادة بلاد الهند من ناحية الشمال الغربي - واحرقوا القرى التي مروا بها ودمروها تدميرا ، ثم دخلوا سهول البنجاب ،

Munshi : The Struggle for Empire. p. 193.

(١)

Lal : pp. 30-31.

(٢)

وعاثوا حول لاهور فسادا وتخريبا ، وكان زحف المغول في الهند يلقي الفزع والرعب في أرجائها ، فيهجرون قراهم ويتركون ديارهم ، ويخشون من التصدي للمغول اعتقادا منهم أنهم قوم لا يقهرون ، وأن من يعترضهم لا محالة هالك (١) .

أعد السلطان علاء الدين العدة لدرء خطر المغول عن بلاده ، وأسند قيادة جيشه الى يلغ خان ، وسيره الى مواقع المغول في الهند ، والتقى الجمعان في معركة حامية الوطيس بالقرب من جلندهار ، وهزم فيها المغول شر هزيمة ، ويقال ان عدد قتلى المغول بلغ ٢٠ الفا ، واسر عدد كبير من مقاتليهم ، قتلوا جميعا في مذبحة مروعة ، وأرسل القائد يلغ خان الى السلطان علاء الدين رسالة يبشره فيها بالنصر ، وأرسل أيضا الى دهلي رءوس قتلى المغول ، والسبي من النساء والاطفال (٢) .

ومما لا شك فيه ان هذا النصر المؤزر قد انقذ مملكة دهلي من كارثة مروعة كادت أن تعصف بها ، كما أدى هذا الانتصار الى تقوية مركز علاء الدين في دهلي امام أعدائه المتربصين به (٣) .

على أن المغول لم يتغاضوا عن هذه الهزيمة المروعة التي حلت بهم ، بل تحينوا الفرص المناسبة للانتقام من سلطنة دهلي ، ففي سنة ١٢٩٩ ، انتهز المغول فرصة انشغال القائدين يلغ خان ونصرت خان في اخضاع اقليم الكجرات ، واخترق جيش المغول بقيادة سالد Sald حدود الهند ، وشنوا حربا على سلطنة دهلي تحدث عنها فرشته وباراني (٤) ، بينما لا يذكر أمير خسرو مجرد اشارة عن هذه الحملة ، ومهما يكن من أمر فقد هاجم المغول اقليم سيفستان فأمر السلطان علاء الدين قائده بالمسارعة الى سيفستان لصد المغول عنها ، وطردهم نهائيا من الهند ، وأدى ظفر خان واجبه الوطني خير اداء ، فشدد هجماته على المغول حتى هزمهم وأعمل رجاله السيف في رقابهم كيف شاءوا ولاذ من نجا منهم بالفرار ، ووقع في الاسر كثيرون ، واسترد ظفر خان سيفستان وأرسل

(١) Lane Poole : Muhammedan Dynasties. p. 215.

(٢) Lal : Hist. of the Khaljis. p. 130.

(٣) باراني : تاريخ فيروز شاهي ، ص ٢٥٣ .

(٤) تاريخ فرشته ، ص ١٠٣ .

باراني : تاريخ فيروز شاهي ، ص ٢٥٧ .

الى دهلى الاسرى من الجنسين ، ومن بينهم القائد سالدى وأخيه (١) .

وتتضارب اقوال المؤرخين عن غزو المغول للهند في هذه الفترة فيقول فرشته ان دافا - خان ما وراء النهر - وأخاه سالدى استوليا على سيفستان بينما لا يذكر بارانى ان دافا كان مع أخيه سالدى في غزو سيفستان ، والواقع ان دافا كان طوال هذه الفترة مشغولا بالصراعات السياسية في وسط آسيا ، وأرسل أكثر من قائد من قواده المقربين لضم سيفستان الى حوزته (٢) . كما ان دافا لا يمكن أن يستسلم لحرب بسيطة كالتى حدثت أمام سيفستان . ويذكر بارانى وفرشته أن سالدى وأخاه أسرا وسيقا الى دهلى حيث قتل ، كما جرت العادة مع أعداء السلطنة . ومن ناحية أخرى فقد بقى دافا على قيد الحياة حتى سنة ١٣٠٦ (٣) . وعلى ذلك فلا صحة لما قاله فرشته بأن دافا كان مع سالدى في الحرب أمام سيفستان . أما المؤرخون فيذكرون انه كان على رأس المعركة سالدى وأخاه ، ولا يذكرون اسم دافا . يضاف الى ذلك انه لو كان دافا على رأس المعركة لبرز اسمه في روايات الرواه وكتب المؤرخين (٤) .

وأثار انتصار ظفر خان في هذه المعركة اعجاب الناس غير أن علاء الدين أخذ يتوجس شكا وريبة من قوة ظفر خان ومقدرته الحربية ، كما أن القائد يلغ خان شعر بنفس شعور السلطان أيضا ، لان انتصار ظفر خان على المغول ، قد أنسي الناس انتصاره هو - أى يلغ خان - في الكجرات والملتان ومهما يكن من أمر فقد عسكر ظفر خان في سامانا Samana لمراقبة تحركات المغول في الغرب ، لان المغول لن يتفاضوا عن الهزائم التى لحقت بهم في الهند ، لكن السلطان علاء الدين تناسي فضل هذا القائد الشجاع ، وفكر في سمل عينيه او ابعاده الى البنغال (٥) ، ولكن التطورات السياسية الجديدة جعلت هذا السلطان يعدل عن موقفه البغيض من قائده الشجاع (٦) .

قلنا ان مملكة ما وراء النهر المغولية لا يمكن أن تتغاض عن الهزيمة

Lal : Hist. of the Khaljis. p. 132.

(١)

(٢) تاريخ بارانى ، ص ٢٥٥ .

(٣) تاريخ فرشته ، ص ١٠٣ .

(٤) تاريخ فرشته ، ص ١٠٣ .

Hist. of the Khaljis. p. 133.

(٥)

IBID. p. 234.

(٦)

المروعة التي لحقت بجيشها أمام سيفستان فقرّر خانها الانتقام من هذه الهزيمة وإزالة العار الذي لحق به ، ففي سنة ١٢٩٩ أرسل جيشا كبيرا بقيادة كتغلق خواجى - ابنه - الى الهند ، وعدة هذا الجيش عشرين ألف مقاتل ، مدربين خير تدريب (١) ، وعبر الغزاة نهر السند ، وزحفوا بسرعة حتى اقتربوا من دهلى دون أن يزعموا القرى التي مروا بها ، واقترب خطرهم وشرهم من دهلى ، الامر الذي أدى الى فزع وجزع أهل دهلى والقرى المجاورة لها ، فهجر بلده كل من تيسر له الهجرة ، وحاصر المغول دهلى (٢) وحشدت الحكومة الهندية عددا كبيرا من الجند والمتطوعة حتى امتلأت العاصمة بهم ، بل لم تستطع الحكومة تدبير اقامة الكثير منهم . وفي نفس الوقت شدد المغول حصارهم لدهلى ، واستولوا على البضائع والمؤن والمعدات التي حملتها القوافل المتجهة الى دهلى (٣) . الامر الذي أدى الى قلة الاقوات في دهلى ، وبالتالي رفع الاسعار ، فناشد السلطان علاء الدين ولاية الاقاليم بارسال الميرة والمعدات الى دهلى بسرعة وبدون ابطاء ، وفي نفس الوقت بذل جهودا مكثفة لتقوية وسائل الدفاع عن الحاضرة الاسلامية الكبرى ، وعهد الى أحد رجاله المقربين بأن ينوب عنه في حكم دهلى ومنحه سلطاته بصفة مؤقتة ، ريثما ينتهى من الحرب ، وخرج هو على رأس جيشه الى Kili ، وعسكر بالقرب من القوات المغولية بقيادة كتغلق خواجى (١) .

وكان الجيش الهندى يعسكر في موضع آمن في Kili كيلي وتحصينه العشائش والادغال والقبابات من كل جانب ، وانضم حكام البنجاب والملتان وسامانا بجندهم الى سلطان دهلى ، وانضم اليه بعض راجات الهند من اقدر المحاربين واشجعهم ، وقسم علاء الدين قواته الى فرق ، ووزع الفيلة بينها ، وأمر كل جندي بالا يبرح موضعه بدون أمر منه ، وبث علاء الدين روح الحماس بين جنده ، ومحثهم على التضحية بالنفس لدرء الخطر المغولى عن ديارهم ، وأدار المعركة بكفاءة ومهارة وشجاعة (٥) . وعلى الرغم من ضغط المغول على قواته ، وشدة وعنف هجماتهم ، فان الدائرة دارت عليهم ، ومزقوا شر ممزق ، ولم ينج منهم

(١) باراقى : تاريخ فيروز شاہى ، ص ٢٥٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٥٥ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٥٥ .

(٤) Lal. p. 137.

(٥) تاريخ فرشته ص ١٠٣ .

الا الشريد ، وأعمل فيهم المسلمون السيف كيف شاءوا حتى افنؤهم ،
وتمكن علاء الدين من فك أسر المسلمين الهنود ، وانقذهم من شرورهم (١) .

على أن ظفر خان الذي كان يقود أحد أجنحة الجيش قد انفرد
بحرب فريق من المغول يفوق جنده عددا ، لذا أمر رجاله بشن هجوم
يأس على العدو وتقهقر المغول أمام هجماته القوية ، فتمكن منهم ونكل
بالكثيرين ، وفي نفس الوقت أعد كميناً للمغول أثناء انسحابهم ، سقط
فيه حوالي عشرة آلاف ، ومع ذلك كان جيش ظفر خان لا يزيد عن ألف
فارس ، وجيش المغول أضعاف عددهم . ولم يكتف ظفر خان بما أحرزه
من نصر بل اعتزم الدخول بجنده القليل مع العدو في معركة فاصلة ، ورفض
كل الرفض فكرة الانسحاب من المعركة حتى لا يعاقبه السلطان بتهمته
الجبن . ودارت معركة يائسة بين الفريقين حمى فيها وطيس القتال (٢) ،
ولم يكن الفريقان متكافئين بسبب قلة عدد جند دهلي بالنسبة للمغول ،
وقتل مع ذلك من الهنود ثمانمائة ، ولم يبق مع ظفر خان سوى مائتين ومع
ذلك ظل يواصل القتال بجنده القليل ، وأظهر من ضروب البطولة
والشجاعة ما صار مضرب الأمثال فقد قتل من المغول في هذه المعركة
الضارية خمسة آلاف مقاتل ، وظل ظفر خان يحارب حتى قتل حصانه
فوقف على قدميه ، وواصل الحرب ، وتحدثت المصادر المعاصرة عن
شجاعته حديثا يدعو الى الإعجاب ، ولم يحظ القائد الشجاع بتقدير الهنود
فقط ، بل أعجبت شجاعته ومقدرته القتالية الأعداء أيضا . ولما ضعف ظفر خان
عن المقاومة ، ولم يعد في استطاعته مواصلة القتال ، ولاحظ قائد المغول
ذلك ، أرسل اليه يعرض عليه العفو والأمان ، ويطلب منه الدخول في
خدمته ، لكن القائد المسلم الشجاع رفض هذا العرض ، وآثر أن يموت في
ميدان القتال شريفا غير خائن ، شهيدا في سبيل الله والوطن ، وفعل
ظل يقاتل حتى قتل .

وبعد هذا النصر المؤزر عاد علاء الدين من كيلي ولم يزعجه نيا مقتل
ظفر خان ، لأنه كان يخشى بأسه ويشك في نواياه نحوه . ومما لا شك
فيه أن هذا الانتصار الخلجي الرائع على المغول قد جنب بلاد الهند من
ويلاتهم وشرهم المستطير فترة من الوقت ، حتى أن المغول أمضوا وقتا لم

(١) تاريخ فرشته ، ص ١٠٣ .

(٢) المصدر السابق .



يفكروا فيه في غزو الهند ، بعد أن وقفوا على حقيقة قوة سلطنة دهلي ، وكفاءة سلطانها ، وعظم بأسه ، ومقدرة جيشه القتالية ، وانصرف المغول الى شؤونهم الداخلية في وسط آسيا .

على أن علاء الدين لم يطمئن الى فترة الهدوء التي انصرف فيها المغول عن الهند ، بل ظل يترقب هجوما متوقعا منهم ، ويتتبع الأحداث السياسية في وسط آسيا ، وفي نفس الوقت يعد العدة ، ويتأهب عسكريا واقتصاديا لغزو مغولي مفاجيء (١) .

وباقتراب سنة ١٣٠٢ سار علاء الدين الى دكا عن طريق البنغال ، وهاجم شيتور في مستهل سنة ١٣٠٣ ، وهناك علم بأن المغول أعدوا قوة ضاربة لغزو سلطنة دهلي من جديد (٢) .

وجاء الغزو المغولي في وقت حرج للغاية بالنسبة للسلطان علاء الدين ، ذلك أن جيشه قد انهكه الهجوم على شيتور ، ونفذت الكثير من معداته ومؤنه ، كما أن الجند مات أو مرض أكثرهم أثناء عودتهم الى دهلي عن طريق صحراء الثار القاحلة ، واقترب المغول من دهلي بقيادة تارغي Targhi على رأس ١٢٠ ألف جندي وكان على علاء الدين أن يعد العدة بسرعة لانقاذ دهلي من هذا الخطر الداهم (٣) ، وأصدر أوامره الى ولاية الاقاليم في دواته في الشرق والغرب لارسال النجادات الى العاصمة ، والاستعداد لقهر الغزاة المغول ، ودفعهم عن البلاد .

واقترب المغول من دهلي ، وأثار قائدهم حماس جنده ، وحشهم على الانتقام مما لحق بكتلغ خواجي وجنده ، ودعاهم الى الحرب بشجاعة وحماس حتى لا تتكرر مأساة الهزيمة المروعة السابقة ، وحتى يمكن الانتقام لقتلهم . وقد فزع علاء الدين من هذا الهجوم لان النجادات التي طلبها من ولاية الاقاليم لم تصله بعد ، فجمع جنده في سهول سيري Siri كما ابقى فريقا من الجند في دهلي . ولما كان من الخطورة محاربة المغول في أرض مكشوفة وجها لوجه بسبب قلة جند دهلي بالنسبة للعدو ، فقد قرر علاء الدين تقوية وسائل الدفاع عن المدينة ، وكانت أضعف نقطة

(١) باراني : تاريخ فيروز شاهي ، ص ٢٦١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٠٠ .

(٣) Lal : Hist. of the Khaljis, p. 300.

(٣)

دفاعية عن دهلى تقع في شمالها ، أما الجهات الاخرى فتحيط بها الادغال والغابات والمستنقعات ، وقد اقام علاء الدين خندقا حول دهلى . وبذلك وجد المغول صعوبات بالغة واهوال جسام في البحث عن نقطة ضعف تمكنهم من اقتحام دهلى (١) .

واحكموا الحصار حول دهلى من جميع جهاتها ، وازداد حرج علاء الدين ، النجذات لم تصله ، وجيشه الذى ارسله الى البنغال عاد ممزقا ، ومنع المغول الماء عن دهلى ، وكذلك الميزة وكل ضروريات الحياة ، وكان المغول يسبيرون في جماعات في بلدان سلطنة دهلى ، وينهبون مخازن الحبوب فيها ، بل ارسلوا فرقة نهبت مخزن الحبوب الملكى ، فعم القحط دهلى ، واشتد البلاء ، وقاسى الناس ويلات البؤس والحرمان ، وضعفوا ووهنوا . على ان الخطوط الدفاعية الحصينة التى اقامها علاء الدين حول دهلى لم تمكن المغول من اقتحامها .

ودارت بين الفريقين عدة مناوشات لم تؤد الى نتيجة حاسمة ، ولما طال الحصار ، راي قائد المغول ان اقتحام دهلى امر صعب ، ويكلفه ما لا يطيق ، بسبب قوة استحکامات علاء الدين ، لذا نجد قائد المغول يقرر الانسحاب بعد شهرين من الحصار (٢) . وبذلك انقذ الله دهلى من خطر داهم وشر جسيم .

وقد اختلف المؤرخون في تعليل انسحاب المغول على الرغم من تفوقهم الحربى والعددى عن جيش علاء الدين ، وعن احكامهم الحصار لدهلى ، ومنع الماء والقوت عنها . وقد ارجع المؤرخ بارانى هذا النصر الى الدعوات المخلصة للشيخ نظام الدين الذى عرف عنه التقوى والورع . وعلى كل حال يمكن تعليل انسحاب المغول الى عدة عوامل ، منها ان السلطان علاء الدين تصدى للمغول بكل ما اوتى من قوة ، ورفض الاستسلام ، واحكم خطة الدفاع ، ومن هنا راي قائد المغول عدم جدوى الاستمرار في الحصار . كما ان تقوية وسائل الدفاع - كما رايها - قد احبط محاولة المغول دخول دهلى . ومن ناحية اخرى فان معارك المغول في الهند كانت خاطفة وسريعة حتى لا يؤثر استمرار الجيش المغولى في الهند على موقفهم الحربى في وسط اسيا .

IBID. pp. 140-141.

(١)

(٢) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٣٠٢ .

(٣) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ص ٣٠٣ .

على أن الغزو المغولي قد دفع علاء الدين الى تقوية وسائل الدفاع في مملكته تجنباً لتكراره من جديد . فقد شيد حصناً وقصراً في سري ، ونقل مقر قيادته هناك ، حتى أن سري عرفت بالعاصمة ، وشيد علاء الدين أسواراً عالية ، وضخمة حول البلدة لمنع الغزاة المغول من اقتحامها ، وأصلح القلاع القديمة ، وشيد حصوناً على حدود دهلي لمنع المغول من اجتياز الهند من جديد ، وحشد الجنود والضباط في القلاع والحصون الشمالية ، لمنع المغول من غزو الهند ودرء خطرهم وأعاد تنظيم الجيش وتسليحه ، بأحدث وأقوى المعدات المتطورة وقتئذ .

وبعد أن أعد علاء الدين عدته لهذا الأمر اطمأن الى أن المغول لن يلحقوا بالهند من الولايات ما حدث قبلاً ، بل أصبح مستعداً لتلقيهم درساً قاسياً إذا فكروا في غزو الهند ، وتعريضهم للقتل والتنكيل والتشريد « ويقع نساؤهم أسرى في أيدي المسلمين ، ويمزق رجالهم سيوف المسلمين وتدمرهم القبيلة » (١) .

على أن المغول قد استاءوا من الهزائم المتلاحقة التي لحقت بهم من سلطنة دهلي ، وعولوا على ضرورة الانتقام من علاء الدين ، فسيروا جيشاً كبيراً بقيادة على بك Ali Beg وتارغى وسارتاك ، وكان تارغى يتعطش للثأر والانتقام مما لحق به سنة ١٣٠٣ من خيبة أمل وهزيمة وقتل كتلغ خواجى . ومهما يكن من أمر ، فقد شن المغول حملتهم على الهند سنة ١٣٠٥ ، في حملة لا تقل ضراوة وشراسة عن حملاتهم السابقة ، ضم جيشهم خمسين ألف مقاتل ، وعبر المغول المنطقة الجبلية في شمال غرب الهند . ويذكر أمير خسرو أن تارغى لقي مصرعه في بداية الحرب ، واتجه الجيش المغولي الى دواب ، وعاث جند المغول نهباً وفساداً في البلاد التي مروا بها ، والحقوا بها الخراب والدمار ، وقد تجنب المغول مهاجمة دهلي لمناعتها وحصانتها ، وأيقنوا من ذلك في هجومهم عليها سنة ١٣٠٣ ، وساروا مباشرة الى الدواب واودة - وهما أعظم بلاد المملكة خصباً ورياءً - ولما اقترب المغول من المدينتين ، أخذ الفرع من سكانها كل مأخذ ، وعمهم الهلع ، فهجروا ديارهم الى القرى والغابات المجاورة (٢) .

(١) بارانى : تاريخ فيروز شاہی ، ص ٢٧٣ .

(٢) بارانى : تاريخ فيروز شاہی ، ص ٣٢٠ .

وحينما علم السلطان علاء الدين بأنباء هذا الغزو المدمر وفزع الاهلين منه ، أعد جيشا من ثلاثين أو اربعين ألف مقاتل لدرء الغزاة عن أرض الوطن والتقى جيش دهلئ مع جيش المغول في معركة حامية الوطيس ، هزم فيها المغول هزيمة نكراء ، ومزقهم المسلمون كل ممزق في اواخر سنة ١٣٠٥ (١) ، وقتل في المعركة اكثرية جند المغول ولاذ من نجا منهم بالفرار ، وقد غنم المنتصرون خيولهم ووقع قائدا المغول على بك وتارتاك في اسر المسلمين وسيقا الى دهلئ مكبلين بالسلاسل والاغلال (٢) .

وكان لهذا الانتصار الرائع صدى عميقا في نفوس اهل الهند ، وعقد سلطان دهلئ مجلسا يضم كبار رجال الدولة من الامراء والوزراء وقواد الجيش واستعرض الجيش المنتصر بالمغانم التي قَنَمها من العدو ، وسارت الاسرى في موكب أمام مجلس السلطان ، واجتمع الناس من كل مكان للمشاهدة في هذا الاحتفال الكبير ، وامر علاء الدين بعرض موكب الاسرى في دهلئ ، ثم قتلهم بعد ذلك . ويقول فرشتة أن ثمانمائة رأس مغولى استعملت بدلا من الحجارة لتشيد قصره في سيري . على ان السلطان امر بحبس قائدى الجيش ، وانزلهم في دار خصصها لهما ، ولم يلبث أن امر بقتلهما .

ولم يكد علاء الدين يتنفس الصعداء من هذا الغزو المغولى الذى تحدثنا عنه ، حتى عاد المغول من جديرد في سنة ١٣٠٦ لمهاجمة بلاده انتقاما من مقتل على بك وتارتاك وجند المغول ، وخرجت الحملة المغولية بقيادة كوباك ، واجتاز بلاد الهند بجيش قوى ، وسار الى رافى Ravi ، وخرّب البلاد التى مر بها ، وتحرك فريق من المغول جنوبا ، وبلغوا ناجور Nagaūr وأحدثوا الرعب في القرى المجاورة لهذه البلدة

وكان طبيعا الا يتغاضي السلطان علاء الدين عن اجتياز المغول لبلاده فأرسل جيشا لتتبعهم ، وطردهم من مملكته ، واسند قيادة جيشه الى ملك نائب كافور وحرص علاء الدين على بث روح الحماس بين جنده الذين أضناهم كثرة الحروب بل امر بدفع منح مرضية لجنده ، وتقديم

(١) تاريخ فرشته ، ص ١١٣ .

(٢) تاريخ فرشته ، ص ١١٣ .

جند دهلى صوب جند المغول ، ووقف الفريقان وجها لوجه ، ودارت رحى معركة بين الفريقين ، انتهت بانتصار جيش دهلى على جند المغول انتصارا حاسما ، وتقهقر جيش المغول مغادرا بلاد الهند نهائيا ، وعاد المغول الى بلادهم يجرون اذيال الفشل والخيبة ، وعاد الجيش المظفر الى دهلى مصحوبا بعدد ضخم من اسرى الحرب . ويقول فرشته ان عدد الاسرى المغول قدر بالآلاف . ولما كان علاء الدين شديد الغضب من غزوات المغول المتكررة والتي اشاعت الخراب والدمار في القرى والبلدان ، فقد كان انتقامه من الاسرى كبيرا ، فأمر بقتلهم تحت اقدام القيلة ، وبيع نساء واطفال المغول في اسواق النخاسة بالهند ، وشيد من جماجم المغول برجا امام احدى بوابات دهلى (١) .

وهذه الغزوة ، آخر غزوات المغول في بلاد الهند ، وحدث معظمها في عهد دافا خان الذى ولى عرش بلاد ما وراء النهر سنة ١٢٧٢ ، وتوفى سنة ١٣٠٦ ولقد اضطربت بلاد ما وراء النهر بعد وفاته ، وتعاقب على العرش في مدى ثلاث سنوات ثلاث خانات ، ولكن غزوات المغول في بلاد الهند توقفت بعد وفاة دافا وأنقذ الله سلطنة دهلى من ويلاتهم واعمالهم التخريبية وانتهى الوقت الذى كان يعيش فيه الاهلين في رعب وفزع . ومما لا شك فيه ان جهود علاء الدين المضنية وشجاعته النادرة هو وقواده كان لها اثر كبير في درء كل محاولة بذلها المغول للنيل من بلاد الهند . ولما كانت غزوة وكابل تشكلان اهمية استراتيجية كبيرة على أمن الهند وسلامته من ناحية الغرب فقد شرع علاء الدين في احتلالهما فعلا بسط سلطانه على البلدتين . وبذلك وضع حدا لما كانت تتعرض له الهند من حروب تشن عليها من الحدود الشمالية الغربية وبالذات من غزته وكابل (٢) .

ويجدر بنا ان نناقش أسباب الهزائم المتلاحقة التى حلت بالمغول من جيوش سلطنة دهلى ، واسباب فشلهم في احتلال بعض اجزاء من الهند ويمكن القول ان اسطورة جيش المغول الذى لا يقهر قد فات اوانها وولت أيامها ، بعد ان فقد المغول قدرا كبيرا من قوتهم ترجع في معظمها الى الانقسامات الشديدة بين خانات المغول ، والى انقطاع الصلة بين خان المغول في بلاد ما وراء النهر ، والخان الاعظم في الصين ، فضلا عن ان خان بلاد ما وراء النهر شغلته الاحداث السياسية في وسط

(١) تاريخ فرشته ، ص ١١٢ .

(٢) تاريخ فرشته ، ص ١١٤ .

آسيا عن تركيز جهوده في الهند ، ويقال أن دافا غزا وسط آسيا خمسين مرة ، ولما رأى أن حروبه هناك لا جدوى منها ولا طائل ، أنفذ جيوشه الى الهند ، وكان ينضم الى جيش المغول في الهند عناصر غير مدربة على القتال ، وهي الكهكزية والافغانية ، وهؤلاء لا يهمهم سوى التخریب والتدمير والحصول على منافع شخصية ، يضاف الى ذلك أن نوعية الجندي المغولي قد اختلفت عنها في الايام المبكرة لدولتهم والتي اكسبتهم صلابة وقوة بأمن وبالتالي نجاحا وتفوقا ، وفقد جند المغول ما عرف عنهم من سرعة الحركة والصبر على القتال ، وتحمل الشدائد ، ويتجلى ذلك في حروبهم في الفترة ما بين سنتي (١٣٠٠ - ١٣٠٣) فقد استطاع علاء الدين ان يتصدى لهم ، ويدخض كل محاولاتهم التوسعية ، ويوقف كل هجماتهم ، وتعددت معاركه معهم ، وانتصاراته عليهم ، حتى نفد صبرهم وفقدوا القدرة على مواصلة غزو سلطنة دهلي ، لذا انسحبوا من ميدان القتال مخذولين مدحورين (١) .

يضاف الى ذلك ان دافا الذي كان يباشر الحرب بنفسه في وسط آسيا ، لم يفعل ذلك في الهند ، لذلك لم يتعرف على طبيعة الحرب فيها ، ففي الوقت الذي تفوق فيه في وسط آسيا ، هزمت جنوده في الهند مرات ومرات . وبعد وفاة دافا حدث تنافس على العرش في بلاد ما وراء النهر ، صرف المغول عن فكرة غزو الهند ، ولقد فطن علاء الدين الى اهمية افغانستان بالنسبة للهند لانها قاعدة اتخذها المغول لشن حملاتهم على الهند ، فاستولى على غزنة وكابل - كما ذكرنا - وبذلك أمنت البلاد من غزو المغول الذي كان يأتيها من هذه الجهات عادة (٢) .

ولا يفوتنا أن نذكر أن علاء الدين كان رجل حرب ورجل دولة ، يضع الخطط الحربية المحكمة ، ويبث روح الحماس في جنده ، ويعد جيشه خير اعداد ، فضلا عن شجاعته وذكائه وصبره الذي لا ينفد .

وتعرضت سلطنة دهلي للغزو المغولي في عهد السلطان محمد بن تغلق

(١) تاريخ فرشته ، ص ١١٦ .

(٢) باراني : تاريخ فيروز شاهي ، ص ٣٢١ - ٣٢٢ .

عقب وفاة أبيه . ففي سنة ٧٢٧ هـ / ١٣٢٧ م اقتحم تومشير خان بن داود خان - زعيم قبائل الاولوس الجغتائية الذائع الصيت - بلاد الهند على رأس جيش كبير واستولى على لغان والملتان عند الحدود الشمالية الغربية وواصل زحفه في بلاد الهند متجها الى دهلي .

ولم يكن محمد بن تغلق على استعداد لصد القائد المغولي عن بلاده ، فأرسل وفدا الى القائد المغولي محملا بالهدايا والاموال اليه ، وما زال مبعوثو السلطان بقائد المغول حتى اقنعوه بالعودة عن الهند ، فانسحب بجيشه الى بلاده .

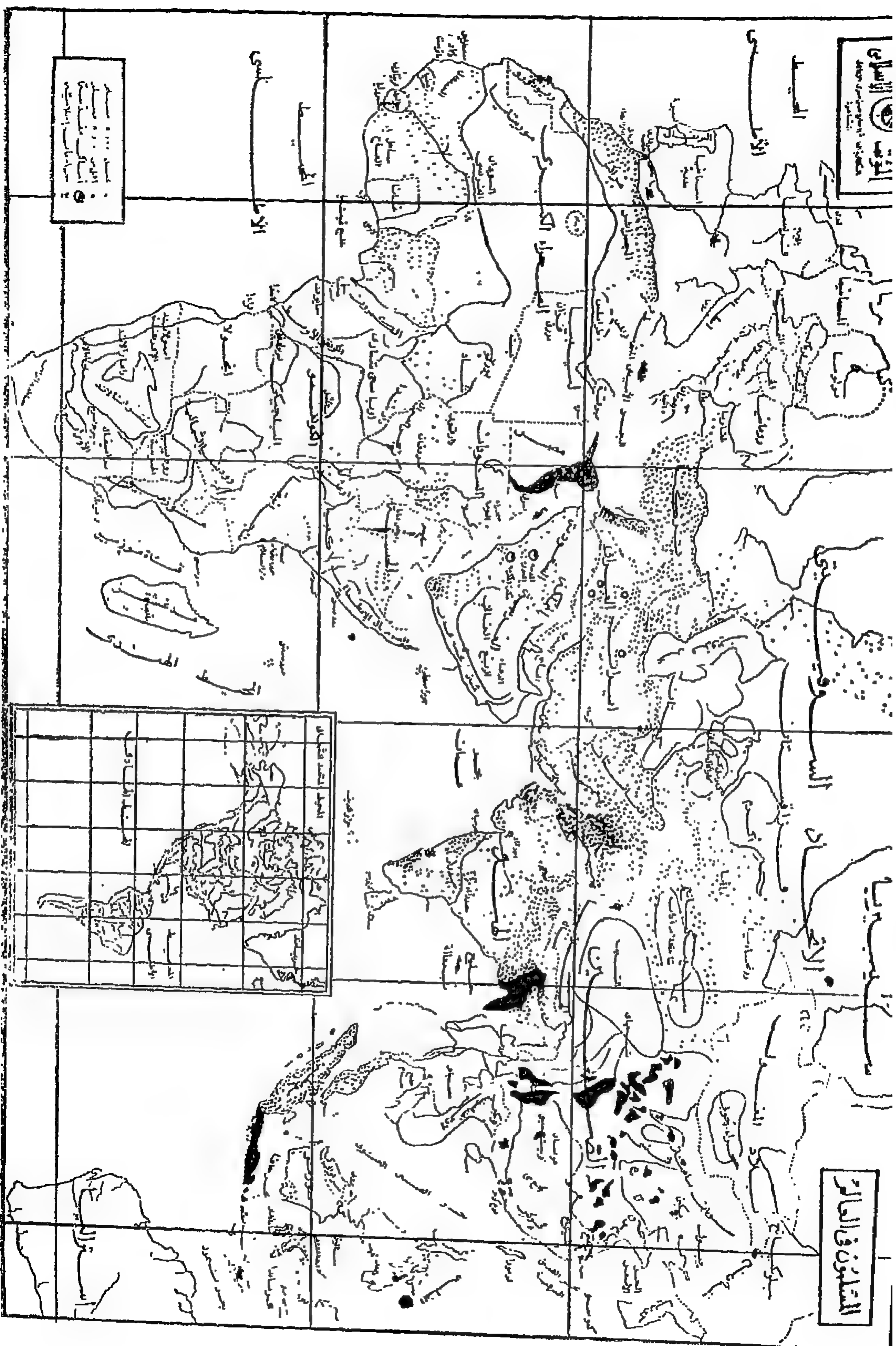
الغزو التيمورى لبلاد الهند

ينتمى تيمورلنك الى فرع كركن ، ونشأ في قرية كش ، وكان أبوه شيخا لاحدى القبائل ، ونشأ تيمور منذ نعومة اظفاره على التمسك بتعاليم الاسلام ، وظهرت شجاعته ونجابته في ريعان شبابه الغض ، وقد بث فيه والده تعاليم وطنية بضرورة تقويض أركان الدولة المغولية ، وكان طموحا يتطلع الى المجد والعظمة ، استوعب منذ صغره كتب الحكمة العالية والقوة الخارقة ، وحمل نفسه على الاباء والحذر من المحيطين به ، كان يمضي وقته في تلاوة القرآن الكريم والصيد والعباب الفروسية والشطرنج .

ارتفع شأن تيمور في بلاد ما وراء النهر حتى تقلد بعض المناصب الرئيسية وأسند اليه الامير حسين حفيد الامير الجغتائى قزغان ولاية كش ، ولكنه لم يستمر فيها فقد طرد منها ، ولم يلبث أن عاد اليها بعد لاي وعناء ، ولم يكتف بولايته بل سيطر على سجستان وبلخ ، وبذلك ازداد نفوذه وارتفع شأنه وقوى أمره وكثر رجاله ، واشتبك في عدة حروب مع أعدائه ، وما زال ينتقل من نصر الى نصر حتى تمكن من طرد الجغتائى نهائيا من بلاد ما وراء النهر بعد موت تغلق تيمور ، ودخل مدينة سمرقند وأعلن نفسه سلطانا سنة ١٣٦٩ م .

واتسع ملكه بأن امتد الى ايران والعراق ، وقضى على الدويلات الصغيرة في تلك الانحاء ، وبرزت فيه آثار القدرة والدهاء والعظمة « بعد أن قارع الملوك ودوخ الممالك » .

تطلع تيمور الى بسط نفوذه على بلاد الهند لما لها من موارد اقتصادية هائلة ، وقد واثته الفرصة بعد وفاة فيروز شاه - سلطان دهلى - والاضطرابات والقتال التى اعقبت وفاته ، وتقدمت طلائع جيشه سنة ٧٩٩ هـ / ١٣٩٧ م الى حصن أوكا ، واستولت عليه ، ثم اتجهت الى الملتان ولم يستطع حاكمها دفع التيموريين وسقطت الملتان في ايدى قوات



تيمور ، وتقدم جنـد تيمور في بلاد الهند وسقطت في ايديهم الحصون والبلاد التي مروا بها ونهبوها ثم استولوا على سرستى وابادوها ، وسقطت في ايديهم فتح آباد ، ثم جاء دور هراة ، فلما بلغها تيمور نزل اليه ولد ملكها غياث الدين بالامان فاستولى عليها ، واستصحب تيمور معه ملكها الى سمرقند (١) .

اعد تيمور العدة لفزو دهلى ، وسار اليها بجيش كبير ، فخرج سلطانها محمود تغلق من حاضرة دولته لدرء خطر المغول وجمع الخيل والرجال وفرق الاموال واحضر ما في بلاده من الافيال ثم حصن مدائنه ، وجد فى المسير « حتى كاد يسبق الطير ولم تعترضه صعوبات ، والتقى بجيش دهلى وقدم الهندود الفيول لتفنى الخيول ، وخلف الافيال الهندود فوارس الحرب وابطال الطعن والضرب » ولما اطلع تيمور على قوة العدو وشدة بأسه وحسن استعدادده ، عمل الحيلة والمكيدة ، فلمّا تراءى الجمعان ، نكص على عقبيه متظاهرا بالانسحاب ونصب الكمائن لعدوه وسقط الهندود في كمائنه ، فانقض عليهم تيمور وجنده وابادهم ومزقهم كل ممزق ودخل تيمور دهلى ، وقدم له اعيانها وعلمائوها فروض الولاء والطاعة ، واقامت الخطبة له في مساجدها . وبذلك دخلت دهلى في حوزة الدولة التيمورية (٢) .

على أن جنود تيمور نهبوا منازل دهلى وأسواقها ، واستباحوها ، ووند على المدينة الكثير من الهنادكة بأسرهم واستاء الهندود في دهلى من جنـد تيمور ، وأعد الهنادكة العدة لمقاومتهم فقتلوا نساءهم وأطفالهم ، وأغلقوا أبواب دهلى ودارت حروب بين الاهلين والفزاة ، قتل فيها من سكان دهلى ما يقدر بحوالى مائة ألف ، وامتلأت دهلى بجثث القتلى ، وتحولت الى بحر من الدماء ، وأعقب ذلك تفشي الاوبئة ، ونهب جنـد تيمور كل ما وقع في ايديهم من ثروات دهلى الهائلة وأعقب ذلك سقوط اقاليم سلطنة دهلى في ايدي تيمور . وزار تيمور عاصمة الاسلام الكبرى بعد ما لحقها الخراب والدمار ، ونظم ادارتها وعاد الى سمرقند وفي صحبته مهرة الصناع والمعماريين .

وذكر تيمور في سيرته بعد أن فتح دهلى : لقد قضيت خمسة عشر

(١) ابن عربشاه : عجائب المقثور في أخبار تيمور ، ص ١٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٦٨ - ٦٩ .

يوما في دهلى بين مظاهر الفرح والنعيم ، أعقد مجالس البلاط الملكية ،
وأقيم الإسمطة العظيمة ، ثم ذكرت اننى اتيت الى هندوستان لشن
الحرب على الكفار وقد بارك الله هذه الحملة ، فجعل النصر حليفى ،
والظفر يتبعنى أينما ذهبت ، ولقد انتصرت على خصومى ، وقتلت بعض
مئات الالوف من الكفار وعبداء الاصنام ولطخت سيف الدعوة بدماء
اعداء الدين . الان وقد تم هذا النصر المبين ، أشعر انه لا يحق لى أن أخلد
الى الراحة ، بل أن أبذل جهدى لشن الحرب على كفار هندستان (١) .

الفصل الرابع

النظم والحضارة في سلطنة دهلـى الإسلامية

- ١ - نظم الحكم والادارة .
- ٢ - الحالة الاقتصادية في سلطنة دهلـى الإسلامية .
 - (١) ازدهار الزراعة .
 - (ب) تقدم الصناعة .
 - (ج) النشاط التجارى :
 - التموين والتجارة الداخلية .
 - التجارة الخارجية .
 - (د) الادارة المالية .
- ٣ - المظاهر الاجتماعية .
 - (١) طبقات المجتمع .
 - (ب) الموسيقى والفناء والمجالس الاجتماعية .
 - (ج) العادات والاخلاق .
 - (د) المواكب والاعياد .
- ٤ - الحياة الثقافية في سلطنة دهلـى الإسلامية .

النظم والحضارة في دول الاسلام بالهند

١ - نظم الحكم والإدارة

كان الاقليم الاسلامي في بلاد الهند في عصر الغزنويين والغور يحكمه نائب السلطنة في غزنة او فيروز كسوة ، ويختص بإدارة الاقليم الهندي ، والدفاع عنه ضد هجمات الهنود ، والمحافظة على الامن والنظام ، ونشر تعاليم الاسلام ، وولى منصب النائب أحد القادة العسكريين ، ولم يتردد السلاطين الغزنويون في عزل النائب وعقابه اذا لم يحكم بالعدل بين الرعية ، فقد كان ارياروق - نائبا للسلطان في الهند - ولما أساء السيرة عزله السلطان مسعود ، وأودعه السجن ، وعهد الى أحمد بن يnalتيكين بحكم اقليم الهند الاسلامي . وعلى الرغم من كفاءة هذا النائب العسكرية والإدارية ، وتوسيعه رقعة الاقليم الاسلامي في الهند ، إلا أن الشكوك حامت حوله ، إذ اتهم بنهب أموال الناس ، والاتصال بالسلاجقة ، فأرسل اليه مسعود جيشا هزمه وقتله (١) .

وعهد الغزنويون أحيانا الى بعض الهنود بتولية وظيفة النائب ، فتلك الهندي الذي أنفذه السلطان مسعود لاختضاع يnalتيكين ، كافأه السلطان بأن استنابه على هذه البلاد . أحيانا يعهد الغزنويون والغوريون الى بعض أمراء البيت الحاكم بحكم الهند ، كما فعل السلطان مسعود حين أسند الى ابنه مجدود منصب نائب السلطنة في الهند . ولما قتل مسعود ، وولى السلطان محمد ، عزل مجدود ، وعهد الى أحد ابنائه بولاية اقليم الهند . على أن السلطان الجديد مودود سار اليه وقبض عليه بعد أن انتزع السلطنة من عمه محمد وأسند سلطان الغور علاء الدين الى أخيه غياث الدين حكم الهند نيابة عنه ، ولما ولى غياث الدين السلطنة أسند حكم الهند الى مولاة قطب الدين ايبك وقد قاوم اعداء الدولة والمتآمرين على سلطانها (٢) .

لما سقطت دولة الغور حكم قطب الدين ايبك الاقليم الاسلامي في الهند حكما مستقلا ، وأقام منه دولة عرفت بدولة المماليك ، حاضرتها دهلي ، وتوج سلطانا بها . ومن ثم قامت في بلاد الهند منذ ذلك التاريخ

Munshi : The Struggle for Empire. p. 92.

(١)

K. Ali : A New Hist. of Indo-Pakistan. p. 81.

(٢)

دول اسلامية مستقلة وهى دولة الممالك والدولة الخلجية ودولة بنى تغلق ، وكان الحكم وراثيا في هذه الدول . على أن قاعدة الوراثة في الحكم لم تسر على قاعدة ثابتة .

وخلف قطب الدين ايبك ، التمش ، وكان مملوكا لسيده قطب الدين وصاحب عسكره ، ونائبا عنه ، فلما توفى سده تربع على عرش السلطنة في دهلى ، واخذ الناس بالبيعة فأتاه الفقهاء ، وعلى رأسهم قاضي القضاة وطلبوا منه أن يثبت حرية فأخرج لهم عقدا يتضمن عتقه ، فقرأه القاضي والفقهاء وبايعوه جميعا (١) ، وصار الحكم وراثيا في بيت بلبن وخلفه ابنه ركن الدين ، ولما قتل ، حكمت رضية البلاد .

وظلت قاعدة الوراثة غير ثابتة في العهد الخلجي ، فلما قتل السلطان جلال الدين ، ولى ابنه ركن الدين السلطنة لكن علاء الدين ابن أخ جلال الدين ، نجاه عن الحكم وولى هو السلطنة على الرغم من أنه ليس الوريث الشرعى للسلطنة وعهد علاء الدين قبل وفاته بتأشير مملوكه كافور بالحكم الى ابنه شهاب الدين على الرغم من أنه أصغر أخوته ، وخلفه قطب الدين وولى الحكم وانقسم البيت الحاكم على نفسه بل ولى دهلى سلطان لا ينتسب الى البيت الحاكم وهو خسرو خان .

تربع تغلق على عرش دهلى ، وعهد الى ابنه محمد ، ولما ولى محمد لم يكن له ولد ، فخلفه ابن عمه فيروز بعهد منه ، ولم يعهد فيروز لابنه محمد بسبب سوء سيرته وتصريفه للأمور ، وعهد الى حفيده غياث الدين ابن فتح خان ، واضطربت الامور ، وتنافس الامراء على العرش ، وظل الحال كذلك حتى غزا تيمور بلاد الهند .

وكان سلاطين الهند مستقلين تماما عن الخلافة العباسية وان كان فريق منهم مثل التمش وبعض سلاطين تغلق ، تودد الى الخلفاء العباسيين في مصر من باب التشريف ولزيادة نفوذهم بين رعاياهم المسلمين ، فقد نقشوا اسماءهم على السكة ، وامروا بذكرهم في الخطبة .

حرص سلاطين بنى تغلق على الاعتراف بسيادة الخليفة العباسي الروحية على العالم الاسلامى ، وسعوا الى الحصول منهم على تقليد بحكمهم

(١) رحلة ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ١١١ .



لسلطنة دهلى حتى يكسبوا حكمهم الصفة الشرعية . فأرسل محمد بن تغلق الى الخليفة العباسي بالقاهرة ، المستكفى بالله يطلب منه تفويضا ، ولما حظى بالتقليد بالغ في احترامه وتقديره ، وبعث بالهدايا الى الخليفة العباسي ، وقرر ذكر اسمه في الخطبة ، ونقشه على السكة ، مقترنا بكثير من المدائح ، وظل اسم المستكفى برغم وفاته سنة ١٣٤٠ ينقش على العملة حتى سنة ١٣٤٣ ، مصحوبا بهذا الدعاء : اطل الله بقاء الخليفة « (١) .

وقد أظهر السلطان محمد بن تغلق ولاءه وتقديره للخليفة العباسي وارسل اليه الخليفة الحاكم بأمر الله أحمد بن المستكفى بالله بالقاهرة خلعة مع سفيره حاجي سعيد صرصرى ، ولما قدم هذا السفير الى دهلى سنة ١٣٤٣ ، خرج اليه السلطان بصحبة النبلاء ، وقابله بمظاهر الحفاوة والاحترام ، ثم تقدم في السير حافى القدمين مسافة مبالغة منه في احترامه ثم بعث الى الخليفة كتابا يجدد له ولاءه وتبعيته له ، وظل يتبادل معه الرسائل لمدة عامين حتى انفذ اليه الحاكم بأمر الله تقليدا بالحكم (٢) .

كذلك حرص السلطان فيروز على اكساب حكمه الصفة الشرعية ، بالحصول على تقليد بالحكم من الخليفة العباسي في القاهرة فأرسل الى المعتضد بالله يطلب منه تفويضا بالحكم ، فأجاب الخليفة طلبه ، وبعث اليه بخلعه مماثلة للخلعة التى أرسلت لمحمد بن تغلق ، وخطابا يتضمن كثيرا من عبارات المجاملة والاحترام ، كما أرسل اليه تقليدا بالحكم سنة ١٣٥٦ ، وقد كان فيروز فخورا بهذا التقليد وتحدث عنه في كتابه الذى أرخ فيه لنفسه ، قال : أن أعظم ما حصلت عليه من رضوان الله أنه بفضل طاعتي وتقواي وصداقتي للخليفة ممثل النبي ، توطدت سلطتي ، فبتأييده تتوطد سلطة الملوك ، ولا يصبح أى ملك آمنا على نفسه ومملكه ، الا بعد أن يذعن للخليفة ، وينال تثبيتا من العرش المقدس ، وقد أرسل الخليفة عهدا بتثبيت سلطتي كنائب له ومرشد للمؤمنين ، وانى لفخور بأن يلقبنى الخليفة ، سيد السلاطين ، كذلك أنعم على بخلع ولاء وسيف وخاتم ، وهذه كلها تمثل شعار الشرف (٣) .

وكان سلطان دهلى حاكما مطلقا في دولته ، مصدرا لكل سلطاتها ،

Arnold : The Caliphate p. 104.

(١)

(٢) محمد جمال الدين سروز : تاريخ السلطان الناصر بن قلاوون ، ص ١٠٠ .

(٣) باراني : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٢٨٠ .

وهو القائد الاعلى للجيش ، والمحرك الادارى للدولة ، وقاضي قضاتها ، وحامى حى الدين او امير المؤمنين ، وهو مسئول فقط امام الله ، وسلطان الله في ارضه ونائبه على عبادته ، وواجبه على الناس الطاعة والانقياد له ، ونفوذه غير مقيد بقانون وبلا حدود ، ولا يسأل عما يفعل ، وما على الرعية فقط الا تنفيذ اوامره وتعليماته . (١)

ويشتمل البلاط الملكى على عدد من الموظفين ، واول هؤلاء الموظفين ، وكيل الدار ، وتتضمن اختصاصاته حفظ مفاتيح بوابات القصر الملكى ، وينظر في ادارة البلاط الملكى ، ويراس موظفى القصر الملكى ، ويمنحهم رواتبهم ، ويباشر شؤون تعليم اطفال العائلة المالكة وتثقيفهم بما يتناسب ووضعهم الاسرى ، وهو مسؤول عن كل مرافق القصر مثل مطبخ القصر ومخزن الملابس واسطبلات القصر . ويباشر تنظيم الحرس السلطانى ، ويتفقد اعمالهم ونشاطاتهم ، لذلك كان يسند هذا المنصب الكبير الى رجل معروف بالمهارة والدكاء والامانة والكفاءة ومركزه حساس ودقيق ، واقل خطأ فى عمله ، يعرضه لغضب السلطان عليه ، فقد يعزله بل وقد يقتله ، ويساعد وكيل الدار في عمله موظف كبير هو نائب وكيل الدار .

ومن الوظائف الهامة في البلاط الملكى وظيفة امير حاجب ، ويلى وكيل الدار في الاهمية ، وامير الحاجب هو كبير امناء القصر ، ويباشر المراسم السلطانية ، ويعد الترتيبات للحفلات الملكية الخاصة وحفلات الاستقبال لضيوف السلطان ، وتوديعهم ، ومراسم تنصيب الوزراء وكبار رجال الدولة ، ويقوم بدور الوسيط بين السلطان من جهة وموظفيه من جهة اخرى ، ويساعده في عمله نائبه وعدد من الحجاب (٢) .

ومن موظفى البلاط الملكى قائد الحرس السلطانى ، وسمى Jandars ويحيط قائد الحرس مع الحراس التابعين له حول السلطان بسيف مسلولة في البلاط والمواكب الملكية والاجتماعات العامة التى يجتمع فيها السلطان برعاياه . ومن واجبات الحرس الملكى حماية السلطان من الهجوم

(١) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٢٨٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٨٨ - ٢٨٩ .

عليه ، لذا من شروط اختيارهم خفة الحركة واليقظة وحسن التدريب والكفاءة القتالية (١) .

يضاف الى هذه الوظائف ، وظيفة المشرف على خيل السلطان ، وملاحظ الفيلة ، والمشرف على شؤون الصيد الخاص بالسلطان ، ومدير المطبخ الملكي ، وهذا الاخير واجبه الاساسي تذوق الطعام الذي يقدم للسلطان ، قبل ان يقدم على المائدة السلطانية حتى يتأكد من سلامة الطعام من السموم التي قد يضعها اعداء السلطان في طعامه . ومن موظفي القصر ، امين مخزن الاسلحة ، وجامل اختام الملك ويتبع هؤلاء الموظفين جميعا عدد من الكتبة والسكرتيرين والمحاسبين ولكل اختصاصه وواجباته (٢) .

استعان السلطان في ادارة دولته بعدد من الموظفين من اهل الكفاءة والمقدرة ، ومن ابرز هؤلاء الرجال ، الوزير ورؤساء الدواوين ، وقائد الجيش ومن اهم اختصاصات الوزير ادارة شؤون الدولة الداخلية والخارجية ، بما في ذلك الاشراف على ايرادات الدولة ، وتحقيق من فائض دخل ولايات وبلدان السلطنة وبياشر نفقات الحكومة المركزية ، ويساعده عدد كبير من الكتبة والموظفين ، ومن ابرزهم المشرف ، ومن واجبه فحص اوجه النفقات وقد انشأ هذا المنصب السلطان خلال الدين الخلجي ، وانشأ ايضا وظيفة الناظر لفحص التقارير المرفوعة الى المشرف ، لذا كانت اعمال ديوان الوزارة معقدة ومتشابكة . وفي عهد السلطان شهاب الدين عمر شاء كان للوزير اربع سكرتيرين (٣) ، وكل منهم يرأس ثلاثمائة كاتب ، وتتعدد اعمال الوزارة في عهد فيروز شاه ، وتنوع اختصاصاتها فتشمل الاشراف على الزراعة والعمارة ومعاهد البر ومراقبة تنفيذ قوانين الدولة ولوائحها ، والاشراف على الادارات الحكومية ، وبالجمله فان كافة اجهزة الدولة تخضع بطريق مباشر او غير مباشر للوزير (٤) . ويذكر باراني (٥) ان الملك لا يسه له من وزير ناجح ، ولا يستقيم الملك بدونه . والملك يسير في طريق المجد والعظمة اذا كان الوزير حكيما .

Lal : op. cit., p. 161.

(١)

Munshi op. cit. P. 190.

(٢)

(٣) باراني : تاريخ فيروز شاهي ، ص ٦١ .

Munshi : op. cit., p. 197.

(٤)

(٥) باراني : تاريخ فيروز شاهي ، ص ٢٩١ .

ومن ابرز وزراء سلطنة دهلى الخواجة خاطر - وزير السلطان علاء الدين - وهو صاحب خبرة طويلة عرف عنه الحكمة والرشاد ، وتدرج في سلك المناصب ، فكان نائبا للوزير في عهد السلطان بلبن ، ثم عينه السلطان جلال الدين وزيرا ، وظهرت كفاءته الادارية وحنكته السياسية ، لذا بقى في الوزارة في عهد علاء الدين ، وكانت تنقصه الكفاءة العسكرية ، واقتصرت مهامه على الشؤون الادارية والمالية . على ان خلفه في الوزارة نصرت خان جمع الى جانب عمله المدنى ، الجانب العسكرى ، اذ كان ذا خبرة واسعة في الحرب والقتال ، لذا اضاف اليه السلطان علاء الدين بعض المهام العسكرية ، وشن حملة عسكرية ناجحة في اقليم الكجرات ، ومات وهو يحارب في رانثمبهور ، لكنه لم يوفق في الاشراف على الادارة المالية ، بل اساء الى الاهلين ، واغتصب منهم الاموال الكثيرة (١) .

وثمة وزير آخر هو سيد خان يذكره فرشته (٢) ، كان وزيرا للبلاط بالاضافة الى عمله كوزير للدولة ، وكان قائدا عسكريا ماهرا ، يحبه السلطان ويؤثره .

وفي عهد السلطان علاء الدين كانت مهمة الوزير الاولى العمل على زيادة إيرادات الدولة ، لشدة حاجة السلطان الى المال لتغطية نفقاته العسكرية الكثيرة ، ويجب على الوزير ايضا في دولة محاربة كهذه - الكفاءة العسكرية والمهارة القتالية ، فقد كانت سلطنة دهلى - كما رأينا - معرضة للغزو المغولى من الشمال الغربى ، وفي حروب متصلة لصد المغول ، وغيرهم من الغزاة وفي نفس الوقت قامت سلطنة دهلى بغزوات كثيرة للتوسع في شبه القارة الهندية او لقمع الحركات الانفصالية . على كل حال كان الوزير مسؤولا امام السلطان عن مباشرته للاجهزة الادارية والمالية للدولة ، والاشراف على حكومات الولايات ، وتقوية الاجهزة العسكرية للدولة ، وقيادة الجيوش لدرء الأخطار الخارجية او لتوسيع رقعة الدولة او التنكيل بعناصر الفتنة والثورة على السلطان .

ومن وزراء السلطان فيروز شاه ، خان جهان ، وهو من اصل هندوسي ، وكان اداريا حازما ، ورجل دولة ، ويرجع اليه الفضل في الانجازات والاصلاحات التى حققها فيروز شاه لشعبه ، والرخاء الذى نعم به

Lal. op. cit., p. 156 - 157.

(١)

(٢) تاريخ فرشته ، ص ١٥٨ .

الجماهير ، وكان يقول : ان الله الرحيم جعلنى خادمه ، وانا اطلع الى رحمته بالاخلاص لمنع القتل غير القانونى للمسلمين ، والايداء لهم سواء منى او من واحد آخر . وجدير بالذكر ان هذا الوزير كان يرسل الاعانات لكل من اضر في العهود السابقة بالايداء والتشويه ، وجعل للجند رواتب ثابتة من خزانة الدولة ، بعد ان كانت من الاقطاعات ، ومنع نهائيا التعذيب للمساجين والمتهمين الذى كان سائدا في العهود السابقة (١) .

انحصرت الاعمال الادارية في سلطنة دهلى في عدة دواوين ، وبرزها ديوان الوزارة او الرئاسة - الذى تحدثنا عنه - يليه في الاهمية ، ديوان العارض ويختص بشؤون الجيش من تغطية نفقاته الحربية وارزاق الجند، وجمع الفرق العسكرية او الامدادات ، وتدير الاموال للعناية بمتطلبات الجيش ، واعداد التقارير العسكرية ، والتفتيش على وحدات الجيش ، وتفقد اسلحته ، وتزويده بما يحتاجه من اسلحة ومؤن ومعدات ، وصاحب ديوان العارض يصحب الجيش في المعركة ، وحيانا ينيب عنه من يقوم بهذه المهمة . وعلى صاحب هذا الديوان ان يستقبل الفرق العسكرية التى يكلف السلطان الولايات بامداد دهلى بها ، ويتأكد من مطابقتها لاوامره ، وعليه الاستعداد للحرب واعداد الفرق اللازمة لذلك وعليه ان يدبر رواتب الضباط والجند ، ويباشر ترتيبات نقل الجند الى ميدان القتال (٢) . وكان لهذا الديوان اهمية كبرى ، لذا رأت حكومة دهلى وضع ميزانية مستقلة له عن ميزانية الدولة تيسيرا لمهمته وفي عهد علاء الدين ولى ديوان العارض، ملك نصر الملك ونائبه حاجى خفاجى واعتاد الذهاب مع ملك كافور في حروب دكا ، وكان لجهود هذين الرجلين في دكا اثر كبير في انتصار جيوش دكا (٣) .

وصاحب ديوان العارض يجب ان يكون رحيمًا بالجند رؤفا بهم ، وفي نفس الوقت حازما معهم ، ويتصرف معهم كوالد ويعاقبهم بالاسلوب

Rawlinson. op. cit. p. 285

(١)

(٢) بارانى : تاريخ فيروز شاہى ، ص ٢٤٨ .

Lal : op cit., p.p. 158-159.

(٣)

الابوى لولد عاق ، فلا يقسو على الجندي ، وكان عماد الملك - صاحب ديوان العارض في عهد السلطان بلبن - يعامل الجند معاملة ودية ، ويساعد المستحقين منهم من امواله الخاصة ، ونجح بلبن بكفاءة هذا الرجل من تكوين جيش قوى يضم جندا مخلصين .

واشتد علاء الدين في معاقبة الموظفين الماليين الذين يقصرون في دفع ارزاق الجنود ومستحقاتهم ، وامر رئيس ديوان العارض بالا يقسو في معاقبة الجند واصدر تعليماته الى قائده - ملك كافور في حرب دكا - بان يكون والده فاضلا لمضباطه وجنوده (١) . وهذا يوضح سر نجاحه كقائد اعلى للجيش ، وواضع اساس امبراطورية مترامية الاطراف .

والديوان الثالث في الدولة ، ديوان الانشاء ، واختصاصه تحرير المراسم ووثائق التولية والعزل والرسائل الرسمية ، ومراسلة حكام الولايات والموظفين واعداد القرارات الحكومية . ويستعين صاحب ديوان الانشاء بعدد من الكتاب والموظفين ، ويشترط في هؤلاء الكتاب الدقة في التلخيص ، والمهارة في قراءة الخطوط الغريبة ، وحسن عرض الموضوعات ، ومن بين هؤلاء الموظفين موظف يعرف بكتاب الديوان ، يختص بترتيب الكتب وتلخيصها ، ويعرضها على صاحب الديوان ، والمراجعون يختصون بقراءة وتصفح كل ما يكتب في الديوان قبل ان يراجعة صاحب الديوان ، واختص الخطاطون بتبيض الكتب ، ويحفظ الخازن المكاتب التي ترد الى الديوان ، ومن اهمها الاوامر الرسمية التي تصدرها الدولة ، ويحتفظ بسجل خاص للمنشورات ليسهل عليه حصرها . ويعد هذا الديوان التقارير اللازمة لانجازاته . وكان صاحب هذا الديوان في عهد السلطان علاء الدين ، كبير الدين بن تاج الدين عراقى ، وكان على جانب كبير من الكفاءة والمقدرة ، وكتب كبير الدين كتابا عن عهد علاء الدين ، تضمن انجازاته العسكرية وانتصاراته الحربية ، وفقد هذا الكتاب (٢) .

والديوان الرابع ديوان المراسلات ، والمراسلات هنا خاصة بالمراسلات الخارجية او الدبلوماسية ، ويشبه هذا الديوان في اختصاصاته ، وزارة الخارجية في يومنا هذا ، يقوم بتغطية كل المراسلات التي ترسل الى الدول الخارجية ويبقى على اتصال وثيق بالسفراء ، وقد عني الخلجيون بهذا

(١) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .

(٢) المصدر السابق .

الديوان ، ومن أبرز من أشرف عليه ملك حميد الدين وعزيز الدين ، وعننى بهذا الديوان السلطان علاء الدين ، وكان لا يسند رئاسته الا لمن يوليه ثقته وتقديره (١) .

واهتم سلاطين دهلى بالقضاء، لان العدالة هي المقياس الدقيق لقياس السوء من الجيد من الناس كما يقول بارانى ويحترمها الهندوس والمسلمون على السواء ، لذا كان واجب القاضي مباشرة عمله في محاكم علنية ، وحرص سلاطين دهلى مثل التمش وبلبن وعلاء الدين ومحمد تغلق على النظر في القضايا التي ترفع اليه في المحاكم العلنية ، وكان السلطان ينظر بنفسه في المظالم التي ترفع اليه في مجلس عام ومن حق اى مواطن ان يلجأ الى السلطان للنظر في ظلامته ، والمطالبة برفع مظلمته او بالعدالة ، وعرف عن كل من التمش وبلبن حرصهما الشديد على ان تكفل العدالة لكل مواطن ، وكان التمش ، يطلب من المظلومين ان يرتدوا زياله لون معين (٢) ، فكان في تجواله او في مجلسه اذا رأى رجلا يرتدى الزى ، يستدعيه ، وينظر في ظلامته ، كما اقام اجراسا امام قصره ، ومن حق المتظلم ان يدقها ، فيستدعيه السلطان الى داخل القصر ، وينظر في امره (٣) . وشيد بلبن دارا اسمها دار الامن ، يلجأ اليها اصحاب المظالم ، وينظر في شكواهم ، ويخفف اعباء الحياة عنهم ، ولم يفرق في ذلك بين رعاياه الهنداكة والمسلمين . ولكن لم يصف لنا ابن بطوطة وغيره من المؤرخين الذين عاصروا هذه الفترة - التي نحن بصدد الحديث عنها - محكمة هؤلاء السلاطين (١) .

ويتولى السلطان رئاسة السلطة التشريعية بالاضافة الى السلطة التنفيذية ويعين قاضي القضاء ، ويشبه اختصاصه اختصاص وزير العدل في أيامنا هذه ، اذ يعين القضاء في النواحي ، ويساعد القضاء في مهامهم المفتين ، وهم من علماء الفقه والتشريع ، ويستعين بهم القضاء في ابداء الراى في القضايا المعقدة ، ولكل مدينة قاض ، وينيب عنه في القرى

Lal. op. cit. p. 159 - 160.

Munshi : The struggle for Empire. p. 18.

IBID. PP. 157 - 158.

Wahed Husain : Administration of justice during the Muslim rule in India p. 22.

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

التابعة للمدينة ، كبار رجالها ، للفصل في القضايا التي تعرض عليهم ، وكان يعهد للأمراء وقواد الجيوش وكبار موظفي الدولة النظر في القضايا التي تتعلق بإداراتهم ، ولا يحتاج الفصل فيها الى قانون أو تشريع (١) .

وكان يتم الفصل في القضايا بسرعة ، وبدون تعقيدات إدارية أو إجرائية ، ولا يحق للمتهم ان يعهد لمحام بالدفاع عنه ، ويتم الحكم بعد مناقشة المتهم والشهود ، والاستماع الى شهاداتهم ، ويتم الحكم من واقع للشرعية الإسلامية (٢) .

لكن باراني (٣) لم يكن مقتنعا بسنير العدالة في عهد السلطان علاء الدين ، ويقول ان قاضي قضاة المملكة صدر الدين على الرغم من عدالته وخبرته الواسعة لم يكن ضليعا في استنباط الاحكام من الشريعة ، ويقول ان مولانا زياد الدين القاضي ونائبه جلال الدين كانت تنقصهما قوة الشخصية، التي يجب ان يتحلى بها صاحب هذا المنصب الرفيع ، كما ان القاضي حميد الدين الملتاني لم يكن كفؤا في القضاء بل فقد القضاء هيئته في عهده .

على ان استياء باراني من بعض القضاء لا يعنى فساد نظامه في عهد علاء الدين . حقيقة حدثت مساوئ في القضاء يمكن ان تكون فردية ، فبعض نواب القضاء كانوا يجلسون في المساجد للفصل في القضايا ، فيأخذون اموالا ورشاوى من المتهمين وبديهي لم تصل هذه المفاصد الى مسامع السلطان الذي عرف عنه الشدة والحزم . وفي عهده كان القضاء يعاملون باحترام شديد ، ومن حقهم محاكمة اعظم موظفي الامبراطورية وحرص علاء الدين على مراقبة القضاء والتأكد من حسن سلوكهم في حياتهم العامة والخاصة ، ولا يتردد في معاقبة من ثبت عليه تهمة شرب الخمر . وجهازه الإداري كان من الكفاءة بحيث لا يغيب عنه معرفة الموظفين السيئين، وكانوا لا ينجون من عقابه وهذا لا يمنع من وجود قضاة على جانب كبير من السوء في عهد علاء الدين ، ولكن السلطان طالما كان حازما ، شديد البأس في مراعاته للعدالة ، فمن الطبيعي ومن المنتظر مسير العدالة في مسارها الصحيح، ويعيش الناس في أمن وطمأنينة تبعا لذلك (٤) .

Parasad : Hist. of qaraunah Turks, 1. 269.

(١)

Parasad, 1. 269.

(٢)

(٣) باراني : تاريخ فيروز شاهي ، ص ٤٤٦ .

Parasad. op. cit. p. 269.

(٤)

قلنا انه من الناحية الرسمية بحكم القاضي طبقا للشريعة الاسلامية غير أن العقوبات التي كانت تفرضها الدولة شديدة قاسية بعيدة كل البعد عن احكام الاسلام ، تضمنت بتر الاطراف ، واحيانا الجلد اكثر من مائة ، ويصف فرشته (١) بعض العقوبات الشائعة في ذلك الوقت ، فيقول انه كان يتم اراقة دم المسلمين لاسباب تافهة بسيطة ، ولجرائم صغيرة ، ومعاقتهم بقطع ايديهم واقدامهم وانوفهم وآذانهم وسمل العيون ، وضرب المذنبين بالمطارق حتى تكسر عظامهم ، وحرق الجسم بالنار وفصل الجلد من الجسم ، ونزع الاظافر ، واخيرا اذا كانت الجريمة كبيرة يقطع جسم مرتكبها اربا . والتاجر الذي يتلاعب في وزن السلع او غشها ، يعاقب بقطع بعض اعضاء جسمه ، ويعاقب الزاني بالموت ، والعقاب يتم علانية في مجمع من الناس ، وتعرض رأس القتل او يد السارق في مكان عام (٢) .

ومن يحكم عليه بالسجن ، يستجن في آبار اعدت لهذا الغرض ، ولما كانت هذه السجون مفرقة وغير صحية ، وفيها اهمال شديد للسجناء ، فكثير من نزلائها كانوا يموتون فيها ، واذا خرجوا منها ، خرجوا كأشباح بعثوا من القبور ، وجدير بالذكر أن احد نزلاء السجون في عهد السلطان محمد بن تغلق ، وصف السجن بأنه مأوى للحيات والحشرات الضارة ، وأن احدا لا يخرج منه على قيد الحياة . والخلاصة أن العقوبات كانت في بعض الاحيان شديدة قاسية تتنافى تماما مع روح الاسلام السمحة (٣) .

استعان سلاطين دهلي بعدد من الموظفين الكفاء في الادارة والمخابرات للاشراف على تنفيذ سياستهم الداخلية في البلاد حتى يضمنوا استمرار حكمهم ، وعدم ظهور حركات تمرد ضدهم ، ويرأس جهاز الاشراف هذا المشرف على المملكة ، ويشبه اختصاصه رئيس المخابرات الآن وهو واسع النفوذ والسلطان ، وعلى عاتقه مسؤوليات جسام ، اذ يشرف على تنفيذ اوامر الدولة وقوانينها ، وينصح السلطان في الامور الهامة ، ويوضح له او يحذره من الاخطاء السياسية التي قد يرتكبها ويقوم بحماية حريم الملك

(١) تاريخ فرشته ، ص ١٦٠ .

(٢) باراني : تاريخ فيروز شامي ، ص ٣١٣ .

(٣) Nazim : Sultan Mahmud of Ghaznin. p. 144.

في حالة غيابه عن العاصمة ، ولصاحب هذا المنصب تأثير كبير على السلطان مثل ملك فخر الدين في عهد بلبن ، ونصرت خان في عهد علاء الدين ، وحديث المشرف علاء الملك (١) . وتأثيره على علاء الدين يوضح بجلالة مركزه واختصاصه وسعة نفوذه .

نظم علاء الدين ادارة دولته ، وعزز الادارة بوظائف جديدة ، عين لها رجالا اكفاء ، واوجد فيما اوجده وظيفة المحتسب ، ومن اختصاصه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ويراقب حركة الاسواق ، ويمنع الغش في الموازين والمكايل ، ويمنع التجار من رفع الاسعار (٢) .

واذا كانت هذه الاجراءات الادارية قد نظمت امور البلاد ودعت الناس الى السلوك القويم ، فان نظام الجاسوسية قد اقلقهم وافزعهم واثار مخاوفهم ، فشكل سلاطين دهلي اجهزة للجاسوسية ، يقوم بادارتها موظفون مدربون على هذا العمل ، ولقد كان هذا النظام قائما في عهد السلطان محمود الغزنوي اذ استحدث منصب المشرف على المملكة ، ويشبه اختصاصه ، اختصاص رئيس المخابرات في عصرنا الحالي ، فهو يقوم بجمع الاخبار التي تتعلق بالدولة ، والتي تمس امنها وسلامتها ، وينقلها الى السلطان ، ويعاونه في عمله اربعة مشرفين يرأسون عددا كبيرا من المشرفين الاقل منزلة ، ويتولى كل واحد منهم الاشراف على مدينة او ناحية وللمشرف جواسيس ينبئون بين الرجال لمعرفة الاخبار ، وينقلونها الى المشرف الذي يبلغها الى السلطان (٣) .

واعد بلبن جهازا قويا للجاسوسية ، يحيطه علما بكل اخبار موظفي الدولة ، ويراقبون المصالح الحكومية ، والجيش والبلاط الملكي ، وحتى ابناء السلطان ، ويرفعون تقاريرهم الى السلطان ، وكان هناك جواسيس لمراقبة الجواسيس في اعمالهم ، والتأكد من صحة بياناتهم (٤) ، ومن اختصاص جهاز المخابرات ادارة البريد ، ويرأسه صاحب البريد الذي

(١) باراني : تاريخ فيروز شاهي ، ص ٢٨١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٨٦ .

(٣) عصام الدين عبد الرؤف : تاريخ الإسلام في جنوب غرب آسيا في العصر التركي

ص ١٥٣ - ١٥٤ .

K. Ali : A New Hist. of Indo-Pakistan. p. 59.

(٤)

يساعده عدد من الموظفين يعينون في المدن والاسواق وفي التجمعات السكانية ويرفعون الى السلطان تقارير عن كل ما يجري في المملكة ، ويستطيع السلطان بواسطة عامل البريد ان يقف على كل صغيرة وكبيرة في دولته ويطمئن على احوال الناس المعيشية ، وعلى ولاء حكام الاقاليم والشعب له وعلى عدالة القضاة والاجهزة الادارية في الدولة . وبذلك يكون متصلا تماما برعيته ، آمنا على ملكه .

حرص السلطان علاء الدين على حسن تنظيم مخابراته ، ودفعها الى تادية واجبها على اكمل وجه ، ولم يكتف بنظام البريد ، بل عين الى جانب نظام البريد ، موظفين يعرفون بالاستعلاميين ، وهم من مستويات مختلفة ، ومهمتهم اعلام السلطان بالامور التي تتعلق بالاشخاص على اختلاف مستوياتهم ، لذا كان من حق الاستعلاميين دخول منازل الناس ، ومراقبة ما قد تصدر منهم من اساءات نحو نظام الحكم القائم ونحو السلطان . ويذكر باراني (١) ان علاء الدين بواسطة هؤلاء الناس كان يعرف ما يجري في منازل الامراء والموظفين ورؤساء الدواوين وكبار رجال الدولة وقادة الجيش . على ان هذا النظام قد نشر الخوف بين الناس ، والقي الرعب في قلوبهم ، وفقدوا الثقة في بعضهم البعض ، وامتنع الناس عن التكلم في الامور التي يخشون وصولها الى السلطان ، بل صاروا يتكلمون همسا . وكان الفرد يعاقب ويحاكم على ما قد يصدر منه من قول او كلام يفضب السلطان . لذا عاش الناس في خوف وفزع من تقارير هؤلاء الاستعلاميين ، واصبح الفرد غير آمن على نفسه في يومه وغده ، وقبح الناس في بيوتهم خوفا من الخروج الى الاماكن العامة ، والخوض في احاديث تؤدي بهم الى السجون (٢) . على ان هذا النظام لا يسود الا في ظل الحكومات الاستبدادية ، ورغم مساوئه ومتاعبه لافراد الشعب ، الا ان اثره اتضح في حسن ادارة الاسواق وحفظ الامن والنظام ، واختفاء اللصوص وقطاع الطرق ، وقمع حركات التمرد والعصيان ، وحرص موظفي الدولة على تادية واجباتهم بنزاهة واخلاص لشدة ما عليهم من رقابة .

حرص بسلاطين دهلي على تيسير الشؤون الادارية للبريد ، وحينما

(١) تاريخ فيروز شامى ، ص ٢٨٦ .

(٢)

Lal : op. cit. p. 167.

IBID. P. 167.

يرسل السلطان حملة الى بعض البلدان البعيدة ، يؤسس مراكز للخيل ومشاة بين العاصمة ووجهة الجيش ، ويعهد الى موظفى البريد بارسال تقارير عن سير الحملة الى السلطان في دهلى في كل يوم او على الاكثر كل ثلاثة ايام ، وكان لعلاء الدين ادارة بريدية تدار بحزم ، ويتم استبدال الخيل والمشاة في مراكز البريد بانتظام، وحرص سلاطين دهلى على أن تكون المسافات بين المحطات البريدية متقاربة ، كما كان الحال في بلدان الخلافة العباسية . وقد وصف ابن بطوطة (١) طرق البريد في سلطنة دهلى ، فقال انها افضل منها في مصر والشام ، وان الاشجار على جانبى الطريق ، ووسائل الراحة مكفولة في محطات البريد ، وبلغت المسافة البريدية مرمى اربعة اسهم ، وفي عهد محمد بن تغلق بلغت المسافة البريدية عشر جريات سريعة .

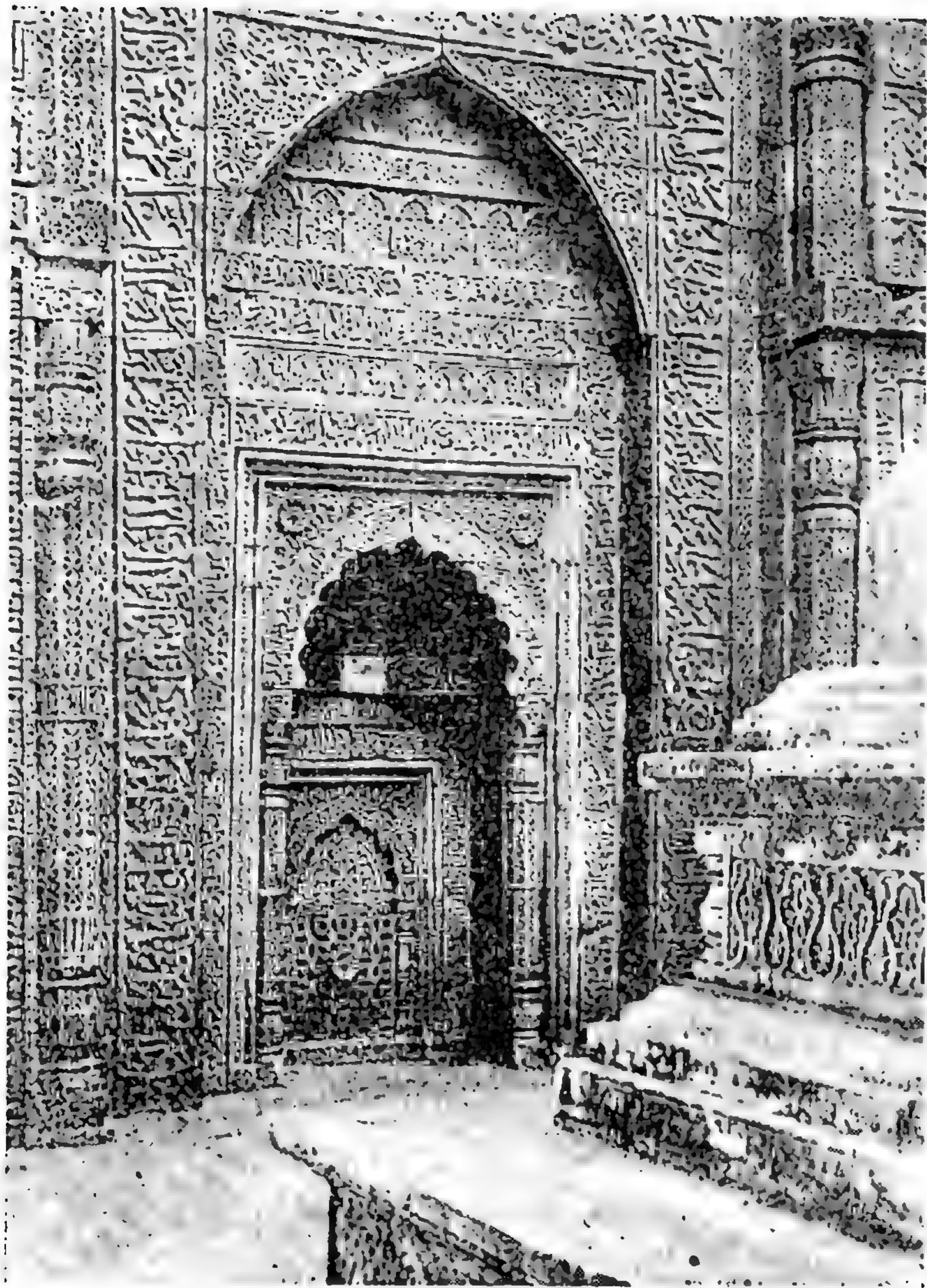
وفي حالات عدم الاستقرار السياسي يتأخر وصول البريد ، كما حدث اثناء حصار ملك نائب كافور لقلعة Warangal لم يتسلم علاء الدين اخبارا عن الحصار الا بعد اكثر من اربعين يوما . ومن ناحية اخرى يرجع الفضل الى البريد في ابلاغ السلطان علاء الدين عن ثورة موالى حاجى في اليوم الثالث من حدوثها ، ويرجع الفضل الى البريد وانجازاته الناجحة ايضا في نقل خسروخان من ديفاجيرى الى دهلى بأمر من السلطان قطب الدين (٢) .

وعلى كل حال فان الخدمة البريدية في عهد سلطنة دهلى كانت تؤدي مهامها بنجاح وكفاءة ، وتساعد السلطان على معرفة كل ما يجرى في المملكة المترامية الاطراف ، ومراقبة شؤونها بالسرعة اللازمة .

(١) رحلة ابن بطوطة ، ص ٢٠١ .

Lal : op. cit. pp. 167-168.

(٢)



دهلى حاضرة السلطنة الاسلامية

دهلى مدينة كبيرة المساحة ، كثيرة العمارة ، ولقد قام بتوسيعها سلاطين دهلى ، وشيدوا بها الضواحي لسكناهم ، حتى ان ابن بطوطة يذكر انها اربع مدن متجاورات ، واهم هذه الضواحي سيري Siri ، وكان يقيم بها السلطان علاء الدين خلجي ، وابنه السلطان قطب الدين ، وشيد السلطان تغلق ، صاحبة تغلق آباد ، وشيد السلطان محمد بن تغلق ، جهان وشرع هذا السلطان في تشييد سور لهذه المدينة الكبيرة يضم ضواحيها التي ذكرناها ولكنه توفي قبل ان يتمه ، وتقع مساكن الحرس ازاء السور ، ومخازن الطعام والاسلحة والزرع حول السور لا يتغير ولا تتناهب الافات ويمشي في داخل السور الفرسان والرجالة من اول المدينة الى اخرها ، وابراج السور كثيرة ، وعدد ابواب دهلى ٢٨ بابا (١) .

وبخارج دهلى الحوض العظيم المنسوب الى السلطان التمش ومنه يشرب اهل دهلى ، وهو بالقرب من مصلاها ، وماؤه يجتمع من ماء المطر ، وفي وسط الحوض قبة عظيمة من الحجارة منقوشة ، وهناك حوض خاص للضاحية سيري اكبر من الحوض السابق (٢) .

وجدير بالذكر ان السلطان فيروز التغلقى ، انشا عددا من البساتين حول دهلى ، بلغت ١٢٠ بستانا ، واكمل الخزانات التي شرع علاء الدين في تشييدها (٣) .

ومسجد دهلى الكبير نحت من الحجارة البيضاء ، وبه ثلاث عشرة قبة من الحجارة ، وللمسجد اربعة صحنون ، وفي وسطه الجامع المعمور الهائل ، وفي الصحن الشمالى من المسجد الصومعة الكبيرة المبنية من الحجارة الحمراء ، خلافا لحجارة المسجد البيضاء ، ومنقوشة بالذهب الخالص ، وممرها واسع ، وقد شيدها السلطان بلبن ، والصاعد اليها يرى معظم بيوت دهلى (٤) .

(١) رحلة ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ١٨ .

(٢) رحلة ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ١٨ - ١٩ .

Rawlinson : op. cit., p. 243.

1) Lane Poole : Medieval India. p. 68.

(٣)

(٤)

ومما تجدر الإشارة إليه أن قطب الدين إيبك هو الذي بدأ في تشييد مسجد دهلي الكبير سنة ١١٩١ ، واكملة التمش سنة ١٢٣٠ ولاتزال منارة هذا المسجد باقية الى يومنا هذا ، وتسمى منارة قطب الدين ، وعلى واجهة أحد أبواب مسجد دهلي الكبير كتب باللغة العربية بحروف بارزة من الحجر « باسم الله الرحمن الرحيم والله يدعو الى دار السلام .. » ثم كتب تحت ذلك « جرت هذه العمارة بأمر ... » (١)

واضاف علاء الدين الى المسجد ، المدخل الجنوبي بناها في سنة ١٣١١ من الحجارة الحمراء والرخام الابيض . وهذا البناء من اجمل المباني في تاريخ الهند ويبدو اصغر من منار قطب الدين ، ويبلغ ارتفاع هذا المبنى ٢٢٨ قدما ، وتأخذ شكلا مخروطيا من القاعدة الى القمة ، وتتكون من خمس طوابق الثلاثة الاسفل من الحجارة الحمراء ، والطابقان الاعلى من الرخام الابيض ، وكل طابق له شرفة مزخرفة ، وتتش السطان اسمه على هذا المبنى (٢) .

وشيد السلطان فيروز شاه التغلقى مسجدا في دهلي ويذكر باراني انه « بناء عجيب وغريب في عظمته ومحرابه مرتفع حتى قيل انه يداني السماء » ويتعبد فيه عدد كبير من المؤمنين ، واقبل معظم سكان دهلي على هذا المسجد للصلاة فيه وبلغ من كثرة ازدحام المصلين به يوم الجمعة انه كان لا يبقى فيه موضع ، ويتجمع الناس في الشعاى المؤدية للمسجد ، ويفضلونه على غيره من المساجد .

Rawlinson : op. cit. p. 243.

(١)

(٢) تاريخ فيروز شاهى : ص ٧٨٨ .

النظام الادارى في سلطنة دهلى

انقسمت سلطنة دهلى الى عدة ولايات بلغت احدى عشرة ولاية في عهد السلطان علاء الدين وهى :

- ١ - الكجرات ، ويحكمها الب خان .
- ٢ - الملتان وسفستان ويحكمها تاج الملك كافور .
- ٣ - دبو بالبور Deopalpur وواليتها غازى تغلق .
- ٤ - سامانا وسونام ويحكمها آخور بك ناتك .
- ٥ - دهار ويوغان Dhar — Ujjain ويحكمها عين الملك مولتانى .
- ٦ - Jhain غيان وواليتها فخر الملك ميسارتى .
- ٧ - شيتسور وواليتها ملك أبو محمد .
- ٨ - شانديرى واراچ Iraj وواليتها ملك تamar .
- ٩ - بادون وكول وكارك وواليتها ملك دينار .
- ١٠ - أوده وواليتها ملك بوكتان .
- ١١ - كره وواليتها نصر الدين سوتيل (١) .

والوالى ينوب عن سلطان دهلى في حكم ولايته ، ومن مهامه حفظ الامن والنظام في الولاية ، والدفاع عنها ضد الاخطار الخارجية ، ومباشرة ادارة الولاية وتفقد احوال أهلها ، والفصل في خصوماتهم ، ويرسل فريقا من جيشه الى دهلى ، لينضم الى الجيش الفيدرالى في الامبراطورية ، ويقوم بجمع الضرائب من ولايته بواسطة موظفيه المالىين وينفق منها على ادارة الولاية واصلاحها ، ودفع مرتبات الموظفين ، ومتطلبات جيش الولاية ، ويرسل الفائض من هذه الاموال الى الخزينة المركزية في دهلى ، ومن واجباته الاساسية ارسال امدادات حربية اضافية الى سلطان دهلى اذا ما طلب منه ذلك (٢) .

ويقوم ولاة الاقاليم عادة في ولاياتهم ، وأحيانا يفضلون الإقامة في دهلى الى جوار السلطان ، ويرسلون ثوابا عنهم في ولاياتهم لادارتها ،

(١) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٢٢٣ .

(٢) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

ويتقاضى الوالى راتبه بنسبة دخل الولاية ، ولا يتدخل السلطان وحكومته المركزية في ادارة الولايات طالما كان الولاة موالين ومخلصين للسلطان (١) ، واذا ثبت عدم اخلاص الوالى يتعرض لعقاب صارم من السلطان . وعلى ذلك يمكن القول بأن حكومة دهلى اتبعت النظام اللامركزى في ادارة اقاليمها ، فكل وال مستقل في ادارة شؤون ولايته (٢) . وهذا النظام يشبه الى حد كبير الدولة السلجوقية في عهد ملكشاه ، اذ كان يقطع اقاليم دولته الى اقربائه او كبار رجال دولته . وفي سلطنة دهلى كان الوالى اشبه بالحاكم الاقطاعى في ولايته ، يقطعها له السلطان ، ويبقى في اقطاعه طالما بقى على الولاء والاخلاص للبلاط الامبراطورى (٣) .

على ان سلطان دهلى حرص على مراقبة ولائه وعماله ، وكان يعزل او يعاقب او ينقل الوالى الذى تحوم حوله الشبهات في عمله وولايته ، وكانت الحكومة المركزية في دهلى تراجع البيانات المالية التى يرسلها الوالى اليها ، ويتأكد الوزير من عدم تلاعبه بأموال ولايته ، ومن ارساله الفائض منها فعلا بعد تغطية وجوه الانفاق فيها ، ويحدد ديوان العارض عدد الجند الذى يرسلها الى دهلى ، ومقدار التجهيزات العسكرية المطالب بتقديمها . ويتفقد السلطان الشكاوى التى يرسلها الافراد في الولايات اليه ضد الوالى ، ويتحقق من خلايا هذه الشكاوى عن مدى تأدية الوالى لواجبه ، ويعرف السلطان اخبار الولاية عن طريق البريد ، وطالما كان الولاة يسرون في الناس سيرة حسنة ، ويقدمون الالتزامات المطلوبة منهم الى حكومة دهلى ، فان سلطاتهم تكون واسعة في ولاياتهم ، ولا يتعرضون للعقاب او العزل او النقل . ومن اقوى ولاة سلطنة دهلى ملك كافور ، والى خان ، وغازى ملك ، حكموا ولاياتهم سنوات طويلة ، ونفذ هؤلاء الحكام الاقطاعيين اكثر من نفوذ حكام الولايات التى تديرها حكومة دهلى مباشرة ، فهؤلاء يتقاضون رواتبهم من دهلى ، وليس لهم نفوذ واسع في ولاياتهم مثل الحكام الاقطاعيين ، وهم يرجعون الى حكومة دهلى في ادارة ولاياتهم ، وينفذون قراراتها وتعليماتها بدقة (٤) اما الحكام الاقطاعيون فيديرون ولاياتهم دون الرجوع الى حكومة دهلى ، ويقدررون الضرائب على الناس كيفما شاءوا ،

Gibb : Damascus chronicles of the Crusades 111. 577. (١)

Habibullah. p. 233. (٢)

Moreland p. 23. (٣)

(٤) تاريخ بارانى ، ص ١٠١ - ١٠٢ .

ويباشرون الاختصاصات التي تحدثنا عنها ويؤدون لدهلي الالتزامات المالية والعسكرية التي ذكرناها (١) .

اشتمل الجهاز الحاكم في دهلي من حاشية السلطان ، وهم الوزير ، ورؤساء الدواوين وقواد الجيش وكبار موظفي البلاط الملكي مثل وكيل الدار ، ورئيس الحرس الامبراطوري وغيرهم من كبار موظفي الدولة ، وقد يصل احد هؤلاء الكبار من أولى المراتب الى العرش مثل ابيك والتمش وبلبن ، كانوا عبيدا أرقاء ، وتدرجوا في سلك الوظائف والمناصب حتى أصبحوا من الحاشية ، ثم تمكن كل منهم من تولى عرش السلطنة ، ومن أهم الشروط الواجب توافرها في أفراد الحاشية ، المقدرة العسكرية ، والكياسة والذكاء والمهارة وسعة الافق ، ولما كان أفراد الحاشية يتمتعون بنفوذ كبير في الدولة ، ويحظون بالقرب من السلطان ، فقد اشتدت المنافسة بين كبار الموظفين حول الوصول الى هذه المرتبة .

وتتكون الهيئة الحاكمة في الدولة من الخانات والملوك والامراء ، وهذه القاب عسكرية ، ولا غرابة في ذلك لان الدولة عسكرية الطابع ، والخان تحت يده عشرة آلاف حصان والملك ألف ، والامير مائة ، ولا نعرف تماما عدد افراد الفرق العسكرية التي يقودونها ، ولكن تدرج أعدادها طبقا للرتب العسكرية ، كذلك تدرج المراتب السنوية لهؤلاء النبلاء طبقا لمراتبهم ، واصحاب الرتب الكبيرة التي ذكرناها قريبين من السلطان ، ولهم دور فعال في مباشرة أمور الدولة السياسية والعسكرية (٢) .

على ان افراد الهيئة الحاكمة كانوا من جنسيات مختلفة ، من الترك والافغان والهنود والفرس ، وان كان الخانات عادة من الترك ، لذا تنازع وتنافر افراد هذه الطبقة ، لعدم تجانسها ، فضلا عن المنافسة الشديدة فيما بينها حول السيطرة على زمام الامور في الدولة ، والتقرب من السلطان على حساب الآخرين وطبيعي ان يؤثر ذلك على ادارة الدولة ، ويؤدي الى انتشار الفساد فيها ، نتيجة لفساد الطبقة الحاكمة ، وتنازعها حول السلطة والنفوذ ، وتدبير المؤامرات والدسائس ووضع العراقيل في سبيل كل من يبرز منهم ، ويقترب من بلوغ العرش ، ولم تقتصر الخلافات حول

(١) تاريخ فرشته ، ص ١٢٣ .

Lal : op. cit., p. 71.

(٢)

السلطة بين أفراد الهيئة الحاكمة ، بل تعداه الى حكام الولايات فاشتدت الخصومات فيما بينهم ، وانساق في خصوماتهم افراد الهيئة الحاكمة بالانحياز الى فريق دون فريق . ومن الطبيعي ان تؤدي هذه المنازعات الى فساد الادارة الحكومية ، وعرقلة الاصلاحات التي تحتاجها الدولة ، والانجازات التي يحتاجها المواطنون من حكامهم (١) .

وكانت المنافسة اشد بين نبلاء الترك ونبلاء الهنود والترك كانوا اولى بأس شديد في السياسة والحرب واكثر تفوقا ونفوذا من العناصر الأخرى ، وقد تأمروا على النبيل الهندي عماد الدين رهان ، وما زالوا به حتى أبعده ، وأدى الصراع بين النبيل الهندي كافور ، وألب خان في الايام الأخيرة لعلاء الدين الى ضياع هيبة الامبراطورية ، بل كاد ان يؤدي بها الى الهاوية (٢) .

واخطر ما في هذه الصراعات ، محاولة بعض افراد الهيئة الحاكمة من النبلاء السيطرة على مقاليد الامور في الدولة دون السلطان اذا أتاحت لهم الظروف بذلك ، كأن يكون السلطان ضعيفا أمثال جلال الدين الخلجي ، وقطب الدين الخلجي ، حيث سيطر النبلاء على الحكومة ، واشتدت المنافسة بينهم ، وأصبح كل منهم غير آمن على نفسه وعلى مركزه من زملائه ، وبدلا من أن يوجهوا جهودهم لاداء مهامهم الوظيفية ، اضعفوا الوقت في التآمر على بعضهم البعض بغية الوصول الى السيادة والحكم ، أما اذا كان السلطان قويا ، فان كل نبيل يلزم حدود مهامه الوظيفية ، ويخدم باخلاص حتى ينال رضا السلطان ، ويضمن البقاء في منصبه ، وعدم التعرض لعقابه بل يمتنع عن الخوض في المؤامرات والدسائس .

وفي عهد بلبن كانت الهيئة الحاكمة من النبلاء تضم الارستقراطية التركية ، وسيطروا على العرش ، وكان بلبن يخشي بأسهم وقوتهم ، على انه استطاع أن يضعفهم وينقص من نفوذهم (٣) .

ولما ولي السلطان جلال الدين الخلجي العرش ، استعاد النبلاء « الاربعين » الترك سلطاتهم ، لان جلال الدين يسر لهم ذلك ، اذ هو مدين

Munshi. op. cit. p. 147.

IBID. p. 148.

(١)

(٢)

(٣) باراني : تاريخ فيروز شاهي ، ص ١٩١ - ١٩٣ .

لهم بنجاحه في الثورة الخلقية التي جعلته يهدم حكم الملوك المماليك ، وينقل الحكم الى اسرته ، ومن أسباب ازدياد نفوذ النبلاء الترك أن جلال الدين لم يكن بطبيعة الحال ميالا الى العنف ، ومع ذلك فقد راقبهم بشدة ، وأعطاهم الحرية في الانصراف الى مجالس اللهو والطرب ، حتى ينشغلوا بذلك عن السياسة وتدبير المؤامرات ضده ، ولم يستعن بهم في الاعمال الرئيسية (١) .

ولما ولى السلطان علاء الدين العرش كان يعرفهم حق المعرفة ، وقد ساعده في كرهه ضد جلال الدين ، ووقفوا الى جانبه في الانقلاب الذي أطاح فيه بعلمه جلال الدين وولى هو السلطنة ، وقد لمس بنفسه اخلاص بعض النبلاء وتفانيهم في ادارة الدولة وتنفيذ سياسته وتعليماته مثل ملك حميد الدين وملك عزيز الدين وعين الملك مولتاني وغيرهم من الرجال المجريين من اهل السياسة والحرب (٢) .

راى علاء الدين أن الفساد في الدولة ليس مرجعه فقط الى طبقة النبلاء الحاكمة ، انما يرجع الى عدة عوامل اولها أن السلطان لا يعنى بتخفيف أعباء المعيشة لدى الجماهير الكادحة ، وثانيها الإبقاء على مجالس الشراب التي تتضمن عادة التقاء الناس ببعضهم ، والانطلاق في الحديث عن السياسة والحكم ، وتدبير المؤامرات ضد السلطان ، وثالثها العلاقات الوثيقة بين أفراد الهيئة الحاكمة ، فاذا أصيب واحد منهم بضرر انضم اليه الآخرون ، وأخيرا فان الثروة تجعل أصحابها أولي بأس شديد ، وينضم الى أصحابها أنصار وأعوان وقد يقفوا بقوة في وجه السلطان في وقت من الأوقات (٣) .

راى السلطان علاء الدين أن الهيئة الحاكمة أصبحت تشكل مراكز قوى في الدولة ، وخشي بأسها ، وراى أنها ربما تعمل على تحطيم سلطانه أو تقليصه ، لذا شرع في مراقبتها وتحديد نفوذها ، فبعد أن عاد من رانثمبور سنة ١٣٠١ وقضى على بعض الثورات التي قامت ضده ، أصدر عددا من المراسم تهدف الى تحديد امتيازات النبلاء ومراقبتهم ومنعهم من الاختلاط

(١) المصدر السابق ، ص ٢٨٢ .

(٢) تاريخ باراني ، ص ٢٨٢ .

(٣)

Lal : op. cit. p. 173.

ببعضهم البعض ، والاجتماع في حفلات ترفيحية ، والدخول في علاقات وثيقة فيما بينهم ، مثل المصاهرة قبل اذن سابق منه - اى من السلطان - وتدرجيا قضي السلطان على حرية النبلاء الشخصية بل فرض عليهم مقومات العبودية الثلاثة ، فكان على السلطان ان يرث النبيل ، ولا يعقد زواجا بدون اذن مسبق منه ، ويتبع ذلك تبعية ابناء النبلاء للسلطان كتبعية العبد لسيده ، وحرص السلطان علاء الدين على تطبيق قراراته هذه بكل قوة وحزم حتى اصبح النبلاء موالين له تماما ، وكان كل منهم يحذر من زميله ، ولا يجرؤ على الكلام معه بصوت مرتفع خشية من الرقابة واكتفوا بالتعبير عن آرائهم فيما بينهم همسا (١) وبذلك اهدر هذا السلطان حقوق رجاله في الحرية والتعبير والحركة .

وامعن علاء الدين في الكف من نشاطات النبلاء ، واشتد في رقابة حتى اقرب النبلاء اليه ، ولا يمكن تصديق كل روايات المؤرخين المعاصرين ، الا انه من الثابت ان علاء الدين اشتد في رقابة نبلائه ، فوضع يلغ خان في موضع الشك بسبب طموحه ، وحقد على ظفر خان المحبوب وكان سعيدا لموت الرجلين ان لم يكن مسئولا عن مصريرهما واما الب خان وكافور فقد خدماه بكل اخلاص ، والا للقيام مصيرا قاسيا من السلطان (٢) .

اما النبلاء الاقل منزلة من الكبار ، فقد حدد علاء الدين امتيازاتهم ونفوذهم وساروا في فلك السلطان لا يجرؤ واحد منهم على معارضة رغبات السلطان ، أو السير في الاتجاه الذي لا يرضاه ، وامعن علاء الدين في منع النبلاء من الاختلاط ببعضهم بعضا ، فتحريره الخمر على النبلاء لا لانها محرمة شرعا فقط بل وايضا حتى لا يندمج النبلاء مع بعضهم في مجالس الشراب ، ويفقدون وعيهم ، وقد يتكلمون في السياسة ، ويتحدثون عن الحكم بدون حذر ، وقد يجرحهم ذلك الى تدبير المؤامرات ضد السلطان وقد واجه كثيرا منها بالفعل ، وكان بعض خواصه ينصحونه بعدم شرب الخمر لانها تصرف الحاكم عن اداء واجبه على الوجه الاكمل .

على كل حال اصدر علاء الدين قرارا بتحريم شرب الخمر وغيرها من المسكرات في دولته ، ومنع تداول الخمر بالبيع والشراء كما نهى عن لعب الميسر والنرد . وكل هذه القرارات تهدف الى منع ما قد ينشأ عنه

(١) باراني : تاريخ فيروز شاهى ص ٢٧٠-٢٧١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٨٤ .

من اجتماعات تؤدي الى صداقات ولقاءات يطمئن الناس فيها الى بعضهم البعض ويتحدثون في موضوعات سياسية ينتقدون الحكم والسياسة ، وقد يدبرون المؤامرات والدسائس ضد السلطان والحكومة .

عهد السلطان الى بعض موظفيه بتنفيذ تعليماته الخاصة بالخير بكل دقة ، وكانوا يركبون الفيلة ، ويتجولون في شوارع دهلي ، ويعلنون بصوت عال قرارات السلطان بمنع بيع وشراء الخمر وأنواع المسكرات وتعاطيها ، واقتحموا محلات بيع الخمر وحطموا أوعيتها وكؤوسها ووضعوا حطامها في اكوام امام إحدى بوابات دهلي ، واغلقوا جميع حوانيت الخمر ، وضرب السلطان المثل بنفسه ، فأمر بتحطيم جميع أواني الخمر في القصر . اما ما كان منها من أوعية ذهبية وفضية فقد صهرت وصيغت عملة ، والقيت في شوارع دهلي كميات الخمر المخزونة في القصر حتى أصبحت ارض دهلي مغطاة بطبقة طينية ، كما لو كانت في اشد الاوقات مطرا (١) .

واقتردى الناس بالسلطان الذي بدا بالتحريم على نفسه وتوقفوا عن الشرب على ان اوامر التحريم ظهر من خالفها ، اذ لجأ بعض التجار الى بيعها سرا في السوق السوداء في أوعية صغيرة للمدمنين الذين لا يستطيعون الامتناع عن شرب الخمر ، وتسربت الخمر الى دهلي من خارجها في أوعية جلدية مخبأة في حزم من الحشائش والأعشاب ، وغير ذلك من الوسائل السرية ، ولما علم السلطان بأن الخمر تباع سرا ، تتبع تجارها وعاقبهم بكل شدة ، وجمعت خمرهم ، والقيت في اسطبلات فيلة السلطان ، وعاقب هؤلاء المخالفين بكل شدة ، وزج بهم في السجون ، قاسوا فيها البؤس والشقاء ، ومن نجا منهم بحياته ، ضعفت صحته واشتد مرضه (٢) .

ونفذت اوامر السلطان بتحريم الخمر ، ولم يعد يتناولها الا المدمنون الذين لا يبالون بالاوامر المشددة على الرغم من العقوبات السلطانية الصارمة ووجد هؤلاء من يصنع لهم الخمر ، ويبيعها لهم سرا ، وقد حققت سياسة علاء الدين هدفها من التحريم ، فلم تعد هناك اجتماعات لهو تحاك فيها الدسائس وهذا بال السلطان من هذه الناحية ، فتوقفت حركات التمرد ضد حكمه ، وامن السلطان على ملكه وعلى استتباب الامر في دولته ، ولما تحقق السلطان من نجاح سياسته ، خفف من القيود التي وضعها على شرب الخمر (٣) .

(١) تاريخ فرشته ، ص ١٠٩ .

(٢) تاريخ فرشته ص ١٠٩ .

(٣)

١ - الجيش والاسطول

يقول بارانى (١) ان الملك يرتكز على دعائمين ، الاولى الادارة الحازمة والنزيلة والثانية الجيش القوى ، ولما كانت دولة المسلمين في الهند في العصر التركي عسكرية في طابعها ومن اهدافها السياسية الرئيسية ، التوسع في شبه القارة الهندية كما انها معرضة - كما راينا لغزو المغول من وقت لآخر ، فان وجود جيش قوى أمر ضرورى لتنفيذ سياستها وحماية امنها من الاخطار .

ولقد حرص علاء الدين خلجى على تكوين جيش قوى منذ الايام الاولى لحكمه ، ووجه كل جهده لتحسين ادارة شؤون الجند ، وتنظيم قواته . وكما ان الجيش حصن الامبراطورية فالحصون حوى الجيش ، ونقاطه الامامية ، وقواعد ارتكازه يرتكز فيها الجيش لحماية الوطن من هجمات المغول المتكررة على سلطنة دهلى . ويذكر بارانى (٢) ان السلطان بلبن اعطى اهتماما كبيرا لتأسيس الحصون خصوصا على الحدود الشمالية الغربية ، وزاد الاهتمام بتقوية الحصون حينما غزا القائد المغولى تارغى سلطنة دهلى في سنة ١٣٠٣ وقام علاء الدين بترميم القلاع القديمة ، واعادة تشييدها ، كما اسس قلاعا جديدة في المواضع الاستراتيجية من الامبراطورية ، وولى على هذه القلاع قوادا اكفاء ، واسس مصانع للأسلحة مثل المنجنيقات لتزويد الجيش بكافة الاسلحة الضرورية ، وباشرها مهندسون متخصصون في فن تصنيع الاسلحة ، وشيد مخازن للفلال والمؤن لامداد الجيش باحتياجاته .

ينقسم جيش دهلى الى فرق كل منها تمارس نشاطا معيناً من بينها الحرس الامبراطورى ويسمى Jandars ويتبعون السلطان مباشرة ، ويباشر امورهم بنفسه . والفريق الثانى ، عصب الجيش ، المشاة والفرسان ، وبكلفتهم بتنفيذ السياسة العسكرية للدولة ، والقسم الثالث يقوم بتزويد الجيش بالامدادات والمؤن والمعدات الضرورية . ويرابط فريق من الجيش في دهلى بالقرب من السلطان وهذا الفريق على اهبة الاستعداد دائماً للحرب ، والفريق الثانى يوزع في الولايات للمحافظة عليها من الهجوم

(١) تاريخ فيروز شاهى ، ص ٣١٧ .

(٢) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٢٩٣ - ٢٩٤ .

الخارجى وضمان ولائها وطاعتها لسلطان دهلى ، وقوامه من العناصر التركية المقيمة في السلطنة يضاف الى ذلك جنود من الفرس والهند ، وجيش دهلى مدرب احسن تدريب على الحرب والقتال وركوب الخيل والفيلة وخفة الحركة ، ولديه اسلحة متطورة ودروع رائعة وخيول قوية نشطة وفيلة مدربة ، ويرتدى الجند ملابس رقيقة تيسر لهم الحركة . والحقيقة ان علماء الدين ارسى القواعد الاساسية والتقاليد العسكرية التى سار على منوالها الحكام الذين خلفوه (١) .

ومهما يكن من امر فقد قسم جيش دهلى الى فرق على النظام التركى كالآتى :

قائد يرأس عشر فرسان مجهزين بالخيول والاسلحة يسمى Sarkhail
قائد : يرأس مائة فارس ويسمى Spahsalar
الامير : ويرأس الف فارس .
الملك : عشرة آلاف .
الخان : مائة الف (٢) .

الاسلحة والمعدات : اعطانا ناصر خسرو وصفا للعسكر في الارض المكشوفة أثناء الحرب والقتال ، فقال انه يقع في ارض مساحتها الف وسبع وعشرون ياردة ، ومحيط القلعة ، وهو محاط بالخيام تقع في حوالى ١٢ الف وخمسمائة وست اربعون ياردة وفي المعركة الجندى وحصانه موضع رعاية ، ومزود بوسائل الحماية ، فالجندى مزود بدرع ، والحصان يركب له قطعة من الصلب تحميه ، والجندى خوذة من الصلب او طاسة لحماية راسه ، والجندى مزود بسيفين بالاضافة الى الاسهم والاقواس وبلط المعارك ، ويقوم الجندى بوضع احد السيفين في سرج فرسه ، والآخر في جعبته ، والفيلة مكسوة بلوحات معدنية. واما الجند المشاة مزودون بأسهم طويلة واقواس بالاضافة الى السيف والخنجر . وتتكون آلات الحصار من المنجنيق وغيره وآلات الحصار تقذف الحجارة والقذائف . وعجلات الحرب تصل الى قاعدة القلعة بسرعة .

وتوجد آلات رافعة تصل الى قمة القلعة . واطخر ادوات الحرب ،

Quereshi : Administration of the Sultanate of (١)
Delhi pp. 234 - 235.
Lal : op. cit., pp. 192 - 193. (٢)

الفيلة المدربة ، وهى دبابات العصور القديمة والوسطى . ويحتفظ ديوان الحرب بسجلات تتضمن اسماء الجند وما يتعلق بهم وبرواتبهم . والقسم الذى يعملون فيه (١) .

حرص علاء الدين على تدريب الخيل على سرعة الحركة وامر بتربية خيول الحرب باعداد كبيرة حتى يتمكن من اختيار المناسب منها للحرب، وامر بفحص الاسلحة واختبار صلاحيتها قبل تسليمها للجند : ولم يكن يعهد لاحد بالجندي الا اذا كان صالحا لها صحيا ومعنويا . يضاف الى ذلك ان امداد الجيش بالجند والاسلحة والدواب يستغرق عادة اربعة عشر يوما (٢) .

كذلك عني علاء الدين بتزويد الحصون والقلاع بالجند المدربين، وكان لا يصرف جنده بعد المعركة ، وانما يستبقهم . ويذكر فرشته ان عدد جند السلطان علاء الدين بلغ ٧٥٠٠٠ مقاتل معدين خير اعداد ومدربين احسن تدريب (٣) .

اختلفت مراتب الجند حسب خدماتهم في الجيش ، فهناك الجند المحترف ، المدون في ديوان العرض ، ويجرى تدريبه وتقييمه ومباشرته ، وينتظم في سلك الجيش ، وفي احدى فرقته سواء في وقت السلم او الحرب ويجهز بالمعدات والاسلحة حسب الفرقة التابع لها ، ويتقاض راتبه من ديوان العرض سنويا حسب تحديد هذا الديوان له، واعتماد السلطان لهذا التحديد، وهذا الجندي يمتلك على اقل تقدير حصانا وتزداد مهامه ومسؤولياته اذا عهد اليه بحصانين (٤) . وفي هذه الحالة يتقاضى راتبا اعلى من راتب صاحب الحصان الواحد ، وراتب الجندي الغير منتظم في سلك الجيش ، والذي يتطوع في الجيش وقت الحرب فقط ، يختلف كذلك عن راتب الجندي المنتظم ، وعني علاء الدين عناية خاصة بتحسين رواتب جنده وهيا لهم سبل المعيشة الرفدة ، الامر الذي دفع جنده الى بذل الجهود المخلصة في الحرب والقتال، وحسن التدريب والتنظيم . وكان في مقدرة الجندي صاحب الحصانين اسر

IBID. P. 193.

(١)

(٢) تاريخ باراني ، ص ٣١٨ .

(٣) تاريخ فرشته ، ص ١٦٥ .

(٤) Qureshi : Administration of the Sultanate of Delhi, 244-245.

عشرة من المغول ، وقهر مائة منهم ، ويتضح ذلك من تعليماته لتاج الدين كافور ، وهو سائر للحرب في وارنجال Warangal واتخذ اجراءات اقتصادية صارمة لتيسير سبل المعيشة لجنده منها تثبيت الاسعار وتحديداتها في السوق ، والضرب بكل شدة على ايدي التجار الجشعين والمتلاعبين بالاسعار ، وتوفير السلع في السوق ، وبيعها بأسعار في متناول جنده ، وبذلك كفل علاء الدين للجيش الحياة الكريمة ، حتى يتيسر للجند تحقيق سياسته الدفاعية والهجومية (١) .

٢ - الحياة الاقتصادية في سلطنة دهلي

١ - الثروة الزراعية : -

ازدهرت الزراعة في سلطنة دهلي ، واعتبرت المورد الرئيسي لاقتصاد دهلي ، واهم مصادرها المادية ، واعتمدت الزراعة في هذه البلاد على الامطار الموسمية التي تشتد في بعض الاجزاء وتقل في اخرى ، ويطول موسم الامطار في بلاد دون اخرى ، ومن ثم اختلف فصل الجفاف من منطقة الى اخرى ، وفيه تجف الانهار الا تلك التي تنبع من جبال هماليا حيث يذوب الجليد في الربيع . وفي منطقة الدكن تجف معظم الانهار في فصل الربيع ، ويعتمد الزراع على الآبار في ري اراضيهم .

والزراعة هي العمل الاساسي لسكان سلطنة دهلي ، وهي التي تمدهم بالغذاء والاموال التي يحصلون بها على متطلباتهم واحتياجاتهم .

ولما كانت سلطنة دهلي تعتمد في زراعتها على الامطار الموسمية ، فان ذلك كان يعرضها لآخطار جسيمة في السنوات التي يقل فيها المطر ، فيجف الزرع ، ويتدهور الانتاج الزراعي ويعم القحط ويشتد البلاء ، ولقد بذل السلطان علاء الدين كل جهده للتغلب على المجاعات ، فأنشأ صوامع لتخزين القمح في سنوات الرخاء لينتفع به في سنوات الشدة (٢) ، وقد وقعت مجاعة عظيمة في بلاد الهند بسبب ضعف المحصول في عهد السلطان محمد بن تغلق ، فأمر بأن يعطى لاهل دهلي ما يقوتهم بحساب قدر معين كل يوم (٣) .

Lal : op. cit. 196.

Lal : op. cit. p. 201.

(١)

(٢)

(٣) ان بطوطه ، ج ٢ ، ص ١٠٢ .

ولقد طالت سنوات القحط قبل غزو تيمورلنك لسلطنة دهلى حتى زادت عن عشر سنوات ، وغزاها تيمورلنك سنة ١٣٩٨ م في خضم هذه المحنة الكبرى التى لحقت بأهل البلاد فاجتمع على الاهلين الكرب والبلاء والجوع والحرمان والخراب والدمار .

وأهل الهند يزرعون اراضيهم مرتين في السنة ، فاذا نزل المطر عندهم في اوان ، زرعوا الزروع الخريفى ، وحصدوه بعد ستين يوما من زراعته ، ومن هذه الحبوب الخريفية الكندرو وهو نوع من الدخن ومنها القال والشاماخ ، وهو طعام الصالحين ، وقد ينبت الشاماخ من غير زراعة ، ويخرج الفقراء والمساكين لجمعه ، ويجمعون منه ما يقوتهم طوال السنة ، ويجففونه في الشمس ، ويستخرجون منه لبه الابيض ، ويصنعون منه عصيدة ، ومنها الفاصوليا ، واذا حصدوا الحبوب الخريفية ، يزرعون الزروع الربيعية وهى القمح والشعير والحمص والعدس ، وتزرع في الارض التى زرعت بالحبوب الخريفية . اما الارز فيزرعونه ثلاث مرات في السنة ، وهو من اكثر الحبوب عندهم زراعة ، ويزرعون السمسم وقصب السكر مع الحبوب الخريفية (١) .

ومن الاشجار التى تنبت بكثرة في بلاد الهند العنب ، وظلها اكثر الظلال ، والزنجبيل والفلفل والنانج والفلول وشجر الابنوس والرمان ، وبعض هذه الفواكه تنمو مرتين في السنة .

وتنتج الهند الكثير من الحبوب الزيتية مثل السمسم وبذر الكتان وبذر الخروع والفلول السوداني ، ويستخرجون الزيت من هذه النباتات ، ويعتمدون عليه في غذائهم ، وينمو في الهند كذلك الشاي والبن والجوت والجوز .

وقد اشتهرت الهند منذ القدم بزراعة التوابل مثل الفلفل والزنجبيل والحبهان والقرفة وغيرها ، ويستهلك الهنود الكثير من التوابل في غذائهم .

وانتشرت الغابات في الهند ، الامر الذى ادى الى ازدهار ثروتها الخشبية ، واستخدموها في الصناعات الخشبية .

(١) ابن بطوطه ، ج ٢ : ص ١٣ .

والثروة الحيوانية في الهند عظيمة جدا .

ولم يأل سلاطين دهلى جهدا في تيسير سبل الزراعة للمواطنين على اعتبار ان الزراعة من اهم مصادر الثروة ، فالسلطان تغلق شنجع الناس على تعمير الارض ، وفلاحتها ، فأصلح وسائل الري ، وشق كثيرا من الترع والقنوات ، وخفف عبء الضرائب عن الاهلين .

وخالف محمد بن تغلق اباة في سياسته ، فرفع الضرائب على الفلاحين ، وانقل كاهلهم ، حتى ان الفلاحين ضاقوا ذرعا بسياسته ، فهجروا قراهم واراضيهم الى الغابات ، الامر الذي ادى الى تدهور الانتاج الزراعى ، وخراب الارض الزراعية .

ولما ولى فيروز تغلق السلطنة عهد الى كبار موظفيه باستصلاح مساحات واسعة من الارض القابلة للزراعة واصلاح وسائل الري ، وحفر الآبار والقنوات فزاد الانتاج الزراعى ، واتسعت رقعة الارض الزراعية .

ب - التقدم الصناعى :-

عرفت الهند الصناعة منذ فجر تاريخها ، وتعتمد الصناعة في الهند بالدرجة الاولى على الانتاج الزراعى ، واهمها صناعة المنسوجات الحريرية والصوفية والقطنية ، وقد اقبل الكثير من التجار على الهند لشراء المنسوجات وبيعها في البلاد المجاورة ، واعتمدت هذه الصناعة على المواد الخام المتوفرة في الهند ، فالقطن تتوافر زراعته ، ويكثر انتاجه والصوف مترفر بسبب الثروة الحيوانية ، والحرير يعتمد على شجر التوت المتوفر في بلاد الهند ، ويربى على اوراقه دود القز .

ومن الصناعات التى راجت في بلاد الهند ، السجاد ، وكانت السجاجيد الهندية تأتى في الاهمية بعد الايرانية ، وكانت مطلوبة في قصور كبار رجال الدولة .

وهناك صناعات يدوية منزلية اخرى منها صناعة النحاس والمعادن الاخرى والآلات الزراعية القاطعة والفخار والصابون وصنع اللعب والخوز . واشتهرت الكجرات بالمصنوعات الجلدية عليها نقوش الطير والحيوان ، وشاهدها ماركوبولو .

وادى تنوع المعادن وكثرتها في بلاد الهند الى سعى الافراد الى استخراجها وتصنيعها . ومن هنا انتشرت في بلاد الهند الصناعات الحديدية والنحاسية وصناعة الحلى والمجوهرات .

(ح) النشاط التجارى :

التموين والتجارة الداخلية

تعرضت سلطنة دهلى لمشاكل اقتصادية كبيرة ، ازداد خطرها ، واستطاع شيرها في عهد علاء الدين ، وترجع هذه المشكلة الى كثرة النفقات الملقاة على عاتق الدولة بسبب غزوات المغول المتكررة . حقيقة كانت جيوش دهلى تصدهم ، وتردهم على أعقابهم خاسرين ، الا ان ذلك كان يكلف ميزانية الدولة اموالا طائلة ، كما ان الحرب التوسعية التى كان يشنها علاء الدين من وقت لآخر باهظة التكاليف يضاف الى ذلك نفقات الادارة المدنية والعسكرية . وعلى الرغم من ان دخل الدولة كان كبيرا ، الا انه لا يكفى الابعاء الكثيرة . وقد عمل علاء الدين على رفع الدخل عن طريق صب اوانى الذهب والفضة عمله ، والتدقيق في الضرائب الواردة الى دهلى من الولايات ، وتحديد الضريبة او رفعها الى ٥٠٪ من انتاج المحصول الزراعى ، الا ان ذلك لا يكفى ، فقرر علاء الدين خفض رواتب الجند ، وفي نفس الوقت حرص على عدم ارهاقهم بأعباء المعيشة ، لذا قرر تخفيض اسعار السلع الاساسية التى لا غنى عنها للفرد في حياته اليومية ، فقام بتنظيم ادارة السوق (١)

وهناك دافع قوى وراء سياسته الرامية الى تنظيماته الاقتصادية ، ونقص به غزوات المغول المتكررة ، والتى كانت تستهدف بالدرجة الاولى ، دهلى ، وخطر هذه الغزوات حدث سنة ١٣٠٣ حينما حاصر المغول دهلى . وشددوا عليها الحصار ، ومنعوا وصول المؤن والمعدات عنها ، واحتلوا الطرق المؤدية لها ، فتعرضت دهلى لازمة غذائية قاسية ، ونفذت الاقوات منها ، لذا لقت هذه الازمة علاء الدين درسا مفيدا ، فقرر بناء خزائن للغلال تسع لاحتياطي كبير تستفيد منه دهلى اذا ما تعرضت لمثل هذا الحصار . كذلك حدد السلطان علاء الدين اسعار القمح والحبوب عموما . وجدير بالذكر ان الاسعار كانت منخفضة في عهد بلبن ، وارتفعت بعد ذلك حتى ولى علاء الدين فأمر بتخفيضها ، على أنها عادت وارتفعت في عهد محمد بن تغلق . وكانت الاسعار عموما في عهد علاء الدين ارخص منها في عهد فيروز بن تغلق . ويتضح ذلك من قول الشيخ ناصر الدين الشيرازى الذى اشار الى ذلك في عهد فيروز ،

يقول : ويرجع رخص الاسعار في عهد علاء الدين الى الاجراءات الصارمة التي اتخذها لضبط الاسعار وتحديدها . وتجلت أهمية سياسة علاء الدين ليس فقط في تخفيض الاسعار بل وفي تثبيتها في السوق (١) ، الامر الذي يعتبر حقا من عجائب العصر .

ولا كانت الحبوب هي الغذاء الرئيسي للناس ، فقد أسس علاء الدين سوقا للقمح والحبوب عموما ، وزوده بمخازن الغلال ، ويستطيع الناس الحصول على مستلزماتهم من الحبوب بالاسعار التي حددها ، ويقوم تجار الجملة باحضار الحبوب من خارج دهلي ، وبيعها لتجار التجزئة في السوق ، والتزم تجار الجملة وتجار التجزئة بالسوق بالاوامر الصارمة التي قررها ووضعها علاء الدين ، وحدد أسعار السلع بقرار منه ، واصدراوامره بمعاقبة كل من يخالف التسعيرة الجبرية . وطبقا لسياسة علاء الدين كان على التجار ان يقبلوا ويقنعوا بالربح المتواضع المترتب على تخفيض الاسعار الجديدة (٢) .

واجه علاء الدين صعوبات بالغة عند تطبيق ساسته ، اذ توقف تجار الجملة عن احضار القمح الى دهلي ، كما ان تجار التجزئة امتنعوا عن البيع الامر الذي ادى الى توقف تجارة الحبوب في دهلي . وتصدى علاء الدين لهذا الموقف بكل حزم ، فأمر مراقب السوق ، بأن يدون اسماء تجار الجملة والتجزئة في سجلات وجمع تجار الجملة ، وانذرهم بالعقاب الصارم اذا اصرروا على الامتناع عن تجارة الحبوب ، وابقاهم تحت المراقبة ، فخشوا العاقبة ، وشدة بأس السلطان ، واحضروا القمح الى دهلي ، وعادوا الى ممارسة عملهم بنفس الاسعار الرسمية التي قررها السلطان الخلجي ، بل امرهم بأن يقيموا مع عائلاتهم في القرى المحيطة بدهلي تحت مراقبة مراقب السوق ، وليس من حقهم الخروج او الاعتراض على هذه التعليمات ووقعوا جميعا على هذه القرارات فرادى وجماعات . وبذلك التزم كل منهم بامداد السوق بالقمح ، وبالسعر الذي قرره الدولة والحكومة (٣)

ولتيسير مهمة تجار الجملة في امداد العاصمة بالحبوب من البلاد

(١) تاريخ فرشته ، ص ١١٢ .

Lal. op. cit., pp. 200 - 201.

(٢)

(٣) تاريخ فرشته ، ص ١٠٣ .

المجاورة أمر السلطان علاء الدين موظفى الايرادات في الولايات بالتشديد على المزارعين في ضرورة تسليم الحصّة المقررة عليهم من المحصول والتي تبلغ ٥٠٪ منه الى الحكومة وبيع مخزونهم من القمح والحبوب بأسعار مناسبة او بالاسعار التي تتناسب مع ما فرضه علاء الدين . وبذلك لم يجد تجار الجملة صعوبات في شراء القمح من البلاد المجاورة لدھلى .

كذلك حرص السلطان على ان يتبع الموظفون تعليماته بكل دقة ، والا تعرضوا للعقوبات الشديدة . وبذلك توفر القمح في السوق ، واختفت السوق السوداء ، ووجد المستهلك ما يلزمه من القمح بسعر رخيص ثابت ومحدد ، وتوفر لدى الدولة مخزون مناسب من القمح ، وشيد علاء الدين مخزنا للحبوب ، أحكم اغلاقه حتى لا يتأثر ما به من قمح في وقت التقلبات الجوية ، واذا قل المحصول بسبب قلة الامطار ، او لعوامل أخرى، فان القمح الاحتياطي المخزون يوزع على تجار الجملة ، يحملونه الى تجار التجزئة ، الذي يتجرون به في السوق ، ويباع الى الجمهور بالاسعار الرسمية (١) . وبذلك ضمن علاء الدين سياسته هذه وجود القمح بالسوق بصفة مستمرة وبالاسعار الرسمية والمناسبة للجمهور ، الامر الذي كفل للناس عموما وللجند بصفة خاصة الحياة الكريمة والمعيشة اليسيرة .

لجأ علاء الدين الى سياسة حكيمة فيما يتعلق بالحبوب ذلك انه كفل للناس شراء ما يلزمهم من الحبوب من السوق وبالكميات التي يطلبون شراءها في الوقت الذي يتوفر فيه المحصول . أما سنوات الجذب والجفاف فقد أمر علاء الدين المستهلكين بشراء ما يلزمهم فعلا من الحبوب ، وحدد الكمية اللازمة لكل أسرة ، واذا ضبط أحد يشتري أكثر من حاجته عوقب بكل شدة . وبذلك ضمن علاء الدين عدم اختفاء الحبوب في اوقات الشدة والاختناقات التموينية ، وعدم لجوء الناس الى التخزين ، والتوزيع العادل للغلال في ايام الازمات ، الامر الذي ادى الى منع القحط الذي كثيرا ما ظهر في بلاد الهند في العصور السابقة (٢) .

وجدير بالذكر انه قبل هذا التنظيم الدقيق كان الفقراء في اوقات وسنى قلة المحصول وندرته ، وغلاء سعره في السوق تبعا لذلك ، يحتشدون في السوق ، ولا يستطيعون شراء ما يلزمهم ، لان الاغنياء يلجأون الى التخزين ،

(١) تاريخ بارانى ، ص ٣٠٩ .

(٢) تاريخ بارانى : ص ٣٠٨ .

ويشترى المعروض في السوق بأسعار عالية ، الأمر الذي يعرض الفقراء للموت جوعاً ، ويؤدي بالتالي إلى اختلال الأمن والنظام ، والسرقعة من السوق ، أو نهب بيوت الأغنياء لأن الجوع كافر — كما يقولون — ويبدو أن علاء الدين في أيام ندرة المحصول حين حدد لكل أسرة ما يكفيها من الحبوب حرص على عدم إعطاء امتيازات تموينية لكبار رجال الدولة والأغنياء وإنما كفل عدالة التوزيع للجميع .

ومن أكفاً من ولى إدارة السوق ومراقبته في عهد علاء الدين ، ملك كابل الذي يصفه بارانى بالحكمة الإدارية والثقة المطلقة ، وكان يرأس عدد من الجند بعضهم من الفرسان والبعض الآخر من المشاة ، ومن مهامه الإشراف على تجار الجملة وتجار التجزئة ، والتأكد من بيع وتوفير الحبوب بالسعر الذي تحدده الدولة ، والتأكد من عدم وجود سوق سوداء ومناهضة السوق السوداء ، وإزالتها إن وجدت ، ويكتب تقارير إلى السلطان عن عمله بصفة مستمرة ، وعن ضبط السوق والعمليات التجارية فيه ، وعن عدم وجود تلاعب في أسعار السلع أو تذبذب في السوق ، كذلك يوضح ويراقب الأسعار خارج دهلي وتقريره من أهم المصادر التي يعتمد عليها السلطان في سياسته نحو السوق ، وإذا وجد تناقض بين تقارير مراقب السوق ، وما يجرى فعلاً في السوق ، عوقب المراقب وموظفوه بكل شدة وعنف . لذا فإن المراقب في السوق لا يمكنه الاحتفاظ بمنصبه ، والنجاة من العقاب إلا إذا باشر عمله بأمانة وحزم ، ونفذ التعاليم السلطانية تنفيذاً دقيقاً ، ولا يمكن لمراقب السوق رفع سعر القمح في مواسم الجفاف إلا بأذن السلطان ، لذا وجب على مراقب السوق أن يكون مهاباً حازماً حتى يجبر التجار على السير وفقاً للتعاليم والراسم السلطانية (١) .

ومع أن مراقب السوق يرأس كل موظفيه إلا أنه كان يحق لبعضهم إرسال التقارير مباشرة إلى السلطان ومنفصلة عن تقريره ، مثل صاحب البيد الذي يكتب تقاريره عن كميات المحصول أو نوعه ، وصاحب الشرطة الذي يتجول في السوق ، ويباشر بطرق سرية ما يجرى فيه (٢) .

ولما كانت هذه التقارير منفصلة ، فقد كان كل موظف بمثابة مراقب على الآخر ، وادى ذلك إلى مراعاة كل منهم الدقة في تقريره ، وفي نفس الوقت

(١) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٣١٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣١٨ .

تأدية عمله على الوجه الاكمل حتى لا يتعرض للعقاب والفصل من وظيفته (١). وبذلك كفل السلطان للسوق الرقابة الدقيقة والحازمة ، وتبعاً لذلك توفرت الحبوب في السوق في كل اوقات السنة ، وفي سنوات الرخاء والجذب وباسعار مناسبة في متناول المستهلك الرقيق الحال .

وسوق القمح هو اهم اسواق دهلي ، يليه في الاهمية سوق القماش ، ثم سوق الخيل ، وسوق العبيد ، وسوق الحلوى ، وسوق الفواكه وسوق الاسلحة وسوق الدواب ^(٢) الخ ^(٣).

ومن ابرز مراقبي سوق القماش ملك يعقوب الذي امتد نفوذه الى الاسواق الاخرى . على ان تنظيمات هذه الاسواق تشبه تنظيمات سوق القمح ، وبلغ من ازدياد نفوذ ملك يعقوب انه كان يعين مراقبي الاسواق في دهلي ويدخل في اختصاصه وظيفة الحسبة . وعلى ذلك فان مهامه كانت كثيرة وشاقة ، وعليه توقيع العقوبات الصارمة لكل المتلاعبين في السوق ، في الاسعار ، في الموازين والمكاييل ، واخفاء السلع ، والفش . . . الخ . وكلما كان صارماً في عقابه ، كلما امتثل الناس لاوامره ، وادى ذلك الى انضباط السوق (٢) .

كان بمدينة دهلي سوق واحد للقماش بالقرب من بوابة بادون ، وحركة التجارة تسير سيرها العادي في السوق طوال اليوم من الصباح الباكر حتى اذان العشاء وتنوعت الاقمشة التي تباع في السوق مثل الحريرية والقطنية ، ولم يكن القماش رخيصاً قبل عهد علاء الدين ، ويرجع الى علاء الدين الفضل في تخفيض سعر الاقمشة في السوق في دهلي ، واصبحت في متناول المستهلك الفقير ، واتخذ من الاجراءات ما كفل ورودها الى سوق دهلي من الولايات المجاورة واعطانا باراني (٣) تقريراً باسعار السلع داخل دهلي ، ويوضح ان السلطان علاء الدين اخذ في الاعتبار تكاليف الانتاج ، والربح الذي يتقاضاه تاجر الجملة وتاجر التجزئة ، ولا ترتفع الاسعار في الاوقات العادية ، وفي ظروف القحط وحرص السلطان على عدم رفع الاسعار ، بل امر بضرب مراقب السوق ، ملك كابل بالسياط ، حينما اقترح عليه رفع سعر القمح .

على ان تحديد اسعار القماش بسعر رخيص أمر من الصعب التحكم

(١) المصدر السابق ، ص ٣١٨ .

(٢) Lal ; op. cit., p. 308.

(٣) تاريخ فيروز شاهي ، ص ٣٢٠ .

فيه مثل القمح والحبوب ، ذلك لان الحبوب يمكن شراؤها بوفرة من الزراعة في المناطق المجاورة لدهلي مثل الدواب . اما القماش يأتي من اماكن صنعها بعيدا عن دهلي مثل الملتان وديفاجيري ، وقد لا يتوفر القماش الكافي لدهلي، لذا فان اسعار القماش كان من الصعب تثبيتها مثل القمح ، وترتفع طبقا للعوامل التي ذكرناها . ومع ذلك فقد حرص علاء الدين على الا يحدث ارتفاع شديد في اسعار القماش ، وقدم دعما ماليا لصناع القماش الذين يمدون دهلي بالقماش حتى تباع بسعر معقول في حاضرة دولته .

والقماش يشتريه تجار الجملة من اماكن بعيدة وبسعر مرتفع ، ولا تستطيع الدولة التحكم فيه ، وتكاليف النقل باهظة . فأمر السلطان بتسجيل اسماء تجار الاقمشة في دهلي ولما كان تجار الاقمشة لا يربحون الا ربحا ضئيلا ، فان هذا يدل على ان الدولة تسترد الدعم الذي تقدمه لصناع الاقمشة (١) .

ولما كانت اسعار السلع التي حددها السلطان رخيصة فان بعضها كالحرير كان يباع بربع او بخمس اضعاف سعره في خارج دهلي ، لذا خشي السلطان ان يلجأ التجار الى شرائه من سوق دهلي وبيعه خارجها، وفي ذلك ربح وفير لهم ، لذا قرر السلطان بان يباع الحرير فقط لمن يرغب في شرائه من الاغنياء والمترفين دون غيرهم ممن يلبسونه فعلا ، ويحصلون على اذن بذلك من ديوان الرئاسة ، وبمقتضى هذا الاذن يسمح لهم بشراء ما يكفيهم منه بسعر الحكومة ، ولا يسمح لغير هؤلاء بشرائه (٢) .

يلي سوق القماش في الاهمية ، سوق الخيل ، وكانت الفروسية اهم وأبرز قوى الجيش في العصور الوسطى ، والحصان - عدة الفارس - غالى الثمن ، وكان المغول يعاقبون سارق الحصان بالموت ، وكان راجات الهنود يربحون مبالغ طائلة من تربية الخيول وبيعها ، وقد حدث ارتفاع عالمي في سعر الخيول في العصور الوسطى نتيجة لغزوات المغول المدمرة ، والتي قطعت الطرق التجارية في فارس وبلاد الافغان وبلاد العرب ، وادى ذلك الى عرقلة جلب الخيول الى الهند (٣) .

Lal : op. cit., p. 209.

(١)

(٢) تاريخ باراني ، ص ٣١٦ .

(٣) تاريخ باراني ، ص ٣١١ .

ولما كانت سياسة علاء الدين تناهض كل ارتفاع في سلعة يحتاج اليها الجندى كالقمح والخيول ، فقد حدد ايضا سعر الخيل ، وقسم الحصان اللازم والصالح للخدمة العسكرية الى ثلاث مراتب طبقا لتربيته ونوعه ، كما حدد اسعار الخيول التي لا تصلح للخدمة العسكرية ، والتي تستخدم في النقل وغير ذلك ، واسعارها اقل من اسعار خيول الحرب ، وشدد علاء الدين في مراعاة اوامره وتعاليمه ومنع الوسطاء وسماسرة السوق من الدخول بين البائع والمشتري ، الامر الذي يؤدي الى استغلال المستهلك وكل من يضبط من هؤلاء في السوق يعاقب بالسجن لمدة طويلة واعتاد علاء الدين ان يرسل مخبرين من قبله (١) للتفتيش على حركة بيع الخيول في السوق كل ٦ اسابيع او شهرين للتأكد من البيع بالسعر الرسمي الذي حددته الدولة ، ومن عدم وجود سماسرة في سوق الخيل . وبذلك امتنع التجار عن البيع بطريق السماسرة ، والتزموا بالبيع بالسعر الرسمي ، واستطاع الناس شراء الخيول باسعار منخفضة (٢) .

كذلك نفذت التسعيرة الجبرية في سوق العبيد ، وحدد اسعارها ، فالامة يحدد سعرها طبقا لجمالها وجنسها والعمل المؤهلة لتأديته ، وحدد سعر الفلماں كذلك طبقا للقواعد السابقة . وهذه التنظيمات نفذت في الاسواق الاخرى .

وبذلك نرى ان السلطان علاء الدين كفل سبل المعيشة المبسرة لشعبه بالاجراءات الصارمة التي اتخذها ، وبالمخبرات التي نظمها في السوق ، وان كان ذلك قد قلل من ارباح التجار ، وأصدر الاوامر الى ديوان الرئاسة بأن يعين مراقبا للاسواق المختلفة ، يديرها ، ويراقب تنفيذ التسعيرة الجبرية وعدم تلاعب التجار ، ومنع الفش ، وكانت سلطات موظفي السوق كبيرة ، فكانوا يعاقبون التجار المتلاعبين بالضرب ، وكذلك اذا اساءوا الى الناس (٣) .

ويذكر المعاصرون ان الفش كان منتشرا بين التجار في الهند ، فيبيعون الزجاج على انه ماس ، ويخدعون الناس في الكيل والميزان ، ويحاولون البيع بأعلى الاسعار ، ويقوم سماسرة السوق باستغلال كل من البائع والمستهلك ،

(١) المصدر السابق ، ص ٣١٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣١٥ .

(٣) باراني : تاريخ فيروز شاهي ، ص ٣١٦ .

لذا جاءت سياسة علاء الدين الناجحة في السوق انتصارا للشعب لا يقل اهمية عن الانتصارات التي احرزها في ميادين القتال .

وبلغ من اهتمام السلطان بما يجرى في السوق ، انه نـمى الى علمه ان التجار يفشون الاولاد الصغار في الميزان ، فكان يرسل غلمانا من قبله الى مختلف الاسواق ويكلف كلا منهم بشراء سلعة معينة ، ثم يستدعي رئيس ديوان الرئاسة ويأمره بالتأكد من صحة وزن هذه السلع ، فاذا تأكد لديه ان أحد التجار تلاعب في الوزن ، يأمر باغلاق حانوته ، وعقابه بكل شـدة ، لذا خشي التجار من مغبة الفش ، واتبع كل منهم البيع بالوزن الصحيح ، بل بلغ الخوف ببعضهم انهم كانوا يزنون اكثر من المطلوب حتى لا يقعوا تحت طائلة العقاب (١) .

ولكن سياسة علاء الدين اساءت الى التجار فقل ربحهم كثيرا ، ولم يعد احد يرغب في احتراف مهنة التجارة ، وعاش التجار في خوف وفزع من العقوبات الصارمة المعرضين لها في كل وقت ، وجاء هذا التخفيض على حساب السلعة وجودتها .

قلنا ان التجار قد ساءت احوالهم نتيجة للاجراءات الاقتصادية المتشددة لعلاء الدين ، كما ان الصناع تخلوا عن اتقان سلعهم بسبب الربح الضئيل ، ولم يكن الزراع احسن حالا من الصناع والتجار ، فسياسة علاء الدين الزراعية يأخذ - كما رأينا - بمقتضاها نصف المحصول من الفلاح ضريبة ، والباقي يبيعه بالسعر الذي تحدده الدولة ، الامر الذي بثقل كاهله ، لان النصف الباقي يدفع جزء منه لتسديد الضرائب الاضافية المفروضة عليه .

وكانت سياسة علاء الدين تهدف الى تيسير سبل المعيشة للجند (٢) ، وان كان ذلك على حساب الزراع والصناع والتجار الذين تعرضوا للفقر المدقع وشغل العيش من جراء سياسة علاء الدين الاقتصادية ، وقد اختلف المؤرخون حول الدوافع التي دفعت علاء الدين الى اتخاذ هذه الاجراءات فيرى البعض انه يهدف منها الى تيسير سبل المعيشة للشعب ، وعدالة

Lal : op. cit., pp. 215 - 216.

(١)

IBID. PP. 217 - 218.

(٢)

التوزيع ، وتلويب الفوارق بين الطبقات او اشتراكية التوزيع ، الا ان فريقا اخر يعتقد ان علاء الدين يهدف من سياسته الى افقار شعبه حتى تنعدم كلمة تمرد ولا تظهر مراكز قوى تنال من سلطانه الا اننا نعتقد انه يهدف الى تيسير سبل المعيشة للمواطنين عموما .

ويعتقد بارانى (١) ان تخفيض الاسعار كان ضرورة حربية وسياسية لعلاء الدين تهدف بالدرجة الاولى الى اسعاد جيشه ، وان كان الجندي لم يستفد كثيرا من تخفيض الاسعار لان التخفيض للاسعار اقترن بتخفيض المرتبات ، وانطبق ذلك على سائر الموظفين ، لذا نرى ان الزراعة والصناع والتجار والجند وسائر الموظفين اجهدهم سياسة علاء الدين المالية . وثمة حقيقة اخرى وهى ان التسعيرة الجبرية طبقت في دهلى دون سواها ، وديوان الرئاسة كان يعين مراقب السوق في دهلى فقط ، الامر الذى جعل شراء السلع من دهلى بالسعر الرسمى ، وبيعها خارجها باسعار لا رقابة عليها ، يؤدى ذلك الى ربح وفير ، رغم ان التجار والصناع كانوا يدنون اسماءهم في ديوان الرئاسة ويجبرون على الاقامة في دهلى ، ولا يحق لهم اعتزال عملهم او الانتقال خارج دهلى ، ويتعهدون بذلك جماعات وفردا ، وتشدد السلطان على المهربين والمحكرين (٢) .

وثمة حقيقة اخرى ترتبت على سياسة علاء الدين في تخفيض الاسعار، وتمثل في وفود الكثير من الناس الى دهلى للاقامة فيها ، والاستفادة من اسعارها الرخيصة ، ومن بينهم شخصيات كبيرة في الولايات ، حتى أصبحت دهلى من امهات المدن العالمية ومن اكبر الحواضر الاسلامية واعظمها، وضم هؤلاء الوافدون ، الكثير من المثقفين والصناع المهرة واعد السلطان الجيش خير اعداد ، وأن كان ذلك على حساب تدهور الزراعة والصناعة والتجارة ، وقاسى الزراع خارج دهلى من هذه السياسة ، اذ يجبرون على بيع محاصيلهم بالسعر الرسمى ، وبحكم اقامتهم خارج دهلى لا يستفيدون من رخص الاسعار في العاصمة (٣) .

على ان سياسة التسعيرة الجبرية لم تطبق فقط الا في عهد علاء الدين فلما ولى قطب الدين اهمل مراقبة السوق ، فعادت الاسعار الى الارتفاع ، وعاد التجار الى التلاعب بها ، وهاجر من دهلى الكثير من الناس لانها لم تعد افضل من غيرها في المعيشة .

(١) تاريخ بارانى : ص ٣٠٨ - ٣٠٩ .

(٢) تاريخ فرشته ، ص ١١٢ .

(٣) تاريخ بارانى ، ص ٣٠٤ .

التجارة الخارجية

واما عن التجارة الخارجية فقد حدثنا ابن بطوطة عن مدن الهند التجارية واقبال التجار من خارج الهند اليها للتجارة ، ففي الطريق الى الملتان - قاعدة اقليم السند ، ومسكن امير امرائه - على مسافة عشرة اميال الوادي المعروف منها - خسروآباد - وهو من الاودية الكبار ، المزدهر بالتجارة والتبادل التجارى ، وبه تفتش امتعة المجتازين ويؤخذ الربع من كل تاجر ، وعلى كل فرس سبعة دنائير ، وظل الامر كذلك حتى رفع السلطان محمد بن تغلق تلك المعارم ، وامر الا يؤخذ من الناس الا الزكاة والعشر (١) . وكانت مدينة هنور بالقرب منها مرسى للمراكب الكبار (٢) وكان التجار المسلمون يشيدون المساجد بالبلاد التى يحلون بها .

ومن اهم المدن التجارية دولت آباد (٣) ، واكثر تجارتها في الجواهر واموالها طائلة . وازدهرت التجارة كذلك في الملبار ، واذا اراد حاكمها منع الناس من التجارة والبيع والشراء ، امر بعض غلمانه فعلق على الحوائث بعض اغصان الاشجار ولا يبيع احد ولا يشتري ما دامت تلك الاغصان (٤) .

واما مدينة منجورور (٥) من الملبار وينزل بها معظم تجار فارس واليمن للتجارة، بينما يتوافد التجار من الصين بمراكب كبار على مدينة دهلى، ويقصد مدينة قالكوط اهل الصين وسيلان والجاوه واليمن وفارس للتجارة ، ويجتمع بها تجار الافاق (٦) .

وضع ابو القاسم بن خرداذبه في كتابه المسالك والممالك دليلا للمسافرين وصف فيه الطريق البحرى الذى يبدأ من مصب نهر دجلة عند الابله ويصل الى بلاد الهند والصين وكانت المراكب الاسلاميه تسير بمحازاة ساحل الخليج العربى وساحل الهند حتى ملبار ، وقد اشرنا الى ازدهار التجارة

(١) رحلة ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٠٩ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٠٦ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٠٣ .

(٥) المصدر السابق ، ص ١١٣ .

(٦) المصدر السابق ، ص ١١٥ .

في مدن السند مثل الديبل والملاثان ، حيث كانت السفن تذهب الى الهند ، وتعود محملة بمنتجاتها من التوابل والمنسوجات والمعادن ، وكانت قوافل البنجاب ، تنقل البضائع من الاقليم الى بلاد الافغان (١) .

وقد ازدحم المحيط الهندي بتجار آسيا وخصوصا العرب ، الذين تعددت رحلاتهم التجارية الى جنوب الهند وسيلان ، وانشأ العرب محطات تجارية في قاليقوت وساحل الملايو وملقا ، وقد لعب تجار العرب دورا كبيرا في تبادل السلع بين الهند وأوروبا ، وذلك بفضل نشاطهم التجاري في الخليج العربي البحر الاحمر والمحيط الهندي ، وكانت السفن الهندية تصل الى شرقى القارة الافريقية والى ساحل بلاد العرب (٢) .

ويذكر ليبروني (٣) ان كشمير كانت تفلق ابوابها امام التجار الاجانب ولا تسمح الا لنفر قليل من تجار اليهود بالتجارة معها نظرا لنشاطهم في تجارة العملة .

وكان التجار اليهود الذين يأتون من مقاطعة بروفانس بفرنسا يسافرون بين الشرق والغرب ، ويحملون من اوربا الخدم والقلمان والجواري والديباچ والخز والفراء ، ويركبون الى القرما ، ويحملون تجارتهم الى القلزم ، ثم يبحرون في البحر الاحمر الى جدة ، ثم يمضون الى السند والهند والصين ، وتبادلون التجارة مع هذه البلاد (٤) .

(د) - الادارة المالية

ازدادت نفقات سلطنة دهلي بسبب حروبها الكثيرة وحاجتها الى تكوين جيش قوى ، وتجهيزه بالاسلحة والمعدات الكافية ، وضم المزيد من البلدان الهندية الى سلطنة دهلي والدفاع عنها ضد الاخطار الخارجية ، خصوصا الغزو المغولي لذا وجب على سلطان دهلي ضمان الموارد المالية الكافية ، لتغطية نفقات الدولة ، ومن ابرزها النفقات العسكرية . ولم يجد سلاطين دهلي امثال قطب الدين ابيك وجلال الدين خلجي حلا لهذه المشكلة العويصة ، وتصدى لها علاء الدين .

Heyd : Histoire de Commerce. 1. p. 36.

(١)

IBID.

(٢)

(٣) تاريخ الهند ، ص ٢٠٦ .

(٤) آدم مئز - الحضارة الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٣٦٥ .

· انقسمت الاراضي الزراعية في سلطنة دهلې الى قسمين قسم يتبع سلطنة دهلې مباشرة ، ويتبع ديوان الوزارة ، ويقوم الوزير بواسطة مساعديه من الموظفين الماليين بجمع الضرائب المفروضة على هذه الارض (١) ، والقسم الثانى هو ارض الاقطاع التى تتبع الولاة ، ويتولى الوالى الى جمع ريعها، واخذ نصيبه في الارض لنفسه ، ويرسل الباقي الى الخزانة المركزية في دهلې (٢) ، وجدير بالذكر ان هؤلاء الولاة قد اقطعهم السلطان هذه الولايات .

· ويعتمد هذا النظام على ان يدفع المقطع جزءا من ريع الارض الى المقطع وهذه النسبة عادة ثلث انتاج الارض ، وهذه الطريقة في جمع الضرائب تسمى نظام المقاسمة ، ويقوم بجمع حصة الحكومة من المحصول احد الموظفين ، عينا او نقدا ، وتودع الكميات التى تجمع في خزينة الدولة المركزية، ويحصل على براءة بذلك .

والغى علاء الدين ارض الوقف التى اعتاد ان يوقفها السلاطين والملوك لكبار رجال الدولة من النبلاء ومن في حكمهم ، وكانت هذه الارض معفاة من الضرائب واعتمد هؤلاء المحظوظين على هذه الارض في حياتهم المعيشية ، وانتعشوا وارتفع شأنهم ، وحاول بلبن تقليد اظافرهم ، لكن الخانات والملوك اقنعوه بعدم التعرض لهم ، ومع ذلك فقد الغى هذا السلطان بعض امتيازاتهم نفوذهم في ادارة سياسة الدولة (٣) . ولما ولى علاء الدين كان يمنح من يشق فيه من رجال الدولة هؤلاء الاقطاعات الواسعة .

وفي سنة ١٣٠١ (٤) اتخذ السلطان علاء الدين قرارا جريئا وهو تأميم الاراضي الزراعية بمعنى ان جميع الاراضي التى هى ملك للافراد او وقفا لهم او هبة ، تؤول هذه الاراضي الى الدولة ويتضح من كلام بارانى ان النبلاء كانوا لا يمتلكون ارضا ، لان علاء الدين قد امر بمنح النبلاء الذين لا يمتلكون ارضا قدرا معيناً من القمح في اوقات العسر ، وفضل السلطان مصادرة اراضي الاوقاف ، والدفع نقدا للموظفين ، ولقد استرد السلطان معظم اراضي الوقف فعلا ان لم يكن كلها واراضي الهبة او التوكيل استردت كذلك وكان على الموكلين ان يبحثوا عن وسيلة اخرى لكسب قوتهم (٥) .

Qureshi : Administration of the Sultanate of Delhi. p. 103 (١)
Moreland. op. cit., p. 27.

(٢)

(٣) بارانى : تاريخ فيروز شاہى ، ص ١٠٨ .

Qureshi : op. cit., p. 119.

(٤)

(٥) بارانى : تاريخ فيروز شاہى ، ص ٢٨٣ .

كذلك أمر علاء الدين جباة الضرائب بأن يأخذوا الناس بكل شدة لحملهم على دفع الضرائب في مواعييدها ، وانذر بمعاقبة كل من يتهرب من اداء الضرائب بكل قسوة ، وكانت الضرائب باهظة ، وضاق الناس ذرعا بها ، حتى ان الاغنياء فقرهم هذا العبء الشديد ، وادى سوء احوال الناس المالية ، وقهر علاء الدين لهم معيشيا وماليا الى عدم التفكير في التمرد .

ولم يكتف لسلطان بالفناء الوقف ، بل تعرض لاراضي الاقطاع التي اقطعت للهنود والنبلاء في عصور سابقة واثروا منها ثراءا عريضا واصبحوا بسبب هذه الثروات اصحاب نفوذ كبير ، مكنهم من ان يصيروا من عناصر القلق والاضطراب والتمرد ، لذا رأى علاء الدين ضرورة الغاء الاقطاعات حتى يأمن على ملكه ودولته ، وكان اصحاب الاقطاعات من الهنود قد ازدادوا غنى ، وادى ذلك الى ارتفاع شأنهم وكثرة انصارهم ، الامر الذى قد يؤدي الى حدوث حركات تمرد ضده ، وكان اصحاب الاقطاعات لا يكتفون بجمع الضرائب المقررة للدولة ، والمقررة شرعا كالجزية والخراج ، وانما كانوا يجمعون ضرائب اضافية لانفسهم ، الامر الذى اثقل كاهل الاهلين (١) ، وكانوا لا يكثرثون بتعليمات الوزير ورؤساء الدواوين والمكلفين بجمع اموال الدولة ، لذا قرر علاء الدين تحديد نفوذ هؤلاء الملاك ، ورأى ان ذلك لا يتم الا بتحديد ثراوتهم ودخولهم ، فرأى ان نظام الضرائب القائم - وهو ضريبة بنسبة المحصول - يؤدي الى ابقاء فائض كبير من المال والثروة لهم ، لذا قرر اعادة النظر في هذا النظام بحيث يفرض اكبر قدر من الضرائب على الملاك ، فيحدد من ثراوتهم كما حدد من ثروات النبلاء ، وبالتالي يضعف نفوذهم ، ولا يركبون الخيول ولا يلبسون الديباج ، ولا يظهرون بمظهر الترف والنعيم الذى تعودوا عليه (٢) .

حددت الدولة ضريبة الخراج بنسبة ٥٠ ٪ على المحصول بدلا من النظام الذى كان معمولاً به من قبل ، وهو نظام الضريبة بنسبة المحصول . وهذا التقدير بالنسبة للاراضي الزراعية التى يمتلكها الاغنياء والفقراء على السواء . وقد اضر هذا النظام كثيرا بأغنياء الهنود ، لانهم يقدمون نصف المحصول للخزينة المركزية ، ومن النصف الآخر يؤدون الضرائب المتنوعة الاخرى ، ولا يبقى لهم الا قدرا ضئيلا من المال لا يكاد يكفيهم ، وباعوا ما في بيوتهم من

(١) المصدر السابق ، ص ٢٨٧ - ٢٨٨ .

Lal : op. cit., pp. 180 - 181.

(٢)

ذهب وفضه ، وعاشوا في شظف من العيش وبلغ بهم الفقر حدا جعل نساءهم يعملن في بيوت المسلمين الاغنياء نظير أجر (١) .

وهذا القدر من الضرائب مرتفع جدا اذا قورن بالعهود السابقة ، ففي ظل الحكم الهندي كانت الضريبة على المحصول تتراوح ما بين ١ الى ٦٠ أو ١ الى ٤٠ وفي عهد بلبن والتمش ارتفعت الضريبة حتى صارت ١ الى ٣٠ ، وفي عهد علاء الدين ارتفعت الى النصف ، وهذه الضريبة مرتفعة جدا بالنسبة للملاك والمزارعين (٢) .

والضرائب على الارض كانت تؤخذ عينا ونقدا ، وفي حالة نقص محصول القمح ، كانت الضريبة تؤخذ عينا في حالة قلة الغلال في الدولة ، ولم يكتف علاء الدين بذلك بل فرض ضرائب على المنازل والكلا المباح ، وكل منتجات الحيوان (٣) .

يضاف الى ذلك ضرائب أخرى على السلع التجارية ، والجزية التي تفرض على اهل الذمة طبقا لقدراتهم المالية ، وكانت تجبى قدر الطاقة ، لذا قسم اهل الذمة الى ثلاث فئات ، اغنياء ومتوسطين ، ودون المتوسط ، وكل فئة تدفع قدرا معيناً ، وتعتبر الجزية من اهم موارد الدخل ، وهناك ضريبة أخرى تسمى الجزية ايضا تفرض على الامراء الراجبوتيين التابعين لسلطنة دهلي ، وهي امارات غير اسلامية (٤) .

ومن الطبيعي المنتظر ايضا ان يكون دخل الجزية كبيرا مادام عدد غير المسلمين كبيرا ، وتأخذ في النقصان بتزايد دخول غير المسلمين في الاسلام وتؤثر بذلك في ميزانية الدولة ، وكان بعض السلاطين مثل فيروز تغلق يحرص على هداية الناس الى الاسلام على الرغم من ان ذلك يؤدي الى نقص ميزانية الدولة من ضريبة الجزية .

شجع السلطان فيروز شاه الهندوس على اعتناق الاسلام واعلن اعفاء كل من يدخل في الاسلام من الضرائب ، ولا يبقى عليه سوى الضرائب الشرعية فقط ، فأقبل عليه الهنود من كل صوب وحذب ، ودخلوا في الاسلام ، اما البراهمة فقد اغضبهم تقريره الضرائب عليهم ، شأنهم في ذلك شأن المواطنين العاديين ، فاجتمعوا حول القصر ، واصلوا انهم يصومون حتى الموت ، فنظر السلطان في طلبهم ، وخفف عنهم وانذرهم بالموت ان تعرضوا لهندوسي يعتنق الاسلام (٥) .

Munshi : op. cit. P 183

(١)

IBID. p. 182.

(٢)

(٤) تاريخ باراني ، ص ٣٠٣ .

(٣) تاريخ فرشته ، ص ١٠٩ .

Rawlinson : A Short Cultural Hist. of India. p. 234.

(٥)

ومما يجدر ذكره أن بلبن وعلاء الدين ومحمد بن تغلق ، كانوا يحرصون على زيادة موارد الدولة ، فلم يشجعوا دخول غير المسلمين في الاسلام حتى لا يؤدي ذلك الى نقص موارد الدولة ، الامر الذي اثار عليهم رجال الدين والمتمسكين بتعاليمه (١) .

واما الفنائم فتقضي القاعدة الشرعية بأن تؤول خمسها الى الدولة ، والاربعة اخماس توزع بين الجنود . على ان السلطان علاء الدين لم يلتزم بتطبيق هذه القاعدة ، ففي عهده زادت الموارد المالية للدولة من الغنائم لكثرة الحروب ولما كان علاء الدين لا يرغب في اغداق الاموال على رجاله ، لان ثرائهم - في رايه - يدفعهم الى التمرد ، تراه يخالف القاعدة الشرعية في تقسيم الفنائم ، ويأخذ منها $\frac{1}{3}$ ، ويودعها في خزانة الدولة ، ويوزع الخمس فقط على المحاربين .

واما ضريبة الزكاة ، فتفرض على المسلم فقط .

والمعروف ان الزكاة من اركان الاسلام ، وتجبى من المسلم الذي يزيد دخله في السنة عن قدر معين حدده المشرع ، وتنفق على المحتاجين ، وهم الفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين (٢) .

وفي سبيل الله وابن السبيل .

ولتنظيم العملية الضرائبية كان السلطان يصدر قراراته فيما يتعلق بنظام الضرائب وجبايتها الى الوزير ويقوم الوزير بدوره بتنفيذها (٣) .

حرص السلطان علاء الدين على ضمان عدم تهرب الناس من الضرائب ، فأسس لذلك ديوان المستخرج او الاستيفاء . ومهمة هذا الديوان النظر في الضرائب المقررة ، وتأجيل ما يراه منها . ورفع او خفض او اعفاء ما يراه ، ومعاينة المتهربين من الضرائب ، واحداث السلطان علاء الدين بعض التعديلات في نظام الضرائب بحيث تؤدي الى تحقيق سياسته الرامية الى زيادة موارد الدولة ، وامر برفع مرتبات موظفي الضرائب حتى لا يتقاضون رشوة مقابل التفاضى عن جمع بعض الضرائب . وفي نفس الوقت لم يأل السلطان علاء

Lal : op. cit., pp. 185 - 186.

(١)

Majumdar : op. cit., p. 210.

(٢)

IBID. PP. 211 - 212.

(٣)

الدين جهدا في سبيل عقاب كل موظف يتلاعب في جمع الضرائب (١) .

ويبدو ان العقوبات كانت قاسية جدا حتى اننا نسمع انه طلب من نائبه غازي مغيث فصل آلاف الكتبة وجامعي الضرائب عن وظائفهم ، وجردهم من اموالهم وعذبهم عذابا شديدا . وبذلك حرص جامعو الضرائب على تأدية واجبهم بأمانة ونزاهة واخلاص حتى لا يتعرضوا لبطش السلطان . ويقال انه اودع خمسمائة من موظفي الضرائب في السجون بتهمة مختلفة . وبذلك ضمن علاء الدين طهارة وتقاة جهازه الضرائبي وعاش موظفو الضرائب في رعب خوفا من عقوبات السلطان الصارمة . ولم يعد الناس يقبلون على هذه الوظائف خوفا مما قد يتعرضون له من عقاب ، بل لم يعد أحد يرغب في ان يزوج ابنته لاحد من هؤلاء الموظفين ، لانهم معرضون لخطر العقاب .

والجدير بالذكر هنا ان علاء الدين الغي امتيازات ملاك الاراضي ، واثقل كاهلهم بها حتى تحولوا الى طبقة رقيقة الحال ، يلتمسون العيش بشق الانفس واذا اضطروا باعوا ما في بيوتهم من تحف او جواهر (٢) ، والفلاح يدفع للحكومة ٥٠٪ من محصول الارض والنصف المتبقى يدفع منه الجزية والضريبة على المنزل وضريبة الكلا وتضطره الحكومة الى بيع فائض الحبوب لها لسد العجز في خزائن الحبوب التي امر السلطان ببنائها في ادارة السوق (٣) . والحقيقة ان سياسة علاء الدين نحو الفلاح اتسمت بالقسوة ، وقد عمد - كما رأينا - الى افقار ملاك الاراضي ، حتى لا يحدث أحد منهم نفسه بالتمرد على النظام القائم . وحذا غياث الدين تغلق حذو علاء الدين . وبذلك نرى ان سياسة التخلجين والتغالقة نحو الفلاح كانت ظالمة جائزة ، ارهقت الفلاح ، واوجدت عنده شعورا بالمرارة صرفه عن بذل الجهود لزيادة انتاج الارض الذي لا يعود اليه منه الا النزر اليسير ، وربما هذا القدر الضئيل لا يكفي متطلباته المعيشية . وبذلك فشل اسلوب تضيق الحياة المعيشية على جماهير سلطنة دهلي في العصور الوسطى .

ولما ولي فيروز شاه السلطنة خفف عن الفلاحين عبء الضرائب ، وعنى بتيسير سبل المعيشة لهم ، فعاشوا في رخاء وامتلات بيوتهم قمحا ، وارتفع مستواهم المعيشي فحسن اثاث بيوتهم ، ولبست زوجاتهم الحلى . وانعدمت شكواهم بعد ان كفل لهم السلطان الحياة الحرة الكريمة (٤) .

(١) تاريخ باراني ، ص ٢٨٨ - ٢٨٩ .

(٢) تاريخ باراني ، ص ٢٨٩ .

(٣) باراني : تاريخ فيروز شاهي ، ص ٢٨٩ - ٢٩٠ .

(٤) Rawlinson : A Short Cultural Hist. of India. p. 237. (٤)

٣ - المظاهر الاجتماعية في سلطنة دهلي

١ - طبقات المجتمع :

تعددت الاجناس في بلاد الهند ، وتنوعت اللغات والاديان وتعرضت الهند في تاريخها الطويل لغزوات كثيرة جلبت لها هجرات من شعوب مختلفة، واندمجت هذه الشعوب مع السكان الاصليين ، وانقسم سكان الهند الذين يعرفون بالهندوس الى اربعة عناصر ، العنصر الاسود والعنصر الاصفر ، والعنصر التوراني والعنصر الآري .

والاريون اكثر العناصر تأثيرا في شعوب الهند ، اقاموا في بادىء الامر في وادى السند ، واوغلوا تدريجيا في داخل الهند ، ودخلوا الدكن في آخر الامر ، واندحر امامهم السكان الاصليون ، كما اندحروا امام الصفر ، حتى اضطروا الى الاعتصام بمناطق الدكن الوسطى الجبلية ذات الاجام والغابات (١) .

ودخل العنصر الآري الابيض وادى السند ، وقهر العناصر التورانية، واوغل في غرب الهند وجنوبها .

والخلاصة ان الجاليات الاجنبية في الهند ثلاثة ، الاولى وهى اكثرها عددا قدموا عبر حدود الهند الشمالية الغربية ، واستقروا بصفة خاصة في السند والبنجاب والثانية بقايا المحاربين المسلمين الذين اقاموا بكثرة في اعالي الهند ، وبدرجة اقل بكثير في هضبة الدكن ، والطبقة الثالثة والاخيرة، هم هؤلاء الذين استوطنوا الساحل الغربى ، ولا يبعد ان يكونوا من اصل عربى ، ولقد جاء الذين اسسوا هذه المستعمرات الى بلاد الهند عن طريق البحر. ولكن هؤلاء الاقوام الذين وفدوا على الهند واستقروا فيها معظمهم استقر في البنجاب وما يجاورها (٢) .

(١) لوبون : حضارة الهند ، ص ١٠٥ .

(٢) ارنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ص ٢٨٦ .

وتؤلف العناصر التورانية معظم سكان البنجاب ، ويقسم الراجبوت في الراجبوتانا - وهم من العناصر الآرية - أما أهل الكجرات فهم مزيج من مختلف العناصر ، وان العنصر التوراني هو الغالب على هذه العناصر .

والعناصر التي وفدت الى الهند فضلت - في الغالب - الاقامة في وادي الكنج وساد العنصر الآري الى الغرب من اوديه والاصغر الى الشرق من البنغال ، وتقع بين هاتين الولايتين ولاية بهار التي تختلف عنهما وضعاً ومنظراً وسكاناً ، ويقطن في هملايا المشرفة على البنجاب في الاودية المنحدرة الى البنجاب جماعات من التبت (١) .

واستقر في بلاد الهند كذلك عناصر من العرب والترك والفرس والافغان ، والعرب جاوزوا بحر عمان للتجارة وانشأوا المستودعات وسيطروا على بعض البلاد الهندية في السواحل الغربية نحو مصب نهر السند (٢) . اما العناصر الاخرى التي اشرنا اليها ، فقد وفدت الى بلاد الهند فاتحة من الشمال الغربي ، منذ عهد السلطان سبكتكين الغزنوي .

ويجدر بنا ان نشير الى الراجبوت لما لهم من اهمية كبيرة في بلاد الهند والراجبوت اقدم طبقة اشراف في العالم ولهم تاريخ قديم موغل في القدم ، ويكتنفه الغموض ، وهم فرسان على قدر كبير من الشجاعة والمهارة العسكرية وقد قاوموا المسلمين بنجاح وعناد ، والراجبات يسكنون في حصون وبروج مشيدة ، ويحكم الراجا حصنه الحصين ويقطع الافراد الخاضعين له الاقطاعات الداخلة في دائرته ، ويلزم بأداء الخدمة العسكرية لسيده ، ويدفع الزراع التابعين للراجا في اوقات معينة قدراً من المحصول ويسخرهم الراجا .

وزعم الراجبوت انهم من سلالة الملوك والحكام القدامى الذين ورد ذكرهم في الاساطير الهندية ، واعتبروا انفسهم اشراف البلاد وسادتها ،

(١) لوبون : حضارة الهند ، ص ١٢٥ وما

(٢) المصدر السابق ، ص ١٣٠ - ١٣١ .

وشيدوا المعابد على الطريقة البرهمية ، وحصنوا مدنهم بالاسوار والقلاع .
واهتموا بالحياة الادبية ، وقربوا اليهم الشعراء والعلماء خصوصا علماء
الانساب ، والراجا يتقدم عادة رجاله في الحروب ، ويدير المعركة بنفسه ،
وامتلأت حياتهم بالحروب ، حتى انهم حرصوا على تنشئة ابنائهم نشأة
عسكرية ، وتدريبهم على اساليب الفروسية ، وتدريس سير الأبطال على
اعتبار انهم المثل الاعلى لكل راجبوتينى ويعلمونهم كذلك احترام النساء
والعفو عن الضعيف والمغلوب ، ونصرة المظلوم ، وان يجير من استجاره . وتنتشر
بين الراجبوت قصص الأبطال والفرسان والصيد والمبارزة والمصارعة ،
وادت هذه التنشئة العسكرية الى شغفهم بالحروب واستهانتهم بالموت ،
وتركوا الأعمال اليدوية من زراعة وصناعة ونحوها الى الاهلين التابعين
لهم .

تنوعت الديانات في الهند - كما رأينا - ويجمعها حين فتحها المسلمون
اسم البرهمية الجديدة او الهندوسية المشترك وتميل كلها الى التوحيد ،
وتشتمل على الوف الآلهة وعلى اصنام حجرية وخشبية ، وتشتمل على
عقائد فلسفية متنوعة . وتقوم في مجموعها على الآلهة البرهمية القديمة
المؤلفة من قوى الطبيعة التى الهتها كتب الوبدا وشخصها البراهمة ، ولقد
تأثرت البرهمية بديانة سابقا لها هى البدهية في تسرب روحها ذات المحبة
والرافة في كل مكان ، وكل ديانات الهند توضح بجلاء كيفية تصور الهنود
للعالم وميل الروح الى التوحيد وميل الخيال الى الاشراك والتسامح
المطلق والاخاء بين العقائد المتناقضة .

المرأة وأثرها في المجتمع

تمتعت المرأة في سلطنة دهلى بقدر كبير من الحرية ، اتاح لها ممارسة
نشاطها ، واظهار مواهبها ، بل تربع على عرش دهلى امرأة هى السلطانة
رضية ، وقد دربها أبوها السلطان التمش على ادارة الدولة ، وعهد اليها
من بعده واحببت كل المؤامرات التى دبرت لخلعها ، وتزيت بزى الرجال ،
وقادت الجيوش بنفسها ، راكبة الفيل ، وبرز في دهلى ايضا شاه تركان -

والدة السلطان فيروز - وحكمت البلاد لان ابنها لم يستطع مباشرة شؤون الحكم والسياسة . وسارت سيرة سيئة ولذلك لم تستمر في السلطة (١) .

كذلك لعبت زوجة علاء الدين ووالدتها زوجة السلطان جلال الدين خلجي دورا كبيرا في الخلاف الذي نشب بين السلطان وابن اخيه ، ولما دبر علاء الدين قتل عمه جلال الدين تحصنت زوجة السلطان القتيل في دهلي ، واعلنت تولية ابنها ركن الدين ابراهيم ، ولكن علاء الدين احبط محاولتها ، وولى السلطنة .

والمرأة الهندية تحب الانتظام في سلك الحياة العائلية واذا ما بلغت الفتاه مرحلة الزواج ، تعقد حفلا للخطوبة وتدعو اليه الشبان ، وتخلص المرأة الهندية لزوجها كل الاخلاص حتى انها تحرق نفسها اذا مات زوجها ولم يترك ولدا ، وتعتبر حياتها بعد زوجها عذابا لا يطاق ، وقد ابطل السلطان فيروز شاه التغلقى هذه العادة السيئة .

وبلغ من وقاء المرأة الهندية لعائلتها ووطنها عموما انها كانت تفضل الموت على الوقوع في ايدي العدو ، بل احرق النساء انفسهن عندما سقطت شيتور في ايدي السلطان علاء الدين خلجي حتى لا يقعن في اسر اعدائهن واحرقت نساء الهناذكة انفسهن في اثناء هجوم تيمورلنك على دهلي .

وقد اهتم السلطان فيروز شاه التغلقى برعاية الضعفاء من النساء ، فأنشأ ديوانا للخيرات ، يقوم بتجهيز الفتيات الفقيرات للزواج .

الرقيق

انتشر الرقيق في سلطنة دهلي انتشارا واسعا بسبب كثرة الحروب ، واستخدموا في الجندية وفي الاعمال اليدوية كالزراعة والصناعة والتجارة

Munshi : 'The struggle for Empire. p. 180.

(١)

او الخدمة في البيوت والدور وتدرج بعضهم في سلك الجندية حتى بلغ منصب السلطنة ، فكان قطب الدين ابيك اول سلاطين المماليك في الهند ، مملوكا عند سيده شهاب الدين ، وظهرت شجاعته حتى ولاه قيادة جيوشه ، ثم استتابه في اقليم الهند التابع لدولة الغور ، ولما سقطت الدولة الغورية ولى السلطنة ، وخلفه سلاطين المماليك في الهند وحرص سلاطين دهلي على ~~التمسك~~ المماليك والاعتماد عليهم في الجندية ، ومن تدرج في سلك الجندية كافور ، وكان عبدا حبشيا قديرا جلبه القائد نصرت خان الى سيده ، واحرز الكثير من الانتصارات في المعارك التي قادها لعلاء الدين ، وكان علاء الدين يؤثر كافور بالمشورة ، بل وقع تحت تأثيره ، ولما توفي علاء الدين ، اجلس كافور - اصغر ابنائه على العرش تحت وصايته حتى ينفرد هو بالسلطة والحكم في البلاد ، وائساء كافور السيرة ، ونكل بكل من اعترض طريقه ، ولكن مماليك علاء الدين قبضوا عليه ، وقتلوه واسندوا السلطنة الى مبارك خان .

ولقد حث الاسلام المسلمين على عتق العبيد والعمل على تحريرهم . قال تعالى : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم » ، ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا ، (١) وللعنق اسباب كثيرة اهمها في الاسلام اظهار العبد للتقوى او دخوله في الاسلام او فداء عن يمين او وفاء ينذر او التماسا للشواب او شكرا لله على نعمه (٢) . ولقد حرص سلاطين دهلي وامراؤها على عتق العبيد في العيدين تقريبا الى الله .

وكان الارقاء يختلفون في اجناسهم واشكالهم والدانهم وام كونوا جميعا من اسرى الحروب ، بل كان بعضهم يشتري من اسواق النخاسة .

(١) سورة النساء .

(٢) المنذرى : الترغيب والترهيب ، ج ٣ ، ص ٦١ - ٦٣ .

ومن أبرز الأعمال التي قام بها الجوارى ، الغناء ، واسعارهن مرتفعة وبلغ بعضهن شأنا كبيرا في قصور السلاطين والأمراء .

وكان سلطان دهلي وأمراء المملكة يتبادلون الهدايا ومن بينها الممالك ، وإذا وفد زائر على أحدهم يقدم له هدية من الممالك ، وينعم السلطان على كبار رجال دولته في العيدين بهدايا من الرقيق .

(ب) الموسيقى والغناء والمجالس الاجتماعية :

اهتم أهل الهند بالموسيقى منذ فجر تاريخهم ، وتطور فن الموسيقى بفضل تشجيع ملوك الهند القدامى ، وظهر موسيقيون اكفاء بأعداد كبيرة ، وعرف الهنود النوتة الموسيقية ، واستخدموها في فنهم ، والمعروف أن أول من عرف النوتة الموسيقية أهل الهند ، وتقلت إلى أوروبا في القرن الحادى عشر وتنوعت الآلات الموسيقية عندهم (١) .

ولم يكن سلاطين الترك في دهلي أقل اهتماما بالموسيقى من أسلافهم بل شغفوا بها ، وشجعوا الموسيقيين ، وكان الأمير محمد ابن السلطان بلبن تلميذا لرائد الموسيقى في الهند ، أمير خسرو ، وجدد الألحان الموسيقية في الهند وطورها وأصبحت الموسيقى في سلطنة دهلي من الأمور التي لا غنى للأفراد عنها في حياتهم اليومية ، وأقبل الناس بشغف على سماع الموسيقى وتعلم الألحان ، ويذكر بارانى (٢) . أن السلطان جلال الدين خلجى كان يحب الموسيقى ، وضم بلاطه عددا من الموسيقيين . وذكر اسم محمد شاه شانجى اللاعب على الشانجى Chang وفاتوحا ونصرت خاتون ومهرا فروز كانوا أشهر وأمهر عازفين في بلاط السلطان ، ويتحدث بارانى عن جمال أصواتهم حتى أنه يقول أن الطيور كانت تهبط من الجو لسماع أغانيهم العذبة وربما يخرج الإنسان عن طوره ، وكان خسرو يغنى بمدح الملك ، ومحمد شاه يغنى للسلطان بالأغاني التي يعشقها ويهوى سماعها .

وكان السلطان علاء الدين خلجى يحب الاستماع إلى الموسيقى أيضا ، وأعطانا أمير خسرو بيانا مفصلا عن الموسيقيين في عهده ، وتحدث عن الآلات الموسيقية

Lal : Hist. of the Khaljis.p. 335.

(١)

(٢) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ١٣٠ .

انتى استخدمت وتنوعها واستخدامها ، ومن اشهر الموسيقيين محمد شاه خليفة حسين واخلاق وترماتى خاتون ، وغنى هؤلاء وغيرهم في قصر علاء الدين . وكانت ترماتى خانون موسيقية وفنانة عظيمة ، تفوقت على مثيلاتها من الفنانات الفرس والهنود في عهد علاء الدين . ومن الآلات الموسيقية الشانج والدف والربابة والزمار والناي والارغول (١) .

وبلغ من محبة علاء الدين للموسيقى ، وتقديره العميق للموسقيين انه بعد ان سقطت سريرا نجم في ايدي نائبه ملك كافور وفد على علاء الدين فرقة من الموسيقيين من جنوب الهند واسعدوا السلطان بالحنانهم وغانيتهم ، فرد اليهم صنمهم .

وبرز في جنوب الهند فنان كبير يسمى كوباك Nayak وقدر عدد تلاميذه بألف ومائتى موسيقى ، وزار كوباك دهللى ، ورتب امير خسرو كبير موسيقى علاء الدين اجتماعا بينه وبين السلطان ، وانشد الحانه في بلاط علاء الدين فلاحظ السلطان تفوق الموسيقى الجنوبى على امير خسروا ، وطلب من كبير موسيقييه الاستماع لكوباك في بلاطه خفية وغنى الموسيقى الجنوبى ، والم امير خسرو بالحنان ، وغناها بعد ذلك للسلطان (٢) .

ولما كان اهل الطرب والموسيقى والغناء يجدون في دهللى التقدير والعرفان فقد وفدوا اليها من خراسان وبلاد الافغان وغيرها من البلاد الاسلامية ، ولما علم امير خسرو بمقدم موسيقيين خراسانيين الى دهللى ، عقد معهم مناظرة حضرها كبار موسيقى دهللى ، وانشد كل موسيقى الحانه وقد انتهت الندوة الموسيقية باعتراف الموسيقيين الخراسانيين بتفوق الموسيقى الهندية على ما سواها ، والتي تدخل السرور « ليس فقط للانسان ولكن للحيوانات والطيور ايضا » (٣) .

ولم يكن امير خسرو - اشهر موسيقى في عصره - مجرد موسيقى فقط بل كان مؤلفا لالحن ومخترعا لآلات موسيقية ومغنيارائعا ، ومن مقطوعاته الموسيقية ايمان ، عشاق ، موفق ، غنام ، فرغانه . . . الخ . وهذه المجموعة من أروع واشهر النماذج الفارسية والهندية ، كما ابتدع امير خسرو أسلوبا دقيقا وجديدا في الغناء يسمى خيال ، فتنغم أولا القطعة الموسيقية بسرعة

Lal : Hist. of the Khaljis pp. 335.

(١)

Munshi : op. cit., p. 271.

(٢)

IBID p, 271.

(٣)

معنية ثم تضاعف السرعة ، ثم تضاعف اربع مرات وهكذا ، والخيال لخسرو يتكون من الالب *Alap* الذى يغنى ببطء في النوت الموسيقية للراجا ثم يليه التاناس *Tanas* الذى يكرر بأنغام سريعة .

وموسيقى الخيال محبوبة جدا في بلاد الهند حتى ايامنا هذه ووضع امير خسرو موسيقى تارانا *Tarana* بالاضافة الى موسيقى خيال ، وتعرف الى يومنا هذا ، وهى تخدم نفس الغرض في الموسيقى الصوتية ، وقد قدرها المعاصرون حق قدرها (١) .

وكتب خسرو كتابا عن فن الموسيقى والالحان الموسيقية واغانيه التى ذاعت وانتشرت في الآفاق تظهر براعته وابداعه وتفوقه في الموسيقى والغناء ، وصنف في علم الموسيقى باللغتين الفارسية والهندية ، وقيل ان مؤلفات خسرو الموسيقية لو جمعت لكونت موسوعات تضارع موسوعاته الشعرية (٢) .

ولم تزدهر الموسيقى والغناء ، في بلاط سلطان دهلى وقصور الراجات وكبار رجال الدولة فقط بل راجت بين عامة الناس على اختلاف مستوياتهم . ووجدت طبقة من الناس كانت الموسيقى بالنسبة لهم بمثابة الشعلة التى تخاطب الروح ، والطريق الفعال الى معرفة حقيقة الله .

واعتقد المتصوفون من المسلمين عموما ورجال الدين خصوصا ان الموسيقى المتنفس الهام للحياة . وذكر الشيخ ناصر الدين الشيرازى انه اذا كان هناك ادوية للأمراض الطبيعية فان الموسيقى خير علاج للكرب الشديد . وانقسم رجال الدين على انفسهم حول الاستماع الى الموسيقى ، فحرم ذلك بعضهم ، واجازه البعض الآخر . وكان غازى حميد الدين ناجورى محبا للموسيقى ، بينما عارض سماعها مولانا ركن الدين سمرقندى . وكان الشيخ نظام الدين اوليا شغوبا بالموسيقى ، ولقد قسم الموسيقى من حيث قبولها او رفضها الى اربعة انواع ، النوع الاول حلال ويتغنى به المغنون والمنشدون بذكر الله وفضله ونعمه والثانى مباح لا يتعارض مع أوامر الله ونواهيه كأن يدور حول الظواهر الطبيعية في الكون والطفولة ومصر الانسان وهكذا والثالث مكروه يميل الى المظاهر العاطفية ، والرابع محرم ، ويدور حول الحب والعشق والغزل (٣) .

IBID. p. 272.

Lal. P. 338.

IBID. P. 338.

(١)

(٢)

(٣)

واقبل الهنود على الموسيقى الدينية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر بشغف شديد ، وشارك رجال الدين الشعب في الاستماع الى هذا اللون الموسيقى بل عبر بعضهم عن مشاعرهم الدينية بالانشاد الدينى والرقص . ويذكر بارانى (١) ان الحفلات الموسيقية والفنائية كانت تعقد بكثرة في احياء دهلى ، وبعضها كان يستمر عشرين يوما او شهرا ، وحينما تعزف الموسيقى والالحان الدينية يمتنع الناس عن التصفيق ، ولا تستعمل الادوات الموسيقية ، ويخشع المستمعون لله ، وتتجه أحاسيسهم الى الله ، وينتاب المستمعون شعور روى عميق ، بضرورة التجرد من الجسد وماديات الحياة وبلوغ الملا الاعلى (٢) .

ولم يكن مبارك شاه اقل من ابيه شغفا بالموسيقى ، واهتم بها ايضا الحكام والولاة ورجال دولته ، واقبلوا على سماعها وشجعوا اهل الفن .

ولكن تغلق شاه وغازى تغلق لم يقيلا على الموسيقى والغناء ، ولم يمنع تغلق شاه عزف الموسيقى في بلاطه فقط ، بل تدخل ايضا في الموشحات الدينية الشيوخ واستدعى تغلق شاه كما يقول فرشته - (٣) نظام الدين اوليا وناقشه في شرعية الاستماع الى الموسيقى ، وانشاد الاغانى ، واقنع الشيخ السلطان بأن الاغانى الدينية ليست حراما ، ولكن السلطان التغلقى ظل يكره الموسيقى والغناء . ولما ولى فيروز تغلق السلطنة تخرج من سماع الموسيقى والغناء ، ورفض عقد الحفلات الموسيقية والفنائية في بلاطه .

وبلغ من ازدهار الموسيقى والغناء في دهلى انه كان بها ضاحية للمغنيين والمغنيات تسمى سوق طرب آباد من اجمل الاسواق واكبرها فيه الدكاكين الكثيرة كل دكان به باب يفضي الى دار صاحبه . والدكان مزين بالقرش الفاخرة وفي وسطه مجلس المغنية ، وهى متزينة بانواع الحلوى ، ويحيط بها جواربها . وفي وسط السوق قبة عظيمة مفروشة مزخرفة يجلس فيها رئيس المطربين بعد صلاة العصر من يوم كل خميس وبين يديه خدامه ومماليكه . وتأتى المغنيات طائفة بعد اخرى فيغنين بين يديه ويرقص الى وقت المغرب ،

(١) تاريخ فيروز شاهى ، ص ٢٤٠ .

(٢) فرشته : تاريخ فرشته ، ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٤٠ .

ويُفد الناس الى هذا السوق للاستماع . ويتفق اصحاب المناسبات السعيدة مع رئيس المطربين على عقد حفلات غنائية في دورهم (١) .

وقد وصف لنا ابن بطوطة رحلة قام بها في نهر السند مع احد امراء الهند وتضمنت الرحلة حلقات غنائية ، وكان المغنون يغنون من اول النهار حتى منتصفه وحينما يتناول الامير الغذاء ، يأتى اهل الطرب الى مركب الامير ، فيغنون الى ان يفرغ من طعامه (٢) .

وكانت تعقد في قصر السلطان وبيوت الامراء ورجال الدولة المجالس الاجتماعية حيث يجتمع الادباء والعلماء للمناظرة والمناقشة ، وانتشرت القصص والحكايات في الهند وتروى في مجالس السمر ، وقد اخذ العرب عن الهند الكثير من القصص مثل قصة كليلة ودمنه ، وقصة السندباد الكبير والسندباد الصغير ، وكتاب هابل في الحكمة وكتاب الهند في قصة هبوط آدم وكتاب الف ليلة وليلة (٣) وانتشرت في بلاد الهند بعض الالعاب للتسلية من اهمها الشطرنج ، والهنود هم واضعو الشطرنج - كما يقال - وعندهم انتشر في انحاء العالم ، وللهند في الشطرنج العاب تختلف في بعض الوجوه عما هو معروف الان .

(ج) العادات والاخلاق

ظهرت نزعة الزهد قوية في الهند من تاريخها القديم ، وذلك ان طبيعتهم الفلسفية دفعتهم الى التأمل والتفكير في الخالق والخلق ، وخلصت نواياهم نحو الله واتجهوا اليه بكل ما استطاعوا ، وصفت نفوسهم ، وراوا ان النفس اذا نالت ما ارادت انتقدت الى المعاصي ، ففضلوا التغلب عليها . وفي سلطنة دهلي الاسلامية شاهد ابن بطوطة الكثير من الزهاد نخص بالذكر منهم محمد العريان ، وهو شيخ حسن الصورة يجلس في زاوية بالقرب من كول ولا يلبس الا ثوبا من سرته الى اسفل ، وباقي جسده مكشوف ، ومن كبار الصالحين

(١) ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ١٠٥ .

(٢) ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ٦ .

(٣) أحمد أمين : ضحى الإسلام ، ص ٢٤٨ .

الشيخ محمود الكبا ويزعم الناس ان المال يأتيه من حيث لا يحتسب ، وهو يطعم الوافدين عليه ويغدق على الناس الاموال الكثيرة ويقولون أن له كرامات كثيرة ، ومن المشايخ الزهاد ، العالم العابد علاء الدين النيلي ، ويعظ الناس في كل يوم جمعة ، ويتوب الكثير من الناس على يديه ، وبلغ تأثير الناس به انهم كانوا يحلقون رءوسهم ويتواجدون ويفشى على بعضهم (١) . وكان الشيخ صدر الدين الكهراني يصوم الدهر ويقوم الليل ، وتجرد من الدنيا جميعها ونبذها ، ولباسه عباءة ، ويزوره السلطان واهل الدولة ، وربما احتجب عنهم حتى يخلو بربه ، وكان يرفض الاموال التي ترسل اليه من السلطان او الاغنياء (٢) . ومن الشيوخ الزهاد الشيخ نظام الدين البنداوني وكان محمد بن تغلق يعظم شأنه ويتردد عليه كثيرا ، وقد تنبأ هذا الشيخ بقرب توليه هذا الامير سلطنة دهلي ، ولما توفى هذا الشيخ حمل جسده الى مشواه الاخير .

وصف البيروني (٣) اهل الهند بالاعجاب بانفسهم ، والاعتداد بآمتهم ، والازدراء بمن عداهم ، يعتقدون في الارض انها ارضهم ، وفي الناس انهم جنسهم ، وفي الملوك انهم رؤساؤهم ، وفي العلم انه ما معهم ، وفي طبيعتهم الضن بما يعرفونه والافراط في الصيانة له عن غير اهله منهم فكيف عن غيرهم ، على انهم لا يظنون ان في الارض غير بلدانهم ، وفي الناس غير سكانها ، وان للخلق غيرهم علما حتى انهم اذا حدثوا بعلم او عالم في خراسان وفارس استجهلوا المخير ، ولم يصدقوه للالفة المذكورة ولو انهم سافروا او خالطوا غيرهم لرجعوا عن رأيهم . ودهش البيروني لما رآه من سلطان كهنة البراهمة .

كانت الصلات بين الهندوس والمسلمين ضعيفة في اول امر ، وعاش المسلمون في معزل من الهندوس لاختلافهم الكبير في التقاليد والعادات والمعتقدات ، واشتد العداء بين الفريقين بل نشبت حروب بينهم وبمرور الزمن اختلط الفريقان ، وتأثر المسلمون بالهندوس . والهندوس بالمسلمين ، ويتجلى ذلك في رفض بعض المسلمين اكل لحم البقر وانكار زواج الارامل ، والاشتراك مع الهندوس في اعيادهم وافراحهم ، واخذ الهندوس عن المسلمين عادة حجاب المرأة وبعض ازياء المسلمين واستخدام الالفاظ العربية والفارسية والتركية ،

(١) ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ٢٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٣ .

(٣) تحقيق ما للهند من مقولة ، ص ١١ .

وادی ذلك الى ظهور لغة جديدة في القرن الثالث عشر الميلادی وهی اللغة الاردية (١) .

وانقسم المسلمون في الهند الى سنة وشيعة ، وكان سلاطين دهلی يشجعون الهنود على اعتناق الاسلام ، واذا اراد الواحد منهم اعتناق الاسلام يدخل الى السلطان ويشهر له اسلامه فيكسوه السلطان كسوة حسنة ، ويعطيه قلادة واسوار من ذهب على قدره (٢) . ويذكر فيروز شاه التغلق في سيرته التي كتبها بنفسه بأنه شجع الهنود من رعبته على اعتناق الاسلام ، واعلن انه مستعد لاعفاء كل من يعتنق الاسلام من الجزية ، ولقد ادى ذلك الى اقبال الكثير من رعاياه على الدخول في دين الله افواجا ، واعفاهم السلطان من الجزية ، ومنحهم الهديا (٣) .

وقد لقب اكثر من نصف مسلمي الهند بالقباب الشعوب الاجنبية المتميزة مثل شيخ وبك وخان وسيد ، اما السواد الاعظم من المسلمين من أهل البلاد الاصلين فلقبوا بلقب الشخص الذي بلغ اعلى مرتبة بين هؤلاء الذين اسلموا على ايديهم ، او اندمجوا في الطبقة الارستقراطية الاسلامية (٤) .

وكان بعض المسلمين يقدمون النذور عند معابد الهندوس واخذ الهندوس من المسلمين عادة حجاب المرأة ، وكانت المرأة الهندية لا تحتجب ، وتمارس نشاطها في المجتمع دون حرج ، واخذ الهندوس عن المسلمين لباسهم وعرفوا بعض الالفاظ العربية والفارسية منهم ، الامر الذي ادى الى ظهور اللغة الاردية في الهند في القرن الثالث عشر (٥) .

وفي القرن الرابع عشر ظهر مصلح ديني هندوسي من جنوب الهند اسمه رمانا ندا ، وقد هاجر الى بنارس ودرس تعاليم الاسلام ، ومن خلال دراسته ادرك عيوب الهندوسية ، وتحمس لمبدأ المساواة الذي اقره الاسلام ووضع مذهباً جديداً اساسه المحبة والاخلاص والمساواة بين الناس ، والتف

(١) ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ٢٨ .

(٢) ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ٣٠ .

(٣) Elliot : The Hist. of India. Vol. 11. p. 386.

(٤) ارنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ص ٢٨٦ .

(٥) Rawlinson : A Short Cultural Hist. of India p. 244.

حوله الكثيرون من طبقات مختلفة وديانات متعددة ، ومن أشهر تلاميذه شاعر مسلم يسمى « كبير » ولم يرض عنه المسلمون لان قصائده كانت تعكس بعض الاتجاهات الهندوسية ، كذلك لم يرض عنه الهندوس لانه كان يحقر آلهة البراهمة ، ويتحامل على جوانب كثيرة في معتقداتهم ، وقدموا ضده شكاوى كثيرة الى السلطان فرأى السلطان انه يثير الفتن والقلق ، فنفاه ، وتنقل بين بلدان الهند ينشد الناس اشعاره ، ويطلعهم على آرائه ومعتقداته ، حتى التف حوله كثيرون من الهندوس والمسلمين ، وكان يوم وفاته يوما مشهورا تنازع فيه المسلمون والهندوس ، كل يريد دفنه حسب تعاليم دينه ، وزعموا انه في اثناء هذا النزاع ظهرت لهم صورة لكبير ، وقال : ارفعوا الغطاء عن جسمى - ولما رفعوا الغطاء لم يجدوا جثة كبير ، وانما وجدوا كومة من اوراق الورد ، وعند ذلك اقتسموها بينهم ، وقد دفن المسلمون نصيبهم في مقابرهم ، بينما احرق الهندوس نصيبهم - طبقا لطقوسهم - ونثروا الرماد فوق مياه نهر الكنج .

ولنتقل الآن الى ذكر بعض العادات التي شاعت عند الهنود في العصور الوسطى ، فقد كان الهنود من غير المسلمين يحرمون ذبح البقر ، ويعظمون البقر ويتبركون به ويتفاءلون من اقامتها في دورهم ، ويقومون على خدمتها وراحتها ، وجزاء من ذبحها عندهم ان يخاط في جلدهم ويحرق (١) .

والمرأة في الهند كانت لا تطيق الحياة بعد وفاة زوجها ، وحينما يحرق جسده عقب موته ، تندفع زوجته الى النار وتحرق نفسها معه ، وشاهدها ابن بطوطة متزينة راكبة والناس يتبعونها من مسلم وكافر ، والاطبال والابواق بين يديها ، ومعها البراهمة - وهم كبراء الهنود - وكان السلطان في دهلي لا يمانع في ذلك ، لان سلاطين دهلي لم يتعرضوا لعادات وتقاليد غير المسلمين في بلادهم ، وحرق المرأة لنفسها بعد وفاة زوجها شرف كبير لاسرتها ، والمرأة غير الوفية التي لا تحرق نفسها ، تلبس خشن الثياب وتقيم عند اهلها بأئسة ممتهنة ، ولا تكره على حرق نفسها ، ورأى ابن بطوطة ثلاثة نسوة اعتزمن حرق انفسهن بعد موت بعولتهن ، مكثن ثلاث ليال قبل الحرق في غناء وطرب وفرح وسرور ، رياتى اليهن النساء من كل مكان ، وفي اليوم الرابع اتت كل

(١) ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ٣٠ .

واحدة منهن على فرس ومزينة بابهى زينة، ومتعطرة، والبراهمة يحفون بها ،
واقاربها معها وبين يديها الاطبال والابواق والانتفار ، وتم الحرق في موضع
مظلم كثير الاشجار والمياه ، وبين الاشجار اربع قباب وبين القباب صهريج
ماء ، قد تكاثفت عليه الظلال وتزاحمت الاشجار ، وتشابكت غصونها ، فلا
تنخللها الشمس ولما وصلت النسوة الى القباب ، نزلن الصهريج ، وانغمس
فيه ، وجردن ما عليهن من ثياب وحلى ، فتصدقن بها ، واثت كل واحدة
بثوب خشن غير مخبط من قطن والقى عليه الحطب ، واحترقت ، ودقت
الطبول ، والقى الرماد في نهر الكنج (١) . وقد الفى السلطان فيروز شاه
التغلقى هذه العادة .

ومما يجدر ذكره أن نهر الكنج كان مقدسا عند الهندود حتى أن بعض
الناس كانوا يفرقون انفسهم في هذا النهر تقربا الى الله ، وتعجلا في الذهاب
اليه ، فاذا غرق اخرجوا جثته واحرقوه والقوا رماده في النهر (٢) .

وانتشر السحر في سلطنة دهلى ، وبرز في هذه الدولة شأن السحرة
الجوكية وتظهر هذه الطائفة العجائب منها انهم يقضون فترات طويلة بلا طعام
او شراب ، وكثير منهم تحفر له حفرة في الارض ، ويبنى عليه ، فلا يترك
له الا موضع يدخل منه الهواء ، ويقيم بها الشهور ويتناولون حبوبا تمكنهم
من احتمال الجوع ، وتعوضهم عن الطعام ، وسلطان دهلى يجالسهم
ويعظمهم ، وبعضهم لا يتناول الا الطعام البسيط ، ولا يأكلون لحم
الحيوانات (٣) .

والجوكية يلبدون شعورهم ويرسلونها حتى بلغت طولهم وكثير من
الناس يعتقدون في سحرهم ، ويقبلون عليهم ، ويذكرون ان من كانت
به عاهة من برص او جذام يأوى اليهم مدة طويلة ، فيبرأ بأذن الله ،
ويقومون في مغارات تحت الأرض ، لا يغادرونها الا لمهام الأمور (٤) .

وترى جميع ديانات الهند أن الحياة شر ، وأن المادة مظهر وضيع
لبسدا الحياة ، وأن الطبيعة سلسلة تطورات دائمة ، وأن الالهة والناس

(١) ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ٣٠ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٠ .

(٣) رحلة ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ١٠٣ .

(٤) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٠٢ .

ظواهر باطلة ، ومظاهر وهمية للأصل الأعلى أى لبرهما العظيم ، وأن هذا الأصل الأعلى هو الله الواحد الذى يهب الحياة لجميع الموجودات وأن الاجداد والحيوانات وقوى الطبيعة والجن والفيلان والابطال الذين يتقمصهم لا يلبثون أن يصبحوا موضوعات عبادة ثم أصناما للجماهير ، وأن الروح الخالدة تنتقل من موجود إلى موجود حتى تفنى في الأصل الأعلى، وأن أفعال الانسان في الدنيا تحدد مصيره القادم . وقد وصف البيروني (١) عقيدة تناسخ الارواح عند الهنود وذكر أن التناسخ علم النحلة الهندية ، فمن لم ينتحله لم يك منها ، ولم يعد من جلتها (٢) . وقالوا : ان الارواح خالدة لا تفنى ، وتنتقل من جسد الى جسد ، وترقى في الاجسام ، وتتطور ، كما تتطور الابدان في الانسان في مراحل عمره من الطفولة الى الشباب الى الشيخوخة . وفي كل بدن تستفيد الروح تجارب جديدة ومعلومات جديدة فالارواح الباقية تتردد في الابدان البالية ، وهى تتردد من الارذل الى الافضل لترقى النفس في الكمال ، حتى يتحقق شوقها بعلمها ما لم تعلم ، واستبقاؤها شرف ذاتها واستفنائها عن المادة فتعرض عنها ، ويتحد العاقل والعقل والمعقول ويصير واحدا (٣) . فالارواح الشريرة تتعرض للعقاب ، والارواح الخيرة تنال خير الجزاء ، والارواح الشريرة تتردد في النبات وخشاش الطير ومرذول الهوام الى ان تصبح في وضع تستحق فيه الثواب وعندئذ تنتقل الى بدن أرقى .

واعتقد البراهمة أن الله هو الواحد الازلى من غير ابتداء ولا انتهاء، المختار في فعله ، القادر الحكيم الحى المحى المدبر المبقى ، الفرد في ملكوته عن الاضداد والانداد لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء . وأن الله يحيط بكل شيء ولا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء (٤) .

(١) تحقيق ما للهند من مقولة ، ص ٤٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٢ .

(٣) البيروني من تحقيق ما للهند من مقوله ص ٢٤ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٣٢ .

(د) الاعياد والمواسم والمواكب

احتفل المسلمون في سلطنة دهلى بالعيدين بمظاهر تليق بالمناسبتين الكبيرتين ، وعن سلاطين دهلى عناية كبيرة بالاحتفال بالاعیاد في شيء كثير من الابهة ، وفي ليلة العيد يرسل السلطان الى الخواص والملوك وكبار رجال الدولة والاعزة - وهم كبار ضيوف السلطان الاجانب - والكتاب والحجاب والنقباء والقواد والعبيد وأهل الاحياء الخلع الثمينة وتزين الفيلة في صبيحة العيد بالحرير والذهب والجواهر ، وتخصص ١٦ فيلا لركوب السلطان ، ويركب السلطان فيلا منها ، وبين يديه خدمه ومماليكه ، وعلى كل فيل مرتبة حرير مرصعة بالجواهر ، ويرتدى مماليكه فاخر الثياب ويمشي بين يديه النقباء ثلاثمائة ، ويركب قاض القضاء وسائر القضاة وكبار الاعزة من الخراسانيين والعراقيين والشوام والمصريين والمغاربة ، كل واحد منهم على فيل ، والمؤذنون يركبون الفيلة ، ويخرج السلطان من باب القصر ، والعساكر تنتظره والمشاة والمؤذنون والقضاة يذكرون الله ، وخلف السلطان مراتبه ، وهى الاعلام والطبول والابواق والانفار ، واهله واخوته كل بمراتبه وعساكره ، وافراد أسرته كل بمراتبه وعساكره وكل من يركب في هذا اليوم يكون مدرعا هو وفرسه ، ويؤدى السلطان ورجال الدولة صلاة العيد ، فاذا كان عيد الاضحى نحر السلطان ، ويعود الموكب الى القصر بعد ذلك (١) .

ويفرش القصر يوم العيد ، ويزين بأبداع زينة ، وتقام خيمة كبيرة لاستقبال المهنئين بالعيد ، تشمل كراس من ذهب ، وبصدر المجلس سرير السلطان من الذهب الخالص كله مرصع القوائم بالجواهر ، ويتأدى الحجاب بمقدم السلطان ، ويتوافد القضاة والخطباء والعلماء والمشايع على السلطان للسلام والتهنئة بالعيد ، الواحد تلو الآخر من غير تزاحم ، ويفدق السلطان المال على من يشاء ، ثم يقدم الطعام لضيوف السلطان ، ويصب عبيد الملك ماء الورد على الحاضرين صبا ، ويجالس السلطان الناس باقى ايام العيد على سرير دون ذلك ذهب ، ثم يأتى

(١) ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ٢٨ .

أهل الطرب وتغنى الفتيات من بنات الملوك الكسفان وترقصن ويهبن
السلطان للامراء والاعزة ، ثم تأتي بعد ذلك سائر البنات الكفان فيغنين
ويرقصن ، ويهبن لأقاربه وأصهاره ، وجلس السلطان لذلك بعد العصر .
واليوم الذي بعده ، يعد القصص على الترتيب السابق ويهب السلطان
الفتيات التي تغنى وترقص لامراء الممالك ، وفي اليوم الثالث يزوج أقاربه
وينعم عليهم ، وفي اليوم الرابع يعتق العبيد ، والخامس الجوارى ،
والسادس يزوج العبيد بالجوارى ، والسابع يعطى الصدقات (١) .

وكان مجلس السلطان محمد بن تغلق للناس بعد العصر غالبا وقد
وصفه ابن بطوطه ، فذكر أن مجلسه كان على مصطبة مفروشة بالبياض .
وإذا جلس يقف أمامه الوزير والكتاب خلف الوزير ، وخلفهم الحجاب ،
ووكيل الدار ونائبه ، ويتلو الحجب النقباء ويجلس السلطان محاطا بحرسه
المدججين بالسلاح ، وعن اليمين واليسار قاضي القضاة وخطيب
الخطباء ثم سائر القضاة ، وسائر الفقهاء ، وكبار الشرفاء والمشايخ ثم
أخوة السلطان وأصهاره ثم الامراء الكبار ، وكبار الاعزة ، ثم القواد ويؤتى
بستين فرسا مسرجة ملجمة ، ويؤتى بخسمين فيلا مزينة بثياب الحرير ،
ومعدة لقتل أرباب الجرائم ، وتلك الفيلة مدربة على خدمة السلطان ، ويقف
نصفها عن اليمين ونصفها عن اليسار وخلف هذا كله يقف عبيد السلطان
مسلحين ومتيقظين حتى لا يتسلل أحد خلال هذه الجموع (٢) .

ومن يقدم على السلطان بهدية ، يدخل الحجاب الى السلطان . أمير
حاجب ونائبه خلفه ، ثم خاض حاجب ونائبه خلفه ثم وكيل الدار ونائبه ثم
سيد الحجاب وشرف الحجاب ، ويلفون السلطان بضيفه ، فإذا أذن له ،
يظهرون الهدية للسلطان فإذا كان رجلا كبيرا ، خاطبه السلطان اللف خطاب ،
ويرحب به ، وإن كان ممن يستحق التعظيم صافحه ، وقد يعانقه ، وقد يخلع
عليه ، ويأمر له بمال (٣) .

وإذا قدم السلطان من سفر ، زينت الفيلة ، وحملت أمامه الستارة
المرصعة بالجواهر الثمينة ، وتصنع قباب من خشب ممكسوه بثياب

(١) ابن بطوطه : الرحلة ، ج ٢ ، ص ٣٩ .

(٢) ابن بطوطه ، ج ٢ ، ص ٣٦ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٣٧ .

الحرير ، وفي كل منها الجوارى المغنيات ، يلبسن أجمل لباس ، وأجمل حلية ، وتوزع المياه العطرة والحلوى على الناس ، ويمر موكب السلطان فى دهلى تزين حيطان الشوارع التى يمر بها بالحرير ويمشى أمامه المشاة من عبيده ، وتلقى قطع الذهب والفضة على الناس حين دخوله الى المدينة حتى وصوله الى قصره . وفي هذه المناسبة وغيرها يقيم السلطان سمائا يدعو له كبار رجال الدولة .

٤ - الحياة الثقافية في سلطنة دهل الإسلامية

ازدهرت الحياة الثقافية في بلاد الهند قبل قيام الدول الإسلامية فيها حتى أن المسلمين يعتبرون الهند إحدى الأمم الأربع التي لها اهتمامات علمية ، وقد برع الهنود في الحساب وعلم النجوم وأسرار الطب ، وذكر المسعودي (١) أن جماعة من أهل العلم والنظر اعتبروا الهند الفترة التي فيها الصلاح والحكمة ، وكان الهند كما يقول القفطي (٢) معدن الحكمة وينبوع العدل والسياسة .

وكانت قصور الراجيوت غاصة بالشعراء والادباء ، وتدور أشعارهم حول قصص البطولات وشرف الأنساب ، والانتصارات على الأعداء وإخلاص النساء ونحو ذلك ، وازدهرت الحياة الأدبية في شمال الهند ، وظهر شاعر بنغالي اسمه جاياديفا وقد وضع مسرحية « نشيد البقر » وتدور حول تقدير الإله كرشنا ومحبيه للفتيات اللاتي يحلبن البقر ، وقد أحب واحدة منهن ، وجذبته بسحرها وجمالها ورقصاتهما ، حتى أنه أثر البقاء معها ونسي موطنه (٣) .

ومن الملاحم الشعرية الرائعة كتاب « المحيط من القصص » ويشبه ألف ليلة وليلة وضعه الشاعر سوماديف .

ولما ظهر الإسلام في بلاد الهند ، انتشرت الثقافة الإسلامية بها . على أن الفتوحات الغزنوية في بلاد الهند ، صاحبها ازدهار الثقافة الإسلامية ، ذلك أن السلطان محمود الغزنوي لم يأل جهدا في تشجيع الحركة العلمية في بلاده ، فزين غزته بأجمل ما حصل عليه من نفائس الهند ، وأعاد تشييد مسجدها الجامع على أحسن صورة « وأضاف إلى المسجد مدرسة فيحاء تشمل حجراتها من بساط الأرض إلى سقوفها على تصانيف الأئمة الماضين من

(١) المسعودي : مروج الذهب ، ج ٢ .

(٢) القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ج ٢ ، ص ١٠٢ .

Rawlinson : op. cit., p. 206.

(٣)

علوم الاولين والآخرين منقولة من خزائن الملوك السابقين يتناولها فقهاء وعلماء غزته بالتدريس » (١) .

وبلغ من اهتمام السلطان محمود بن سبكتكين بتشجيع الحركة العلمية أن بعث في طلب جماعة من رجال العلم والفلسفة ، فكان من بين الذين وفدوا اليه أبو ریحان محمد بن أحمد البيروني (٣٦٢ - ٤٤٠ هـ) (٢) . وقضى البيروني بداية حياته في خوارزم حيث ولد فيها - وقربه اليه أميرها ، وتبع في كثير من العلوم وبخاصة الرياضة والفلك ، وزار حوالي سنة ٣٩٠ هـ بلاط شمس المعالي قابوس بن وشمكير - أمير طبرستان - الذي عرف بتشجيع العلم وأهله ، وألف له « الآثار الباقية عن القرون الخالية » ويبحث هذا الكتاب في التواريخ التي كانت تستعملها الأمم ، والاختلاف في الشهور والسنين والتقويم عند الأمم ، ونظم الطوائف والجماعات المختلفة ، والاحتفال بالاعياد القومية ، ولما اتصل البيروني بالسلطان محمود الغزنوي ، استفاد من فتوحاته في بلاد الهند فائدة علمية كبيرة ، وجعل ثروة الهند العلمية الكبيرة في الرياضة والفلسفة والهيئات في يد العرب والفرنج بما ألفه في ذلك من كتب لا تزال خير مرجع لكل من كتب عن الهند ، وكان البيروني في هذا درة في الدولة الغزنوية كابن سينا في الدولة السامانية (٣) .

نبغ البيروني في كثير من العلوم وخاصة الرياضة والفلك وجدير بالذكر انه كان يزهد في المال الا ما يكفيه حاجته وأهدى كتابه « القانون المسعودي » للسلطان مسعود ويبحث في الرياضة والفلك وفلسفة الهند ، فأجازه السلطان بأموال كثيرة فردها معتذرا بعدم حاجته اليها ، وقيل عن البيروني أن القلم لم يكد يفارق يده وعينه النظر ، وقلبه الفكر الا في الاعياد ، لا يمل الاستزادة من العلم ، وقد تعلم عدة لغات ، ففى كتبه عن العقاقير والجواهر اسم الشيء بالعربية واليونانية والسريانية والفارسية والتركية ، ويقارن بين اللغات مقارنة دقيقة ، فيمدح اللغة العربية بحسن

(١) العتبي : تاريخ اليميني ، ج ٢ ، ص ٢٩١ - ٢٩٩ .

(٢) بارنولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٧٩ - ٨٠ .

(٣) أحمد أمين : ظهور الإسلام ج ١ ، ص ٢٨٧ .

ادائها للمعاني ، ويفضلها على الفارسية (١) .

ومن أشهر كتب البيروني « الجماهر في الجواهر » ، وكتاب « تاريخ الهند » وتعلم اللغة السنسكريتية ، وأخذ بنقل منها الى العربية ، ومن العربية اليها فنقل الى السنسكريتية نظريات اقليدس وغيره من الفلك ، ونقل الى العربية من السنسكريتية بعض المصنفات القيمة . ومن أبرزها « تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل ومرذولة » قارن فيها بين رياضة الهند وفلسفة اليونان ، ولقد استقى البيروني معلوماته عن الهند من المراجع السنسكريتية الهندية مباشرة ويلاحظ عليه انه لا يعترض ولا ينقد مطلقا حينما يشرح العقائد الدينية وبعد ذلك نشر البيروني كتابه بالعربية والفارسية « التفهيم في صناعة التنجيم » وقد اهداه للسيدة ريحانة الخوارزمية ، واهدى كتابه عن الاحجار الكريمة للسلطان مودود بن مسعود (٢) .

وكان للبيروني علم تام بمدارس بغداد والبصرة العلمية ، الا ان نظريات اولئك العلماء كانت متأخرة بالقياس اليه ، وظل مؤمنا بالتنجيم ، مشاركا معاصريه في ذلك ، وقد ادرك البيروني ان المعتقدات الدينية ترجع الى اسباب واحدة في كل مكان ، وكان يهتم بالفارق الكبير بين الخواص والعوام في كل موضع ، فهو لا يعترض ولا ينقد مطلقا ، حينما يشرح العقائد الدينية ، واذا قارن دينا بدين اخر ، فانما يقارنها مقارنة علمية محضة . وعلى ذلك يمكن القول بأن منتجات البيروني العلمية تحتل مكانة ممتازة من حيث وفرة وادها ، وما فيها من الاعتناء بتطبيق اصول العلمية ، على ان البيروني كتب مؤلفاته بلغة عسيرة جدا ويقول البيروني انه الف كتبه للعلماء لا للعوام (٣) .

(١) K. Ali : A New History of Indo-Pakistan. p. 32.
Habib : Sultan Mahmud of Ghazain. 55.

(٢) براون : تاريخ الأدب الفارسي ، ج ٢ ، ص ١١٧ .

(٣) البيروني : تحقيق ما للهند من مقولة ، ص ٢٤ .

ولقد اطلال البيروني في وصف الفلسفة الدينية للهند من الاعتقاد بالله والموجودات العقلية والحسية ، وتعلق النفس بالمادة ، والارواح وتناسخها ، ومواضع الجزاء من الجنة والنار وكيفية الخلاص من الدنيا ، وقارن بين عقائد الهند والاسلام والصوفية والنصرانية (١) . ويذكر البيروني : ان التناسخ من اهم معتقدات الهند ، وان الروح تنتقل من بدن الى بدن ، وفي كل بدن تستفيد معلومات وخبرات ، وتنتقل من الارذل الى الافضل . وقد ربطوا الثواب والعقاب والجنة والنار بنظرية التناسخ ، فقالوا ان الارواح الشريرة تتردد في النبات ومرتدول الطير والهوام الى ان تستحق الثواب ، فتنجو من الشدة ، وتنتقل الى ما هو ارقى (٢) .

وقال البيروني : انه رأى ان فلكى الهند لا يبحثون في العلل وكان على علم تام بالفلك عند اليونان قبل ان يقتبس هذا العلم من الهند ، وقد قال في هذا الصدد : كتبت اقف من منجميهم مقام التلميد من الاستاذ اعجمتى فيما بينهم ، وقصصورى عما هم فيه ، فلما اهتديت قليلا أخذت أوقفهم على العلل وأشير الى شئ من البراهين ، والوح لهم بالطرق الحقيقية في الحسابات فانثالوا على متعجبين وعلى الاستفادة متهافتين ، وكادوا ينسبون الى السحر (٤) .

وصفوة القول ان البيروني كان من كبار العلماء الذين ظهرُوا في القرنين الرابع والخامس الهجرى فلم يترك علما لم يؤلف فيه وكان الى جانب ذلك يؤلف بالعربية لا تفرسة لان العربية اكثر طراعية للعلم ومصطاحاته من الفارسية (٤) .

واشتهر من رجال الفلسفة في الدولة الغزنوية ابن الخمار كان نصرانيا نقل كتباً كثيرة من السريانية الى العربية ، واشتهر بالطب وألف فيه ، كما ألف في المنطق والالهيات (٥) .
وعنى سلاطين دهلى بتشجيع الثقافة الاسلامية ، فقد انفق السلطان

(١) نفس المصدر ، ص ٣٢ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٣٢ .

(٣) ياقوت : معجم الأدباء ، ج ١٧ ، ص ١٨ - ١٨١ .

(٤) محمد جمال الدين مرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ، ص ٢١٦ .

(٥) تاريخ باراني ، ص ٣٥٩ .

الملوكى التمش أموالا طائلة في كتابه نسخ كثيرة من القرآن الكريم حتى تكون في متناول الناس لقراءتها والاستفادة منها ، وأسس العديد من المدارس ، وزين بلاطه بالشعراء والادباء وأصبحت دهلى في عهده مركزا هاما للفنون والاداب .

وحرص السلطان بلبن على عقد مناظرات بين الشعراء والادباء والعلماء ، وكانت تلقى في بلاطه الاشعار ، وتقرأ الكتب التاريخية القيمة كالشهنامة للفردوسى وديوان ستائى والخاقانى وخمسة نظامى ، ومن أبرز شعراء هذا السلطان الشاعر خسرو دهلوى .

ازدهرت الحياة الثقافية في عهد الخلجيين ، وتميزت بظهور انتاج ادبى غزير ومتنوع ، وضم بلاط السلطان علاء الدين الكثير من العلماء والادباء ، وشهد عهده الكثير من الفلاسفة والحكماء والشعراء والمؤرخين والمترجمين والاطباء والفلكيين . ولم يجتمع على باب أحد سلاطين دهلى من رجال العلم والفقه والادب ما اجتمع على باب علاء الدين ، وكان يصل كل واحد منهم بأجل صلة ، ويرفعه الى أعلى مرتبه .

والكثير من ادباء ذلك العصر غير معروف لدينا الان ، الا اننا نلاحظ أن ادباء ذلك العصر كانوا يكتبون بالفارسية - لغة الثقافة في ذلك العصر - وكان امير خسرو بلا جدال - اعظم شعراء عصره ، وفاق معاصريه من اهل الادب ، ولقد حظى بتقدير الناس ممن عاصروه وبلغت شهرته الافاق ، وتعددت مواهبه ، فكان شاعرا جمعت اشعاره في مجلدات منها الخماسيات وهى اشعار خماسية ذات خمسة أبيات ، ويذكر بارانى أن امير خسرو اضاف الى الشعر والادب الفارسي اضافات على جانب كبير من الاهمية ، ويعتبره امير شعراء الهند ، ومن أشهر دواوينه « اعجاز خسروى » .

« نهاية الكمال » « خزانة الفتوح »

نشأ خسرو شاعرا بطبيعته ، ونلمس في شعره عواطفه الانسانية ودقة الاحاسيس والعواطف وسمو الغزل والوصف في الحرب والحب ، وتظهر براعته ، وعمق ثقافته ، وتفوقه في اللغات في اشعاره بعضها بالهندية واخرى بالفارسية واخرى بالعربية وكان له ثنائيات في اشعاره تتضمن تتضمن نظما بالفارسية واخر بالهندية او العربية ، ولقيت ثنائياته تقديرا

عميقا في الهند وشغفا كبيرا في مدارسها ، وكانت بعض ثنائياته تتحمل أكثر من تأويل . وكان ينتقى الالفاظ القوية لاشعاره ، ويختار التركيبات اللغوية الجميلة الوقع ، ومما يدل على براعته الادبية أن اشعاره لم تفقد رونقها وتأثيرها في النفوس حتى الآن (١) .

ومن شعراء ذلك العصر البارزين ، حسن سيجزي ، وكان موهوبا ، ويقترب من أمير خسرو في المرتبة الادبية ، ولقد تفوق في الشعر والنثر على السواء ، واتصفت كتاباته واشعاره بالوضوح ، يعبر عن فكرته بأسلوب سهل ، يدركه القارئ دون عناء لذا كانت تسرى اشعاره في الناس بسرعة سريان الشمس في النهار ، وكان يعيش حياة بسيطة ، وله ذاكرة عجيبة ، وقلب كبير ، وله أعمال ادبية كبيرة ، غير أن ديوان Faavidul Fuad من أعظم انتاجه ، وقدر له الخلود حتى الان .

ومن شعراء ذلك العصر صدر الدين على فخر الدين وحמיד الدين راجا ومولانا عارف وعبيد حكيم وشهاب انصاري ، ولكل من هؤلاء أسلوبه واتجاهه وطريقته في التعبير . ومن كتاب النثر عين الملك مولتاني - قاهر مالوا - وكان يكتب بأسلوب رصين والفاظ منمقة .

نبغ عدد من المؤرخين في العهد الخلجي تخص بالذكر منهم أمير ارسلان كولاہی ، وكبير الدين بن تاج الدين عراقی ، والاول كان دقيقا فيما يرويہ من معلومات لذا فقد كان مصدرا هاما عن تاريخ علاء الدين . وأما الثاني ، فكان يكتب بالعربية والفارسية ، ونبغ في اللفتين وله مصنفات كثيرة وعلى جانب كبير من الاهمية ، وتعتبر من أدق المراجع عن حروب علاء الدين ، وأغزرها مادة ، وكان يعمل في جيش علاء الدين (٢) وأتيحت له الفرصة أن يطلع على حروب السلطان الخلجي مباشرة وبمنفسه ، لذا اشتملت كتاباته على تفاصيل كثيرة ومعلومات غزيرة عن ذلك العهد ، ووضع كتابه « فتح نامه » على مرأى ومسمع من السلطان علاء الدين ، وقد أشاد بأعماله وانتصاراته ، وبالعالم في مدحه والثناء عليه . ولكن ذلك لا يقلل من أهمية هذا الكتاب ، فقد كان أهم مرجع عن هذه الفترة

Lal : op. cit., p. 240.

(١)

(٢) تاريخ باراني ، ص ٣٦٠ .

التي شاهدها المؤلف وعاصرها ، واعتمد عليه بارانى في كتابه « تاريخ فيروز شاهى » وصنف أبو عمرو عثمان منهاج السراج صاحب « طبقات ناصرى » و غلام يحيى بن احمد صاحب تاريخ مبارك شاه .

ومن مؤرخى ذلك العصر أمير خسرو وضياء الدين بارانى وقد عاصرا السلطان علاء الدين ، ولهما مصنفات أدبية وتاريخية يشار اليها بالبنان . وقد وضع بارانى بالاضافة الى كتابه « تاريخ فيروز شاهى » كتاب السنة المحمدية وكتاب « نعم الله وآياته » وكتاب « مآثر السادة » و « تاريخ البرامكة » وله كتاب اخر عن الاحكام السلطانية ويشمل القيم والمبادئ والقوانين والسياسات والنظم التي يجب على الحكومات الاسلامية اتباعها، ويرجعها كلها الى الشريعة الاسلامية (١) .

اما المؤرخون الذين كتبوا بالهندية أو السنسكريتية فقد فقدت معظم مؤلفاتهم ولكن حفظت الايام لنا اعمال هامير رازاز سارانجبارا في القرن الرابع عشر وأشعار مولى داود الذى كتب حوالى أواخر القرن الثالث عشر . وقد لقي هؤلاء الكتاب اضاء ساطعة عن العصر الذى يكتبون فيه ، وان كانت هذه الكتابات قد تضمنت أساطير وخرافات كثيرة .

ونلاحظ أن الادب الدينى ازدهر في هذا العصر ، وكتب علماء الدين عن أساتذتهم ، وترجموا لهم ، وأبرزوا فضلهم ، وتحدثوا عن تراثهم ، فكتب الشيخ فريد شاكاز جونج عن استاذه الشيخ نظام الدين أوليا . ومن تلاميذ الشيخ نظام الدين أوليا أمير خسرو ، وحسن السجزي والشيخ نظير الدين شيرازى الدهلوى . وجدير بالذكر أن أمير خسرو كتب - Afzalul Favaid - وتضمنت مجموعتين الاولى عبارة عن محادثاته مع الشيخ نظام الدين في الفترة ما بين سنتى ٧١٣ هـ وسنة ٧١٠ هـ ، والثانية منذ سنة ٧١٩ هـ حتى سنة ٧٢١ هـ . اما Favaidul Fuad فهي مجموعة الاحاديث بين الشيخين نظام الدين أوليا وحسن سجزي في الفترة ما بين (٧٠٧ - ٧٢٢) .

ولقد لقي هذا الكتاب تقدير المعاصرين ، وأقبلوا على قراءته

Lal : op. cit., p. 341.

(١)

Lal : op. cit., p. 342.

(٢)

والاستفادة منه بشكل متقطع النظير ، ولم يخف أمير خسرو إعجابه بهذا الكتاب . على أن Miftahul التي صنفها نظير الدين فمن المحتمل أن صاحبها صنفها بعد وفاة الشيخ نظام الدين وكتب نظير الدين شيرازي كتابا آخر أسماه « خير المجالس » كتبه سنتي ١٣٥٢ - ١٣٥٣ . ومن روائع الكتب وأحسنها التي صنف عن الشيخ نظام الدين أوليا ، كتاب « سيرة الأوليا » كتبه أمير خورد ، وهو تلميذ وفي للشيخ ترجم عن استاذة في كتابه هذا بعد وفاته بكثير (١) .

وهذه الترجمات الرائعة لشيوخ العصر وعلمائه التي كتبها تلاميذهم بعناية وحذق ، لها أهميتها الاجتماعية والثقافية ، فهؤلاء الكتاب يمثلون عناصر مختلفة في المجتمع واتجاهات فكرية متنوعة ، لذا عكست كتبهم مظاهر الحياة الاجتماعية في عصرهم ، والاتجاهات الثقافية في هذه الفترة ، وأوضحت الحياة اليومية ، فضلا عن انها مصدر غنى للمعلومات عن هذا العصر (٢)

أما الكتاب الهنود في القرن الرابع عشر الميلادي ، اشتملت كتاباتهم على نثر وشعر باللغة السنسكريتية ، ويتضمن الفولكلور الشعبي وقصص الأبطال والروايات الأسطورية للممالك والولايات الهندية . ولقد كتب سارنجدهارا (٣) Sarangdhara كتابين ، الأول هامير كافيا والثاني هامير رازو الذي وصف المقاومة العنيفة ، وضروب البطولة والشجاعة الخارقة التي أظهرها هامير ديقا ، حينما غزا علاء الدين وانشمبور ووضع أيضا ديوان شعر سنة ١٣٦٣ . ومن أبرز شعراء الهند في القرن الرابع عشر الميلادي نالا سنح ومولى دؤاد . ومن المشكوك فيه أن المجموعة الشعرية الكبيرة التي كتبت بالهندية منسوبة له (٤) .

وتضمن الأدب الكجراتي الفولكلور الشعبي لها وأشعارا في الحب والغزل ، واشتملت على قصص وأساطير وخرافات كثيرة . ومن أروع ما كتب في عهد علاء الدين كتاب The Prabandhacintamani ويتضمن معلومات تاريخية غزيرة (٥) .

Munshi : op. cit., p. 292.

IBID. 293.

Kesy : A Hist. of Hindi literure. p. 17.

IBID. P. 18.

Lal. op. cit. p. 343.

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

أما النشاط الادبي في البنغال فيبدو اضطرابه في تلك الفترة ، ويوضح الفولكلور البنغالي تطور لغة المنطقة . ومنذ أن غزا سلاطين دهلي بلاد البنغال ، حاول الحكام الترك لهذا الاقليم تعلم لغة البنغال والاندماج بالملايين الكثيرة لهذه المنطقة . ولم يكن عندهم الوقت الكافي لتعلم اللغة السنسكريتية ، وإنما قرأوا الكتب القيمة مترجمة الى اللغة المحلية . وقد أمر ناصر شاه - أعظم حكام البنغال في ذلك العصر - (١٣٢٣ - ١٣٢٥) بترجمة Mahabharata . وكان راعيا للعلم والعلماء . وبعد قرن من الزمان بعد الحكم الاسلامي ، ظهر شعراء كثيرون في البنغال امثال شاندي داز (١) .

وفي جنوب الهند ، ومناطق اخرى استغرق التأثير الاسلامي في الحياة الثقافية سنين عددا ، لذا ظل الادباء يكتبون في هذه البلاد بالسنسكريتية ، وظهرت كتب رائعة تبرز الفن الدرامي الاصيل .

ومما لا شك فيه أن قيام الدول الاسلامية في الهند اثر تأثيرا ملحوظا على تطور الادب السنسكريتي . ولقد فضل سلاطين دهلي وحكام الهند المسلمين اللغتين العربية والفارسية ، يضاف الى ذلك أن تعدد غزواتهم في بلاد الهند وضع نهاية لحياة شعوبها السلمية ، وغير طابع انحية في هذه البلاد .

فالكجرات مثلا بعد غزو بلغ خسان لها سنة ١٢٩٩ ظلت مائة عام لا تنتج ادابا ذات قيمة الا الفلكلور . وفي خلال القرن الرابع عشر الميلادي عموما أخذت السنسكريتية تفقد أهميتها . واستعاضت عنها بلاد الهند باللغات المحلية التي عبر بها شعوب الهند ، وكتبوا بها ادابهم (٢) .

ظلت الحياة الثقافية في الهند مزدهرة في عهد بني تغلق ، ووفد على السلطان محمد بن تغلق الكثير من العلماء والادباء والفلاسفة ، وقد قدم اليهم كل عون وتشجيع على ممارسة نشاطهم واظهار انتاجهم ، وكان هذا السلطان ادبيا وشاعرا ، كتب باللغتين العربية والفارسية اشعارا وقطع ادبية تشهد بدوقه الفني وروعة أسلوبه ، وجمال تعبيره ، وعمق أفكاره ، وكان بالاضافة الى ذلك فيلسوفا وطبيبا حاذقا (٣) اشرف

IBID. p. 344.

IBID. P. 344.

Prasad : India. 266 - 267.

(١)

(٢)

(٣)

على علاج الناس بنفسه ، وأقام الكثير من دور الشفاء وملاجئ العجزة (١) .

ولم يكن فيروز شاه التغلقى أقل من سلفه اهتماما بالعلم واهله ، وأسس عدة مدارس لعلوم الدين واللغة والتاريخ والحكمة والرياضيات والفلك والطب بلغت الثلاثين (٢) . وقد جلب العلماء المسلمين الى السلطنة للتدريس في مدارسهم ولم يقتصر اهتمام هذا السلطان على الدراسات الاسلامية بل عنى بدراسات وعلوم الهند القديمة ، فشجع البراهمة على حل رموز أعمدة آزوكا لما لها من أهمية تاريخية ، وقد استخدم بعضها في منشأته ، وعهد الى علماء الهنود باختيار الكتب السنسكريتية الهامة له ، وترجمتها الى الفارسية ، وكان هذا السلطان أدبيا ، فقد كتب كتابا في التاريخ تضمن حياته وأعماله وسياسته ، ويسمى « فتوحات فيروز شاهى » . وهذه الكتب آلت اليه بعد استيلائه على حصن نكرت ، في الفلسفة والفلك ، وتعرف هذه المجموعة باسم دلائل فيروز شاه (٣) .

وقد لاحظ ابن بطوطه في رحلاته ببلاد الهند كثرة المدارس بها ، وذكر أن هناك مدارس للصبية ومدارس للفتيات ، وأوضح أن النساء في الهند اقبلن على التعليم باهتمام بالغ خصوصا العلوم الدينية (٤) .

حرص السلطان فيروز شاه على تشجيع أهل العلم وذلك بتيسير سبل المعيشة لهم ، فالذين احتاجوا الى الزاد والنفقة انعم عليهم بالوظائف ، والاقطاعات والارض الخصبة بما يزيد عن حاجتهم ، فوجد أهل العلم من العلماء والمشايخ والمدرسين والطلبة والقراء والحافظين وأرباب المساجد الحياة ميسرة في ظل وكنف هذا السلطان ، وامتلأت المدارس القديمة والجديدة التى كانت خالية وبالية بالمدرسين والذاكرين والطلبة فراج العلم ، وارتفع شأن العلماء ، والتحق طلاب العلم بالوظائف التى يسرت لهم الحياة الرغبة بعد أن كانوا يعيشون على الكفاف ، وقضوا الاوقات الطوال في دراسة علوم الشرع والدين (٥) .

(١) الساداتى : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ، ج ١ ، ص ١٣٣ .

(٢) رحله ابن بطوطه ، ج ٢ ، ص ١١٠ .

(٣) تاريخ فيروز شاهى ، ص ٧٨٤ - ٧٨٥ .

(٤) رحله ابن بطوطه ، ج ٢ ، ص ١١٠ .

(٥) تاريخ فرشته ، ص ١٥٠ .

أما الخانقات التي كانت مهجورة في المدينة والاطراف امتلأت
بفضل بر السلطان بالصوفية والعباد والزهاد يقضون اوقاتهم في
دراسة الدين (١) .

وانشأ المدرسة الفيروز شاهية وعنى بعمارتها متعددة الحجرات بها
عدة مجالس وأعمدة مرصوفة محاطة بالحدائق الفناء ويقول بارانى أن
الناس احيوا هذه المدرسة حتى أن من أقام فيها نس موطنه وعمله ولم
يعد من الممكن مغادرتها لطيب هوائها ، وهجروا ديارهم وقدموا ليسكنوا
بجوارها وكان المسافرون يتوقفون عندها لمشاهدة جمال بنيانها
والتمتع بطيب هوائها ولذلك فهي نادرة في جمالها وتوازنها وجاذبيتها (٢) .

والمدرسة الفيروز شاهية منبع الخيرات والحسنات فكانت تقام
فيها الصلوات المفروضة والنوافل ، ويؤدى فيها الصوفية صلوات عند
الشروق والغروب والزوال وصلوات التهجد .

ومن أساتذتها الكرام مولانا جلال الدين الرومى الذى كان استاذاً
عظيماً ، وكان يقوم بتدريس العلوم الدينية فيعلم التفسير والحديث والفقه
ويتشغل كل يوم بختم القرآن للحافظين وكانت تكبيرات المصلين في هذه
المدرسة تصل الى عنان السماء وكانت تصل الى المقيمين بهذه المدرسة
التبرعات الكثيرة .

وتلك الايام نداولها بين الناس ...

(١) تاريخ فيروز شامى ، ص ٧٨٩ .

(٢) بارانى : تاريخ فيروز شامى ، ص ٧٩٠ .

خاتمة

هذه صورة مشرفة لحياة المسلمين في بلاد الهند ، ونضالهم فيها . وتوضح بجلال الجهود المضنية التي بذلها المسلمون في سبيل نشر الاسلام ورفع لسواء الدين الحنيف في هذا الجزء الفسسيح المترامي الاطراف في الدنيا . هذه البلاد - اقصد بلاد الهند - كانت أرضا خصبا للديانات المتعددة المختلفة والاراء الفلسفية المتضاربة والافكار العقائدية المتباينة .

كل هذه الديانات المتعددة في الهند ، لم تستطع الصمود في وجه الاسلام المشرق وشمسه الساطعة ، فسرعان ما انتشر الاسلام في بلاد الهند ، وسار فيها بسرعة مسيرة الشمس في النهار والضوء في الظلام . فالاسلام دين المساواة لا فرق بين عربي وأعجمي الا بالتقوى والعمل الصالح ، كل الناس سواسية كأسنان المشط ، لا تفرقه عنصريه ولا طبقة منبوذة تخضع بالوراثة لطبقة أرستقراطية ، وعليها طبقا للعقائد الموروثة خدمة الأسياد والاشراف ، ولا حق لها في الحياة الحرة الكريمة .

دخل الاسلام في بلاد الهند ، يعلن على لسان قادته وزعمائه المساواة المطلقة بين الناس جميعا ، ويأتى بالادلة على ذلك من كتاب الله وسنة رسوله وسيرته وسيرة الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة والتابعين . ولذلك رأينا جماهير الهنود من المنبوذين يرحبون بالدين الجديد بل ويستقبلون قادته استقبالا شعبيا رائعا ، يعبر بجلال عن ارتياحهم بل وحماسهم لاعتناق هذا الدين العظيم .

وتتابعت الفتوحات الاسلامية في بلاد الهند ، وواصل المسلمون انتصاراتهم ، واعقب ذلك دخول الهنود في دين الله افواجا . على أن حماة الوثنية في بلاد الهند ، والمنتفعين من عبادة الاصنام في النذور والهبات التي تقدم للاصنام قد احفظهم واغضبهم وازعجهم زوال عبادتهم ، فقاوموا المسلمين بكل ما اوتوا من قوة ، ولكن المسلمين بفضل قوتهم وتضامنهم ووحدتهم وتمسكهم بدينهم ومبادئه وتعاليمه واصلوا الجهاد ، لم يابهاوا بالموت في سبيل الله ، ولم تغرهم عروض الهنود المالية للكف عنهم ، ولم يضعفوا ولم يستكينوا ، ولم يهنوا ولم

يضعفوا ، فحطموا الاصنام ، وأزالوا الأوثان ، وأقاموا مساجد يذكر فيها اسم الله ، ويتعلم فيه المسلمون الجدد تعاليم الاسلام . وهكذا فإن اتحاد المسلمين وتضامنهم وتمسكهم بدينهم يؤدي بالضرورة الى انتصارهم على قوى الكفر والطغيان والبغى ، فالله ناصر دينه « وان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » أما ضعف المسلمين وتخاذلهم وتفرق كلمتهم وانشغالهم بمغريات الحياة الدنيا عن دينهم وعقيدتهم ، يؤدي الى بروز ثغرات وثغرات في جبهة المسلمين ، يستطيع أعداء الاسلام ، أن ينفذوا من خلالها ويزداد المسلمون - تبعا لذلك - ضعفا وتفرقا .

لذلك نرى ان تاريخنا الاسلامي خير كتاب نقرا فيه الراي القائل بأن وحدة المسلمين وتضامنهم يؤدي بالضرورة الى انتصاراتهم وقوتهم وتحقيق آمالهم وأحلامهم ، وفي نفس الوقت فإن عدم تمسك المسلمين بوحدتهم وبالعامل بتعاليم دينهم ، يضعف امرهم ، ويوهن من عزيمتهم ويخذلهم ، الامر الذي يمكن أعداء الاسلام من السيطرة عليهم واستغلالهم والتآمر عليهم .

ولنضرب الامثلة على ما قلناه من تاريخ الهند فقط موضوع دراستنا . فالسلطان محمود الغزنوي قاد مسيرة المسلمين في بلاد الهند ، جبهة متحدة قوية ، تناضل من أجل نشر الاسلام وتحطيم الاصنام ، فأحرز انتصارات رائعة ، وحقق للاسلام انتصارات خلدها التاريخ . كذلك السلطان علاء الدين خلجي نهض بدولته في الهند سياسيا وحضاريا ، وتعرض لؤامرات متعددة دبرها أعداء الاسلام للنيل منه ، والقضاء عليه ، فتصدى لهذه المؤامرات ، ومنع قوى الشرك والكفر من النيل من المسلمين في الهند ، فازداد الاسلام في عهده قوة والتشارا بين كفار الهنود ثم أعقب ذلك ضعف المسلمين ، فتعرضوا للغزوات والحروب ، الامر الذي زادهم ضعفا .

وأعداء الاسلام ويمثلهم الاستعمار الاوربي خشوا من استعادة المسلمين لقوتهم في هذا العالم الفسيح ، فتآمر الاستعماريون على المسلمين في الهند ، واشعلوا نار الفتنة بينهم وبين الهنود غير المسلمين ، وانتهى الامر باقامة دولة باكستان يتجمع فيها المسلمون الهنود ، ولكن الاستعمار واصل تأمره متضامنا مع القوى غير الاسلامية في الهند ، ومزقوا هذه الدولة الاسلامية الى دولتين ، كل ذلك حدث خوفا من تصاعد قوة الدولة الاسلامية الموحدة ، ولا يزال أعداء الاسلام يتآمرون

على الدولتين الجديتين حتى لا تقوى احدهما ولكن المسلمون قد
مكنوهم من ذلك لانهم تخلوا عن مبادئ الاسلام التي تدعو
الى الوحدة والتضامن والمواخاة .

لذلك ما نراه في العصور الوسطى يختلف عما نراه اليوم . في
العصور الوسطى : المسلمون قوة متحدة وجبهة متضامنة يعمل لها كل
حساب ، أما اليوم فالمسلمون غير متضامنين . وهذا يفسر لنا ما
يتعرضون له من مؤامرات في الهند والفلبين وارتريا وغير ذلك .

ولكن الله ناصر دينه ولو كره الكافرون .

تم بحمد الله

الملاحق والجداول والمصادر
وفهرس الكتاب

الجداول

أولا : الخلفاء العباسيون المعاصرون لحكام الهند في العصر الوسيط

١ - الطائع ٣٦٣ هـ - ٩٧٤ م
٢ - القادر ٣٨١ هـ - ٩٩١ م
٣ - القائم ٤٢٢ هـ - ١٠٣١ م
٤ - المقتدى ٤٦٧ هـ - ١٠٧٥ م
٥ - المستظهر ٤٨٧ هـ - ١٠٩٤ م
٦ - المسترشد ٥١٢ هـ - ١١١٨ م
٧ - الراشد ٥٢٩ هـ - ١١٣٥ م
٨ - المقتفى ٥٣٠ هـ - ١١٣٦ م
٩ - المستنجد ٥٥٥ هـ - ١١٦٠ م
١٠ - المستضيء ٥٦٦ هـ - ١١٧٠ م
١١ - الناصر ٥٧٥ هـ - ١١٨٠ م
١٢ - الظاهر ٦٢٢ هـ - ١٢٢٥ م
١٣ - المستنصر ٦٢٣ هـ - ١٢٢٦ م
١٤ - المستعصم ٦٤٠ هـ - ٦٥٦ هـ ١٢٤٢ م - ١٢٥٨ م

ثانيا - الغزنويون

بنو ألب تكين :

سنة هجرية

- | | |
|-----|---|
| ٣٥١ | ١ - ألب تكين |
| ٣٥٢ | ٢ - أبو إسحق إبراهيم بن ألب تكين |
| ٣٥٥ | ٣ - بلكا تكين { } |
| ٣٦٢ | ٤ - بيرى { ممالك ألب تكين } |

بنو سبكتكين :

- | | |
|-----|--|
| ٣٦٧ | ٥ - ناصر الدولة سبكتكين (مملوك ألب تكين) |
| ٣٨٧ | ٦ - اسماعيل بن سبكتكين |
| | ٧ - يمين الدولة أبو القاسم محمود بن سبكتكين ،
(توفي في ١١ صفر سنة ٤٢١) |
| ٣٨٩ | |
| ٤٢١ | ٨ - جلال الدولة محمد بن محمود ، المكحول صفر |
| ٤٢١ | ٩ - ناصر دين الله مسعود (الأول) بن محمود شوال |
| | محمد ، (للمرة الثانية) ، (هزم قتل
سنة ٤٣٣) ٤٣٢ |
| | ١٠ - شهاب الدولة أبو سعد مودود بن مسعود ،
(توفي في رجب سنة ٤٤٠) |
| ٤٣٣ | ١١ - مسعود (الثاني) بن مودود ، (طفل حكم شعبان |
| ٤٤٠ | بضعة أسابيع ، توفي في رجب سنة ٤٤٠) |
| | ١٢ - بهاء الدولة أبو الحسن علي بن مسعود |
| ٤٤٠ | (الأول) رجب |

سنة هجرية

- ٤٤١ ١٣ - عز الدولة عبد الرشيد بن محمود
 طغرل ، (مملوك محمود ، مغتصب ولى
 أربعين يوماً) ، مستهل شوال سنة ٤٤٤
 ٤٤٤ ١٤ - جمال الدولة فرخزاد بن مسعود
 ١٥ - ظهير الدولة إبراهيم بن مسعود ، الملك
 المؤيد جلال الدين
 ٤٥١ ١٦ - علاء الدولة أبو سعد مسعود (الثالث)
 بن إبراهيم
 ٤٩٢ ١٧ - كمال الدولة شيرزاد بن مسعود
 ٥٠٨ ١٨ - سلطان الدولة أرسلان شاه بن مسعود ...
 ٥٠٩ ١٩ - يمين الدولة بهرام شاه بن مسعود ، (نائب
 سنجر)
 ٥١٢ جمادى الأولى
 ٥٤٧ ٢٠ - معز الدولة خسرو شاه بن بهرا
 ٥٥٥ ٢١ - تاج الدولة خسرو ملك بن خسرو شاه
 الفتح الغورى ٥٨٢

ثالثاً : الغوريون او الشنشيانيون

(أفغانستان و هندستان)

(أ) الفرع الرئيسي بفيروز كوه و غزنة :

سنة هجرية

٤٩٣

١ - عز الدين حسين بن حسن بن محمد ...

٢ - قطب الدين محمد ، (بفيروز كوه ،

٥٤٠

حول

توفي سنة (٥٤١)

سيف الدين سوري ، (بغزنه توفي سنة

(٥٤٣)

بهاء الدين سام ، (بفيروز كوه من ٥٤٣ إلى ٥٤٤

٥٤٤

٣ - علاء الدين حسين جهانسوز ، (غور ثم

غزنة و فيروز كوه ، خربت غزنة سنة ٥٤٥

٤ - سيف الدين محمد بن حسين ، (فيروز كوه

٥٥٦

توفي في رجب سنة ٥٥٨)

غياث الدين محمد بن سام ، (بغور) ...

شهاب الدين محمد غوري بن سام ، (غزنة)

٥ - غياث الدين محمد بن سام ، (توفي بهراة

٥٨٨

في ٢٧ جمادى الأولى سنة ٥٩٩)

شهاب الدين ، ثم معز الدين ، (عامل

السابق على غزنة)

٥٨٢

الاستيلاء على لاهور

٦ - معز الدين محمد غوري بن سام ، (توفي

- سنة ٦٠٢ (... ..)
علاء الدين محمد بن شجاع الدين على ،
(بغور)
ممالك الأربعة الذين اقتسموا الملك (وأخذ
كل منهم لقب المعزى)
(أ) قطب الدين أيلك ، (بلاهور ثم
بدهلى من سنة ٦٠٢ إلى سنة ٦٠٧)
(ب) تاج الدين يلدز ، (بغزنة من سنة
سنة ٦٠٢ — ٦١١ — ٦١٢ — ٦١٣)
(ج) ناصر الدين قباچه ، (بالسند
والمثلتان وأوج من ٦٠٢ إلى ٦٢٤)
(د) مختيار محمد خلجى ، (فى لكهنؤى
٧ — غياث الدين محمود بن محمد بن سام ،
(بغور ، قتل سنة ٦٠٩)
٦٠٢
٦٠٩ صفر
٨ — بهاء الدين سام بن محمود
٩ — علاء الدين أئسرين بن حسين ، (سلطان
اسما ، عامل خوارزم شاه)
٦١٠
١٠ — علاء الدين أو ضياء الدين محمد بن
شجاع الدين على
٦١١
(سلطان اسما ، عامل أئسيز خوارزم شاه
حتى سنة ٦١٢)
(ب) فرع بياميان وطخارستان :
١ — فخر الدين مسعود بن حسين ، (عزله
أبناء أخيه)
٥٤٠

سنة هجرية

٥٥٨	٢ — شمس الدين محمد بن مسعود
٥٨٨	٣ — بهاء الدين سام بن محمد
	٤ — جلال الدين على بن سام ، (قتله خوارزم
٦٠٢	شاه سنة ٦١٢)

رابعاً : سلاطين دهلى



الأتراك :

	١ — أيبك قطب الدين ، (استولى على دهلى
٦٠٢ ١٥ ذى القعدة	سنة ٥٩٥ وانتزعها من برثوى راجا) ...
٦٠٧ جمادى الأولى	٢ — آرام شاه
٦٠٧	٣ — إيلتميش شمس الدين القطبي
٦٣٣ شعبان	٤ — فيروز شاه (الأول) ركن الدين
٦٣٤ ربيع الأول	٥ — رضىيه بيكم ، جلالة الدين
٦٣٧ ٢٨ رمضان	٦ — بهرام شاه ، معز الدين
	٧ — مسعود شاه علاء الدين ، (عزل فى
٦٣٩ ذو القعدة	٢٢ المحرم سنة ٦٤٤)
٦٤٤ المحرم	٨ — محمود شاه (الأول) ناصر الدين
٦٦٤ ١٠ جمادى الأولى	٩ — بلبان ، غياث الدين أولوغ خان
	١٠ — كيتباد معز الدين ، (اغتيل بأمر فيروز
٦٨٦	خلجى)
	١١ — كيومراث شمس الدين ، (اغتيل فى
٦٨٩ جمادى الأولى	٣ جمادى الآخرة سنة ٦٨٩)

الخلجيون (الأفغانيون) :

١٢ -	فيروز شاه (الثاني) جلال الدين ، (قتل في ٤ رمضان سنة ٦٩٤)	قتلهما	٣ جمادى
١٣ -	إبراهيم شاه الأول ركن الدين ، (سملت عيناه وقتل في ١٧ رمضان سنة ٦٩٥)	محمد الأول	الآخرة ٦٨٩ رمضان ٦٩٤
١٤ -	محمد شاه (الأول) علاء الدين ، (توفى في ٦ شوال سنة ٧١٥)	ذو الحجة	٦٩٥
١٥ -	عمر شاه شهاب الدين	ذو الحجة	٧١٥
١٦ -	مبارك شاه (الأول) قطب الدين ، (اغتيل في ٥ ربيع الأول سنة ٧٢٠) ...	٧ المحرم	٧١٦
١٧ -	خسرو شاه ، ناصر الدين	ربيع الأول	٧٢٠

خامسا : بنو تغلق شاه

١٨ -	تغلق شاه (الأول) ، غياث الدين ، غازي ملك	شعبان	٧٢٠
١٩ -	محمد (الثاني) جونا بن تغلق ، غياث الدين أولوغ خان ، (توفى في ٢١ المحرم ٧٥٢)	ربيع الأول	٧٢٥
	محمود بن محمد ، (بضعة أيام)	المحرم	٧٥٢
٢٠ -	فيروز شاه (الثالث) ، (توفى في رمضان سنة ٧٩٠)	٢١ المحرم	٧٥٢
٢١ -	تغلق شاه (الثاني) ، غياث الدين سالار		

سنة هجرية

- ٧٩٠ ... ١٩ رمضان شاه ، (قتل في ١٥ صفر سنة ٧٩١) ...
- ٢٢ - أبو بكر شاه (عزل في ٦ المحرم سنة ٧٩٢)
- ٧٩١ ... ١٧ صفر وسجن في مدينة ميراث) ...
- ٧٩٢ ... المحرم ... محمد شاه (الثالث) ...
- ٧٩٥ ... ١٦ ربيع الثاني ... ٢٤ - سكندر شاه (الأول) همايون ...
- ٧٩٥ ... ٢٩ جمادى الأولى ... ٢٥ - محمود شاه (الثاني) ، ناصر الدين ...
- ٧٩٧ ... نصرت شاه ... ٢٦ -
- محمود (الثاني) ، (للمرة الثانية)
- إقبال خان بن ظفر ، (مطالب بالحكم ،
- هزمه خضر خان سنة ٨٠٨) ٨٠١
- ٢٧ - دولت خان لودي ، (فترة شغور حتى
- سنة ٨١٧) ... ٨١٤ أو ٨١٦

ساحسا : حكام بنغالة

(أ) ولاية من قبل سلاطين دهلي

(الحاضرة لحنوتى)

- محمد بنختيار خلجي ...
- ٦٠٢ ... عز الدين محمد بن شيران ...
- ٦٠٥ ... علاء الدين علي بن مردان ...
- ٦٠٦ - ٦٠٧ ... غياث الدين عوض ...
- ٦٢٤ ... ناصر الدين محمود ...
- ٦٢٧ ... علاء الدين جاني ...

سنة هجرية

٦٢٧	...	سيف الدين أيبك
٦٣١	...	عز الدين طغرل طغان خان
٦٤٢	ذو القعدة	قمر الدين تمر خان قران
٦٤٤	»	اختيار الدين (أو مغيث الدين) يوزبك
٦٥٦	»	جلال الدين مسعود ملك جاني
٦٥٧		عز الدين بلبن ، (أو بلبان)
٦٥٩		محمد أرسلان ترخان
—		شير خان
—		أمين خان
٦٧٧		مغيث الدين طغرل
		بنوبليسان :
٦٨١		ناصر الدين بغرا خان
٦٩١		ركن الدين كيكافوس
٧٠٢		شمس الدين فيروز شاه
٧١٨		شهاب الدين بغرا شاه ، (بنغالة الغربية)
		غياث الدين بهادر بوراشاه ، (بنغالة الشرقية) ٧١٨
٧١٩		غياث الدين بهادر ، (بنغالة كلها)
٧٢٣		ناصر الدين إبراهيم ، (بلكهنوتي حتى سنة ٧٢٦)
		بهادر (للمرة الثانية ، مع بهرام بنغالة الشرقية) ٧٢٥
		بهرام ، (وحدته حتى سنة ٧١٩) ... ٧٣١
٧٢٦		قدر خان ، (لكهنوتي حتى سنة ٧٤٠) ...
٧٢٤		عز الدين أعظام الملك ، (ستكانو حتى ٧٤٠)
		السلطين
٧٣٠		فخر الدين مبارك شاه (بنغالة الشرقية حتى ٧٥٠)

سنة هجرية

٧٥٠	اختيار الدين غازي شاه ، (بنغالة الشرقية حتى
٧٤٠	سنة ٧٥٣)
	علاء الدين علي شاه ، (بنغالة الغربية حتى ٧٤٦)

بنو إلياس شاه :

٧٤٠	شمس الدين إلياس شاه ، (مطالب بالحكم بينغاله
	الغربية حتى سنة ٧٤٦)
	صاحب بنغالة الغربية ... ٧٤٦
	صاحب بنغالة جميعها ... ٧٥٣
٧٥٩	سكندر شاه (الأول) بن إلياس
٧٩٢	غياث الدين أعظم شاه بن سكندر
٧٩٩	سيف الدين حمزة شاه بن أعظم
٨٠٩	شمس الدين بن حمزة

بنو راجة كانس :

٨١٢	شهاب الدين بايزيد شاه { في وقت واحد
٨١٢	راجة كانس شاه }
	جلال الدين محمد شاه (جيتال بورني) بن راجه
٨١٧	كانس ، (أعتق الإسلام)
٨٣٥	شمس الدين أحمد شاه بن محمد

بنو إلياس (للمرة الثانية) :

٨٤٦	ناصر الدين محمد شاه (الأول) بن محمود ...
-----	--

سنة هجرية

٨٦٤ ركن الدين باريك شاه بن محمود
٨٧٩ شمس الدين يوسف شاه بن باريك
٨٨٦ سيكندر شاه (الثاني) بن يوسف
٨٨٦ جلال الدين فتح شاه بن محمود

سابعاً : الخوارزميون

١٠٧٧ هـ - ١٠٧٧ م	١ - أنوشتكين
١٠٩٨ هـ - ١٠٩٨ م	٢ - قطب الدين محمد
١١٢٨ هـ - ١١٢٨ م	٣ - آتسز
١١٥٦ هـ - ١١٥٦ م	٤ - آيل أرسلان
١١٧٢ هـ - ١١٧٢ م	٥ - سلطان شاه محمود
١١٧٢ هـ - ١١٧٢ م	٦ - علاء الدين تكش
١٢٠٠ هـ - ١٢٠٠ م	٧ - علاء الدين محمد
(٦٢٨ هـ - ٦١٧ هـ)	٨ - جلال الدين منكبرتي
(١٢٣١ م - ١٢٢٠ م)	

ثامنا - المغول الخاقانات العظام

(بنو جنكيزخان)

سنة هجرية

- ١ - جنكيزخان (تموجين) ، (ولد سنة ٥٤٩ ٥٥٠ ، أول إجتماع للقورولتاي سنة ٦٠٣ ، توفي في رمضان سنة ٦٢٤)
- ٢ - أوكتاي ، (توفي في ٥ جمادى الآخرة سنة ٦٣٩) الوصية توراكينا أرملة أوكتاي ... ٦٣٩
- ٣ - كيوك ، (توفي في ٩ ربيع الثاني ٦٤٧)
- ٤ - منكو (منكو) ، (ولى في ٩ ربيع الثاني سنة ٦٤٩)

٦٠٣

٦٢٤ رمضان

٦٤٤

٦٤٧ ربيع الثاني

أسرة يوتن :

- ٥ - قوبيلاي جمادى الآخرة ٦٥٨
- أرغبعا بن تولوى ، (مطالب بالحكم ، توفي سنة ٦٦٣) ٦٥٨
- ٦ - أولجايتو ٦٩٣
- ٧ - كورلوك ٧٠٦
- ٨ - بويانتو ٧١٠
- ٩ - كه كن ٧٢٠
- ١٠ - يسون تيمور (أو إسن) ٧٢٣
- ١١ - راجى بقا ٧٢٣

سنة هجرية

٧٢٩	١٢ - كوشالا
٧٢٩	١٣ - جياغاتو
٧٣٢	١٤ - رينجن بال
٧٣٢	١٥ - طوغان تيمور
	خانات قراقرم :
٧٧١	١٦ - ييليكتو
٧٨٠	١٧ - أوسوخال
٧٩٠	١٨ - أنكه سريكتو
٧٩٤	١٩ - ألباك
٨٠٢	٢٠ - كون تيمور
٨٠٥	٢١ - أوجلجاي تيمور
٨١٤	٢٢ - دلباك ، (قتل سنة ٨١٧)
٨٣٧	٢٣ - أدساي
٨٤٣	٢٤ - تايسونغ
٨٥٦	٢٥ - أقبارجي
٨٥٧	٢٦ - أوككتو

ايلخانات فارس

(بنو هولاكو)

سنة هجرية

٦٥٤	١ — هولاكو
٦٦٣	٢ — آباقا ، (توفي في ٢٠ ذي الحجة ٦٨٠)	ربيع الثاني
٦٨٠	٣ — أحمد تكودار	ذو الحجة
٦٨٣	٤ — أرغون ، (توفي في ٧ ربيع الأول ٦٩٠)	٢٧ جمادى الأولى
٦٩٠	٥ — كيختو ، (إرينجين تورجى)	ربيع الأول
٦٩٤	٦ — بايدو	جمادى الآخرة
٦٩٤	٧ — غازان محمود	ذو الحجة
٧٠٣	٨ — أولجايتو حذا بنده محمد	شوال
٧١٦	٩ — أبو سعيد بهادر	مستهل شوال
٧٣٦	١٠ — بآرياكاول (معز الدين)	
٧٣٦	١١ — موسى	

المنافسون :

٧٣٨ — ٧٣٦	١٢ — محمد
٧٥٢ — ٧٣٨	١٣ — طغاتي مور
٧٤١ — ٧٣٩	١٤ — جهان تيمور

(ولاهم حسن ترك
الجللاثرى

خانات ما وراء النهر

(بنو جغتای)

سنة هجرية

- ١ - جغتای ، (توفي حول شوال سنة ٦٣٩) ... ٦٢٤
- ٢ - قرا هولاكو ... ٦٣٩
- ٣ - يسو منكور ... ٦٤٥
- قرا هولاكو ، (للمرة الثانية) ٦٥٠
- ٤ - أركنة خازون ، (أرملة السابق) ... ٦٥٠
- ٥ - آل كور ، (توفي سنة ٦٦٤) ... ٦٥٩
- ٦ - مبارك شاه ، (لم يعترف به ، أعتنق الإسلام) ، جمادى الآخرة ٦٦٤
- ٧ - براق خان ، (هزمه أبقا) عمال من قبل بني مستهل ذي الحجة سنة ٦٦٨
- ٨ - نيكساي ... ٦٧٠
- ٩ - توقا تيمور ... ٦٧٠
- ١٠ - دووا خان ... ٦٩٠
- ١١ - قونجوق خان ... ٧٠٦
- ١٢ - تاليقو ... وثنون ٧٠٨
- ١٣ - كبك خان ... ٧٠٩
- ١٤ - إسمن بغا ...
- كبك خان ، (للمرة الثانية) حول سنة ٧١٨
- ١٥ - إياجي كداي ... ٧٢٢
- ١٦ - دووا تيمور ... ٧٢٦

سنة هجرية

٧٢٦	١٧ — ترما شیرین ، (أسلم وأخذ لقب علاء الدين) ...
	سنجر ، (انفصلت الأقاليم الشرقية سنة ٧٣٤) ٧٣٠
٧٣٤	١٨ — جنكشی (أو جنكشای) ، (وثی ، حكم حتى سنة ٧٣٩) ...
٧٣٥	١٩ — بوزون ...
٧٣٩	٢٠ — إسـن تیمور ...
	٢١ — ... على خليل الله ، (من قبيلة أوكتای ، حتى سنة ٧٤٤) ... حول ٧٤٣
٧٤٣	٢٢ — محمد ، (حتى سنة ٧٤٦) ... حول
٧٤٤	٢٣ — قازان تیمور ...
	٢٤ — دانشمندجه ، (من قبيلة اوكتای) ، (ولاء الأمير قرغان) ... ٧٤٧
٧٤٩	٢٥ — بویسان قولى ...
	٢٦ — شاه تیمور بن عبد الله بن قرغان ، (توفي سنة ٧٦٠) ...
٧٦٠	٢٧ — توقلق تیمور ، (منافسه حسن بن شاه تیمور صهر تیمور) ...
	٢٨ — إلیاس خواجه بن توقلق تیمور ... ٧٧١
٧٦٤	٢٩ — خضر خواجه بن توقلق تیمور ...
—	٣٠ — شمع جهان بن خضر خواجه ...
٧٩١	
٨٠١	

سنة هجرية

٨١٠	٣١ - محمد خان بن خضر خواجه
٨١٨	٣٢ - نقش جهان بن شمع جهان
٨٢١	٣٣ - أويس خان بن شير علي بن خضر خواجه
٨٢٤	٣٤ - شير محمد بن شاه جهان بن خضر خواجه
	أويس ، (للمرة الثانية) ٨٢٨
٨٣٨	٣٥ - أسن بوغا بن أويس خان
٨٦٦	٣٦ - يونس خان بن أويس خان
	٣٧ - دوست محمد بن أسن بوغا ، (أقسو
٨٦٦	وتورفان)
٨٧٣ - ٨٧٧	٣٨ - كبك سلفات بن دوست محمد ، (تورفان)
٨٩٢	٣٩ - محمود خان بن يونس
٨٩٠ - ٩٠٨	٤٠ - أحمد خان بن يونس ، (أقسو وتورفان)
٩٠٧ - ٩٢٠	٤١ - منصور خان بن أحمد ، (تورفان وفرارشار
٩٢٠ - ٩٣٩	٤٢ - سيد خان بن أحمد ، (كاشغر)
٩٣٩	٤٣ - عبد الرشيد خان بن سيد ، (كاشغر)
٩٥٠ - ٩٧٨	٤٤ - شاه خان بن منصور ، (تورفان وقرارشار)

تاسعا - بنو تيمور

(١) الإمارة الكبرى

حكم هؤلاء الأمراء بلاد ما وراء النهر أيضاً وكانت الحاضرة سمرقند :
سنة هجرية

- ١ - تيمور كورخان ، قطب الدين (تيمور
لنكت) ٧٧١
- سيور غتمش بن دانشمندجه (جغتای) خانات اسما ٧٧١ - ٧٩٠
- محمود بن سيور غتمش (جغتای) ... ٧٩٠ - ٨٠٠
- ٢ - خليل ، (حتى سنة ٨١٢) ... ٨٠٧
- ٣ - شاه رخ ، (حتى سنة ٨٥٠) ... ٨٠٧
- ٤ - علاء الدولة أولوغ بك بن شاه رخ ، (قتله
ابنه عبد اللطيف في رمضان سنة ٨٥٣) ٨٥٠
- ٥ - ركن الدين عبد اللطيف بن أولوغ بك ،
(اغتيل في ربيع الأول سنة ٨٥٤) ... رمضان ٨٥٣
- ٦ - عبد الله بن إبراهيم بن شاه رخ ... ربيع الأول ٨٥٤
- ٧ - أبو سعيد بن محمد بن ميرانشاه ، (توفي
في ٢٥ رجب سنة ٨٧٣) ... ٨٥٥
- ٨ - أحمد بن أبي سعيد ... ٨٧٢
- ٩ - محمود بن أبي سعد ... ٨٩٩

أمراء ليس لهم غير ما وراء النهر :

- بايسنقر بن محمود ، (ببداخشان منذ ٨٧٩) ... ٩٠٠
- علي بن محمود ... ٩٠٣
- بابر ... ربيع أول ٩٠٣
- فتح الشيبانيون البلاد ... ٩٠٦

المصادر والمراجع

- ١ - ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ - ١٢٣٨ م) على بن أحمد بن أبي الكرم .
«الكامل في التاريخ» .
- ٢ - أحمد أمين :
(أ) ضحى الإسلام (الجزء الأول والثاني - القاهرة ١٩٣٨) ؛
٣ - (ب) ظهر الإسلام (جزءان - القاهرة ١٩٤٥) .
- ٤ - أحمد السادق :
(أ) تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية (القاهرة ١٩٥٨) .
٥ - (ب) تاريخ بخارى - تأليف أرمينيوس فا .
- ٦ - ابن أبي أصيبعة : ت ٦٦٧ هـ - ١٢٧٠ م - أبو العباس أحمد بن القاسم
بن خليفة موفق الدين .
«عيون الأنباء في طبقات الأطباء» .
- ٧ - ابن بطوطة :
- ٨ - (أ) بروكلمان : كارل
« تاريخ الشعوب الإسلامية » (بيروت ١٩٤٨)
- ٩ - تاريخ الآداب الإسلامية .
- ١٠ - البيروني : (ت ٤٤٠ هـ - ١٠٤٨ م) أبو الريحان محمد بن أحمد .
(أ) « الآثار الباقية عن القرون الخالية » طبعة أدوارد سخاو .
- ١١ - (ب) « الجواهر في أحوال الجواهر » .
- ١٢ - (ج) « تاريخ الهند » .
- ١٣ - تاريخ السيوطي (ت ٤٧٠ هـ) محمد بن حسين ، نقله إلى العربية
الدكتور يحيى الخشاب وآخرون .

١٣ - حتى فيليب .

« تاريخ العرب المطول » .

١٥ - حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي :

١٦ - حسن أحمد محمود : « الإسلام في اميا الوسطى » :

١٧ - ابن خلدون : (ت ٨٠٨ هـ - ١٤٠٥ - ١٤٠٦ م) :

« العبر وديوان المبتدأ والخبر » (بولاق ١٣٨٤ هـ) .

١٨ - ابن خلكان : (ت ٦٨١ هـ - ١٢٧١ م) شمس الدين أبو العباس

أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر الشافعي :

« وفيات الأعيان » تحقيق محي الدين عبد الحميد (القاهرة ١٩٤٨) .

١٩ - زامباور : ادوارفون :

« معجم الأنساب والأسرات الحاكمة » .

نقله إلى العربية الدكتور زكي حسن والدكتور حسن محمود (جامعة

القاهرة ١٩٥١) .

٢٠ - السيوطي : (ت ٩١١ هـ - ١٢٩٥ م) عبد الرحمن بن أبي بكر

جلال الدين .

(أ) « تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة » (القاهرة

١٣٥١ هـ) .

٢١ - (ب) « حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة » .

(جزآن - القاهرة ١٣١١ هـ) :

٢٢ - العتبي : (ت ٤٢٨ هـ - ١٠٣٦ م) أبو نصر محمد بن عبد الجبار

« تاريخ اليمنى » (جزآن - القاهرة ١٣٨٦ هـ) :

٢٣ - ابن العماد الحنبلي : (ت ١٠٩٨ هـ) أبو الفلاح بن عبد الحى

ابن العماد الحنبلي .

- « شذرات الذهب في أخبار من ذهب » (القاهرة ١٣٥٠ هـ) .
- ٢٤ - ابن العميد (٦٧٢ هـ - ١٢٧٣ م) الشيخ المكي جرجس ابن العميد .
« تاريخ المسلمين » .
- ٢٥ - القلقشندي : (ت ٨٢١ هـ - ١٤٨٨ م) أبو العباس أحمد .
« صبح الأعشى في صناعة الإنشا » .
- ٢٦ - ابن كثير : (ت ٧٧٤ هـ - ١٣٧٢ م) عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي .
« البداية والنهاية » (القاهرة ١٩٣٢) .
- ٢٧ - لوبون : جوستاف : « حضارات الهند » .
- ٢٨ - منز : آدم .
« الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري » .
(جزآن - القاهرة ١٩٤٠) .
- ٢٩ - أبو المحاسن : (ت ٨٤٨ هـ - ١٤٦٩ م) جمال الدين يوسف ابن تغرى بردى .
« النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » - دار الكتب المصرية :
- ٣٠ - محمد جمال الدين سرور : « تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق » .
- ٣١ - المقرئ : (ت ٧٤٥ هـ - ١٤٤١ م) تقي الدين أحمد بن علي .
« المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » .
- ٣٢ - ياقوت : « معجم البلدان » .

مراجع فارسية

- ١ - غيد الحميد لاهوري : بادشاهنامه .
- ٢ - علاء الدين عطا ملك الجويني : تاريخ جهانكشاي (لندن ١٩٣٧) .
- ٣ - غياث الدين بن همام الدين الحسيني : « حبيب السير في أخبار أفراد البشر » (طهران ١٣٧٣ هـ) ..
- ٤ - أحمد بادكر : « تاريخ سلاطين افغانى » .
- ٥ - عباس خان سرواني : « تاريخ شير شاه » .
- ٦ - عباس إقبال : « تاريخ عمومي ايران » .
- ٧ - محمد قاسم هندو شاه : « تاريخ فرشته » .
- ٨ - شاه أبو تراب ولي : « تاريخ كجرات » .
- ٩ - رستم علي : « تاريخ هندي » .
- ١٠ - غلام حسين سليم : « رياض السلاطين أو تاريخ بنغاله » .
- ١١ - محمد إسلام : « فرحة الناظرين » .
- ١٢ - عبد القادر بن ملوك شاه بداوني : « منتخب التواريخ » .

ثالثاً : مراجع اوریبیه

1. Ali, M. A.A. : History of Ind-Pakistan. Dacca, 1970.
2. Ameer — Ali : The Spirit of Islam. London. 1923.
3. Barthold W. : Histoire des Turs. d'Asie. Paris. 1945.
4. Barthold : "Hist of Turkestan".
5. Binyon. Laurence : "The Court Painters of the Grand Moghul".
6. Browne : Edward. "A Literary History of Persia".
7. Czaplka M.A. "The Turks of Central Asia".
8. Defremery : "Histoire des Sameinides".
9. Degwngnes, J. "Histoire General des Huns", des Turs, des Mongols. Paris, 1940.
10. D'ohsson, Baron. C. "Histoire des Mongols".
11. Duff, Grant, "Hist. of the Mahrattas". 1921.
12. Dumbar, G. " History of India From the Earliest Times to the Present Day. London 1956.
13. Elliot H.M. Dowson. John. "The History of India as told by Its own Historians The Mohammadan Period. London. 1867.
14. Gait, Edward. "Hist. of Assam. Calcutta. 1929.
15. Garratt. G.T. "The Legacy of India. Oxford 1930.
16. Garret Ed. Mughol Rule in India. 1930.
17. Gibon. "The History of the Decline and Fall of the Roman Empire".
18. Grousset, R. "L'Empire Mongol".
19. Grousset, R. "Hist. de l'Extreme Orient." Paris, 1929.
20. Habib, Mohammed. "Sultan Mahmud of Ghaznin". (New Delhi 1967).
21. Hammer, J.D. "Histoire de l'Empire Otoman, (Paris 1930).
22. Harvel, F.B. "The History of Aryan Rule in India".
23. Howorth, H. "Hisory of he Mongols. 3 vols. London 1864
24. "The Indian Moslems by an Indian Mohamedan. London 1938.

25. Lal. "A Hist. of the Khaljis".
26. Lane Poole : The Muhammadan Dynasties". Paris. 1935.
27. "Medieval India under the Mohamedan Rule". (New York 1962).
28. Majundar, R.C. "An Advanced History of India". (New York 1968).
29. Morel. "A Short History of India". (London 1890).
30. Munshi. "The Struggle for Empire". (Bombay 1969).
31. Nicholson, A. Reynold. «Literary History of the Arabs.» (Cambridge 1960).
32. Noldeke, "Sketches from Eastern History.
33. "A Modern History of India."
34. Prasad : "A short History of Muslim Rule in India". (Allahabad 1933).
35. Sarkar : "Hist. of Aurengzib." (Calcutta 1924).
36. Smith. V.A. "Hist. of fine Arts in India". (Oxford 1930).
37. Spear, P. "Twilight of the Mughuls". (Cambridge 1951).
38. Vambery. A. "A History of Bokhara (London 1873).
39. Weil : "History of the Khalifs".
40. Cambridge Medieval History.
41. Cambridge Hist. of India.
42. Cambridge Hist. of Iran.
43. Ency. of Islam.

